الكتاب الممنوع فى عصر مبارك

التجسس على الأقباط

الكنيسة فى قبضة أمن الدولة

محمد الباز



مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : التجسس على الأقباط

المؤلف : محمد الباز

رقم الإيداع : ٩٧٥٠

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة ٤٠ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

المنوعات فى هامش الحرية

1

فى نهايات العام ٢٠٠٩ كنت قد انتهيت من هذا الكتاب «التجسس على الأقباط ...الكنيسة فى قبضة أمن الدولة» ...حاولت نشره عبر ثلاثة ناشرين، وفى كل مرة كان يأتى الجواب بالصمت المريب، الذى لا أعرف ما وراءه.

عرض الناشرون الثلاثة الكتاب على أمن الدولة قبل النشر، تحسبا لأية مضايقات،أو طلبا للأمان،فالجهاز لم يكن يصادر كتبا بعد أن تصدر،لكن كانت لديه وسائل أخرى لمضايقة الناشرين،والتضييق على الكتاب،وهى وسائل مراوغة وخادعة كان من الصعب إثباتها.

عندما كتبت عن الأقباط وأمن الدولة لم أكن أحارب الجهاز العنيد،الذى كان

يسيطر على كل شيء فى مصر،ولم أحاول إدانة الكنيسة ورجالها الذين يتعاونون مع ضباط الجهاز بشكل منهجي ومنظم.

حاولت فقط أن أرصد ما يجرى،وكانت لدى الشجاعة أن أطالب بأن يظل ملف الكنيسة فى أمن الدولة،وهو ما أزعج الكثيرين ممن يهتمون ويتابعون الملف القبطى،لكننى رأيت أنه وفى ظل نظام مبارك،الذى كان يسيطر على كل شيء، ويدعى أنه منح المصريين حريتهم،لابد من أن يتحمل كل طرف مسؤوليته.

كنت أعرف أن جهاز أمن الدولة حتى لو ترك ملف الكنيسة،وذهب إلى أى مؤسسة أخرى،رئاسة الجمهورية أو مجلس الوزراء مباشرة، فإن سيطرة الأمن ستظل عليه،لن تنتهى أبدا،وساعتها الذى سيتغير اللافتة فقط.

وعليه كان من رأيى أن يباشر أمن الدولة عمله فى الملف القبطى لكن باحتراف،وهو ما نشرته عبر مقالات صحفية،فهمها مثقفون أقباط،كما فهمها ضباط الجهاز الذين ركنوا إلى أن هناك من يطالب بأن يظلوا قائمين على الملف،وإن أزعجهم أننى طالبت بأن تتغير أفكارهم وأساليبهم فى إدارة الملف القبطى.

هذه فى النهاية فصول ظلت ممنوعة من النشر فى عصر مبارك.

لا أدعى أن كثيرا مما كتبته تعرض للمنع،ولكن كانت هناك ممنوعات كثيرة فى العصر الذى كان رجال مبارك يصفونه بأنه أزهى عصور الديمقراطية (وهذه قصة أخرى لم يحن وقت توثيقها بعد)... وكنا نراه نحن مجرد هامش فقط ...نتحرك فيه،ونراعى ألا نصطدم بالسقف من أجل أن نستمر ...وأن نكتب ...وأن نكشف... كنا نؤمن أن الصخرة الصماء يذيبها الماء...وقد حاولنا ما وسعنا جهدنا حتى جاءت العاصفة الكبرى فاقتعلت الصخرة التى لاتزال جذورها ثابتة فى الأرض.

هناك من يعتقد أن سلطان أمن الدولة زال،وأن جهاز الأمن الوطنى الذى حل

محله يختلف عنه تماما،لكنني أجزم أن العقلية التى كانت تحكم العمل فى أمن الدولة لا تزال قائمة،فليس بتغيير الأسماء وحدها تتغير الأحوال وتتبدل.

ولذلك فإننى أنشر هذا الكتاب الآن ...كما كتبته فى عصر مبارك ...لا أزيد شيئا...فلا شيء تغير...ولا شيء سيتغير....ثم أنه كلمتى التى لن أتبرأ منها أبدا.

إنه فقط للتذكرة.

لمن كان له قلب.

ولمن كان له عقل.

الباز

مارس ٢٠١٢

قبل أى كلام

2

جلس القبطى الشاب أمام مكتبه،أمسك بقلمه ويدأ يدون ملاحظاته التى يرى من خلالها إصلاح كنيسته الأرثوذكسية،كان قد قابل القس دانيال البراموسى الذى غضبت عليه الكنيسة وطردته من رحمها ورحمتها بحجة أنه خرج عن خط الأرثوذكسية،ورأت أنه بذلك يستحق اللعنة والطرد.

كان اللقاء فى بيت أحد أقارب الشاب القبطى،دخل فى نقاش حاد مع دانيال،ويبدو أنه وجد فى كلامه بعضا من المنطق وبعضا من الصدق وبعضا من المصداقية،فتعجب كيف تفرط فيه الكنيسة بهذه السهولة وهو الخطيب المفوه الذى يستطيع أن يحشد الأتباع لما تريده الكنيسة دون عناء،وهو ما يفتقده

الكثيرون ممن يرتدون العباءة السوداء.

بعد أن أنهى ملاحظاته التى ملأت ورقة واحدة،وقعها بأبناء القديس أثناسيوس،ورغم أنه لا توجد أى حركة ولا تنظيم يحمل هذا الاسم،إلا أن الشاب القبطى انحاز إلى اختيار هذا الاسم لحاجة فى نفسه،نسخ من البيان نسخة واحدة،احتفظ بواحدة منهما وأرسل بالثانية إلى مكتب البابا شنودة.

توقع الشاب القبطى أى رد فعل،لكن لم يحدث شيء،فجلس إلى مكتبه مرة أخرى ليكتب رؤيته الخاصة فى إصلاح الكنيسة مدفوعا بأفكار الشباب وحماسهم.

وضع رؤيته فى كتاب صغير،وضمن الكتاب نسخة بيانه الثانية الموقعة بأبناء القديس أثناسيوس،وقال : إن هذا بيان وصله على عنوان بيته بالبريد،ليوحى لمن يقرأ كتيبه بعد ذلك أن هناك حركة إصلاحية بالفعل تحمل هذا الإسم.

بعد أن طبع عدة مئات من كتيبه الصغير الذى يحمل رؤيته الخاصة،وجد من يستدعيه من مباحث أمن الدولة.

قال له من استدعاه: إن هذه الزيارة ودية للتعارف فقط،وعندما جلس إليه وجد البيان الذى أرسله إلى مكتب البابا شنودة على مكتبه.

سأله الضابط عن هذا البيان الذى أورد نصه فى كتابه،من أين حصل عليه وكيف وصله؟

فأجابه بما سبق وأورده فى كتيبه بأنه وصله عبر البريد على عنوان بيته،وأنه لا يعرف شئيا أكثر من ذلك عنه،وأن هذا البيان يمكن أن يكون قد وصل بالفعل لآخرين بالبريد على عناوينهم.

خرج الشاب القبطى من مقر مباحث أمن الدولة بعد أن تبادل أرقام التليفونات مع الضابط، لكن ظل هناك سؤال يشغله، وهو كيف وصلت نسخة البيان الذى أرسله إلى مكتب البابا إلى مباحث أمن الدولة؟

إنه واثق أن هذا البيان هو نفسه الذى أرسله إلى مكتب البابا،فلا توجد أى

نسخة فى مكان آخر إلا النسخة الثانية التى لديه،فهل أرسل البابا بنسخته إلى أمن الدولة؟وإذا كان فعل... فما الذى كان يريده البابا من وراء ذلك؟

الإجابة على سؤال الشاب القبطى لم تكن صعبة،فقد كان هناك خط ساخن ومفتوح بين البابا شنودة وبين أمن الدولة،وليس بعيدا أن يكون البابا أرسل هذا البيان إلى أمن الدولة حتى يتحروا عن أصحابه،ويأتوه برؤوسهم وهم صاغرين،ورغم أن هذا أمر غريب إلا أنه حدث بالفعل.

هذه الواقعة التى لا أشك مطلقا فيها ولا فيمن رواها لى،تصلح مدخلا للملف الساخن الذى يحوى أوراق العلاقة بين أمن الدولة والكنيسة فى مصر،وهو ملف لن يريح أحدا من الطرفين.

الباز

القاهرة – أكتوبر ٢٠٠٩

شيء كالمقدمة

3

البداية دائما بكلمة...

لكن هذه المرة لم تكن كلمة،ولكنها كانت تصريحا وتحذيرا فى الوقت نفسه،وعلى لسان البابا شنودة رأس الكنيسة القبطية شخصيا.

اعتاد البابا أن يتواصل أسبوعيا مع شعب الأقباط مرتين أسبوعيا،المرة الأولى من خلال عظته الأسبوعية فى كاتدرائية العباسية وتعقد يوم الأربعاء،والثانية من خلال لقاء يوم الأحد فى الإسكندرية،وهو لقاء يعقد كل أسبوعين.

الوعظة البابوية لا تكون شأنا دينيا محضا،فالبابا ليس رجلا روحانيا فقط،ولكن رجل سياسة ودنيا فى الوقت نفسه،ولذلك فإن وعظته تجنح فى كثير

من الأحيان إلى الشؤون الحياتية اليومية التى تعترض طريق الأقباط.

تسير الوعظة فى الغالب بلا مشاكل،فقد تحولت إلى ما يشبه الروتين الأسبوعى الذى فقد حرارته،رغم أن البعض لا يزال يتعامل مع المناسبة على أنها عيد أسبوعى،فها هو الأب المقدس يطل على أبنائه من عليائه،يتحدث ... يناقش...يستمع...ويتباسط معهم،بل ويصافحهم ويسأل عن أحوالهم.

لكن بعض الوعظات لا تمر بسلام،يحاول البابا جاهدا ألا يتحدى أو يظهر قوته السياسية،بل إنه بكى أكثر من مرة وطلب من الله أن يدافع عن الأقباط الذين يتعرضون لما لا يرضيه،وأنه لا يريد أن يتحدث لأن الله يعرف كل شيء،ورغم أن البعض يعتبر مسلك البابا هذا سلبية غير مقبولة،لكن من زاوية أخرى تحيط بالتكوين النفسى للبابا يتأكد لنا أنه يمارس بذلك قمة الإيجابية،التى تصل فى مرحلة معينة إلى التحريض.

فهو يحرض على الغضب دون أن يصرح.

يؤكد أن الأقباط يتعرضون لاضطهاد وعسف وخسف دون أن يقول من ذلك كلمة واحدة يمكن أن يؤاخذ عليها وبها،ويبعث برسائل إلى من يهمهم الأمر أنه يمكن أن يتحدث، وساعتها لا أحد يعلم العواقب إلا الله وحده.

بعيدا عن الحديث من وراء ستار الكلمات،قالها البابا شنودة فى إحدى عظاته،وجه النصيحة إلى جموع الأقباط بشكل واضح ألا يقدموا اعترافاتهم إلى الآباء الكهنة عبر التليفونات المحمولة أو شبكة الإنترنت،لأن الاعترافات يمكن أن تصل بهذه الطريقة إلى مباحث أمن الدولة.

كان السؤال:وهل يتلقى آباء الاعتراف فى الكنيسة اعتراف رعاياهم عن طريق الموبايل ورسائل الإنترنت؟

إن سر الأعتراف أحد أسرار الكنيسة السبعة المقدسة،وله طقوسه الخاصة التى لا يتم إلا بها،فكيف يمكن التفريط فى هذه الطقوس؟

إن المسيحى وقبل أن يقدم اعترافه لابد أن يعترف فى قرارة نفسه بالخطأ،ولابد أن يعترف أمام الله وأمام من أخطأ فى حقه،وفى النهاية يعترف أمام الأب الكاهن الذى أخذ سلطان الحل والربط من الرب كما يقولون.

لكن الأهم من الاعتراف هو ما يأتى بعده ،فلابد للمعترف أن يقطع كل روابط الخطأ وأسبابه ويعزم على ألا يعود إليه مرة أخرى،وهو شيءأشبه بالتوبة النصوح لدى المسلمين التى من أهم شروطها عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى.

تقديس سر الاعتراف أمام الكاهن لا يمنع الأدبيات المسيحية من التأكيد على أن الوحيد القادر على غفران الخطايا هو الله، وذلك عن طريق دم المسيح المسفوك على عود الصليب،لكن يبدو أن الله وحده ليس كافيا فلابد من الاعتراف أمام كاهن...«أب اعتراف».

الاعتراف هنا له شقان إذن.

الأول أن يعترف المسيحى بخطاياه،والثانى أن يتلقى الحل من الكاهن الذى يتلقى الاعتراف،لكن لا يكتمل الاعتراف من خلال هذين الشقين فقط، فلابد أن يعتقد المعترف اعتقادا راسخا بأن الله غفر له خطاياه من خلال الكاهن الذى يسر له بما فعله.

ولا بد أن يعترف المسيحى أمام الله بكل خطاياه حتى التى لا يعلمها،أى يكون ارتكبها دون أن يلتفت إليها، لكن أمام الكاهن فلا يعترف المسيحى إلا بالخطايا التى فعلها بإرادته والتى يشعر بها قلبه.

كل ذلك يؤكد أن طقس الاعتراف يحاط بكثير من القداسة.

لكن هل حافظت الكنيسة على هذا السر؟

واقع الأمر أن الكنيسة انتهكت سر الاعتراف فى أكثر من واقعة...منها مثلا:

أولا:مواطنة قبطية اتهمت الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس بأنه أذاع سر اعترافها على الملأ،وأن ذلك أساء إليها، لأن ما اعترفت به كان خطأ ارتكبته فى

شبابها،ولم يكن من اللائق أن يذاع الاعتراف على من يعرفونها.

حالة هذه المواطنة القبطية مجرد مثل على ما يجرى فهناك شكاوى عديدة من تسريب اعترافات الأقباط،وهو التسريب الذى يستخدم فى الصراعات والقضايا التى قد تنشب بين مواطنين أقباط.

ثانيا:حذر البابا شنودة من الإسراف فى الاعتراف بالخطايا الجنسية من الشباب والفتيات،وفى الغالب فإن هناك من شكا بأن آباء الاعتراف يستخدمون هذه الاعترافات بشكل سيئ، ولأن البابا لا يقدر على أن يضبط سلوك الكهنة، فإنه اكتفى بنصيحة الأقباط.

ثالثا:أصبح هناك تفريط واضح فى تلقى الاعترافات،فالأقباط يقدمون اعترافاتهم عن طريق التليفون المحمول، والإيميلات عن طريق شبكة الإنترنت، وقد تعلل البعض بأن ذلك يتم للمسافرين خارج مصر،أو بعيدا عن آباء اعترافهم، وتلقى الاعتراف بهذه الطريقة يمكن أن يسهله على من لا يتمكنون من الاعتراف أمام آبائهم،فلا يظل المسيحى حاملا خطاياه طويلا يسير بها دون أن يعترف مخلصا نفسه منها.

هناك اختراق لطقس الاعتراف إذن،وهو ليس بالأمر المهم بالنسبة لى،فقد يكون مهما للبابا شنودة أو المسؤولين عن الكنيسة،لكن المهم بالنسبة لى أن الخلل فى سر الاعتراف أخرج على السطح أزمة تعانى منها الكنيسة وهى أن أمن الدولة يتجسس على الكنيسة كلها.

الذين يفكرون فى الأمور بحسن نية رأوا أن البابا بتصريحه هذا أراد أن يحمى سرا من أسرار الكنيسة المقدسة ،فقد أصبح الكثير من الآباء الكهنة يستسهلون ويستقبلون الاعترافات عبر التليفون أو من خلال الإيميل،وهو أمر يمس قدسية الاعتراف،وبذلك ينتهى الموضوع، فالشأن هنا روحى بحت،والبابا يريد أن يظلل على رعاياه بجناحيه.

وتواصلا مع وجهة النظر هذه فإن البابا لا يقصد مطلقا أن هناك تجسسًا من مباحث أمن الدولة على مكالمات الأقباط، لكنه أراد فقط أن يرهب رعيته حتى يجبرهم على الالتزام بطقس الاعتراف.

لكن من يعلمون ماذا يدور خلف الكواليس أشاروا إلى أن البابا يقصد ما قاله وبشكل واضح ومباشر،فملف الأقباط بيد أمن الدولة من الألف إلى الياء ولا توجد أى جهة مهما كانت قوتها يمكن أن تقترب من هذا الملف إلا بعد أن تحصل على إذن مباشر من أمن الدولة.

تصريح البابا جعل الرأى العام يشعر أن هناك شكوى قبطية غير مباشرة من أن أمن الدولة يراقب الأقباط ويسجل مكالماتهم ويتجسس عليهم.

حقيقة الأمر أن هذه ليست شكوى مطلقا،فالبابا شنودة يتعامل طوال الوقت على أن هناك كنيستين وليست كنيسة واحدة،كنيسة للأقباط لا يجب أن يطلع أحد على ما يدور فيها،وكنيسة ثانية معلنة يعرف الجميع مسلمين وأقباط ما يدور فيها.

كنيسة البابا السرية تضم اعتراف الأقباط فليس معقولا أن تسجل أجهزة الأمن ما يدلى به الأقباط من اعترافات تكشف سلوكهم وخطاياهم،وتضم كذلك الأمور المالية (إيرادات ومصروفات)وملف الأحوال الشخصية،وقد حارب البابا شنودة كثيرا من أجل أن تظل هذه الملفات سرية.

ما هو أهم من ذلك فى اعتقادى أن الشكوى من التجسس ليست خاصة بالأقباط وحدهم،وبنظرة شاملة على ما يحدث -- لا ألجأ إلى الحديث بصيغة الماضى لأنى كتبت ما كتبت قبل الثورة – فى مصر الآن سندرك أن الشكوى عامة .

أجهزة ومؤسسات الدولة المختلفة لا تنكر أنها تتنصت على مكالمات المواطنين،حبيب العادلى وزير الداخلية صرح بذلك فى برنامج تليفزيونى أذاعه التليفزيون المصرى،سأله مفيد فوزى: هل تتنصت الداخلية على مكالمات المواطنين؟

قال دون مواربة: من يخاف عليه ألا يتحدث.

لم يقدم حبيب العادلى مبررات لما ذهب إليه،وإن كانت المبررات مفهومة، لكن طارق كامل وزير الاتصالات قدم مبررا اقتصاديا للتنصت على مكالمات المواطنين،كان الوزير ضيفا على إحدى ندوات المجتمع الراقى فى الإسكندرية،ولأنه مسؤول عن الاتصالات فقد سئل نفس السؤال الذى وجه إلى وزير الداخلية:هل هناك تنصت على مكالمات المواطنين؟

اعترف طارق كامل بأن هناك تنصتًا على المكالمات وأن ذلك من شانه أن يشجع على الاستثمار.

دعك من التبرير الحكومى لما يجرى أمنيا واقتصاديا،فهو تبرير يفتقد المنطق ويخاصم أقل أصول الديمقراطية والرغبة فى زيادة الاستثمار،لكن الواقع الذى لابد أن نعترف به أنك فى مصر لا يمكن أن تكون آمنا لا فى بيتك، ولا فى عملك فأنت مراقب طول الوقت، حتى لو لم تكن لك أهمية قصوى لدى الدولة.

ولعل هذا هو السبب المباشر فى تشديد القبضة على محلات بيع الموبايلات فى كل مكان،فلا يتم بيع موبايل أو شراؤه إلا من خلال عقد مبايعة وتصوير بطاقة الرقم القومى الخاصة للمشترى .

لم يعد مسموحا أن تشترى خطًا دون أن تسجل اسمك وبياناتك كاملة حتى يكون من السهل معرفة من يتكلم ...وحتى يكون سهلا ويسيرا أن تعرف الأجهزة المسؤولة أمنيا فيما يتحدث المواطنون.

الأقباط مثلهم إذن مثل غيرهم من المواطنين تخضع تليفوناتهم للمراقبة،ولا يوجد تمييز فى هذا الشأن فالكل لدى النظام متهم حتى يثبت العكس.

السؤال الأهم الآن هو:

هل العلاقة التى تربط بين الأقباط وأمن الدولة فى مصر قاصرة على ما يمكن أن تسجله المباحث من اعترافات الأقباط؟ وهى تسجيلات فى الغالب يمكن ألا

تكون مهمة لوزارة الداخلية بقدر ما هى مهمة لعلماء الاجتماع وعلم النفس الذين يمكن من خلالها أن يدرسوا الحالة النفسية والاجتماعية للأقباط،ويعرفوا من خلالها مواطن العطب والخلل فى الشخصية القبطية المعاصرة فى ظل مناخ اجتماعى متوتر ومحتقن ومشحون بالمشاعر العدائية بين الطرفين المسلمين والمسيحيين.

إجابة السؤال التى يعرفها الجميع أن العلاقات بين الكنيسة وأمن الدولة أكبر وأعمق من أن نحصرها فى التجسس على التليفونات،فأمن الدولة فى مصر فى الغالب لا يحتاج إلى أن يتجسس أو يسجل ويتنصت على تليفونات الأقباط،لأن الكنيسة متعاونة للغاية.

ولا تندهش عندما تعرف مثلا أن هناك من بين سكرتارية البابا شنودة من يعرف بأنه مسؤول الأمن فى الكنيسة،أى أنه المسؤول عن الاتصالات مع أمن الدولة وإدارة الأزمات التى تحيط بالأقباط.

وربما لهذا السبب يعتقد البعض أن هذا الأسقف تحديدا يمكن أن يخلف البابا بسبب قربه من الأمن،فهو يعتبر عند بعض الدوائر رجل الأمن فى الكنيسة،وسيكون من السهل والمناسب أن يتم التعامل معه،فهو يعرف الأمن ويعرفه الأمن،وهذا خير للجميع من أن يأتى رجل آخر يكون بعيدا عن مساحة التفاهم مع الأجهزة الأمنية،وهو أمر سيكون متعبا للطرفين.

ولا ينكر الكثير من الأساقفة أنهم يتعاونون مع أمن الدولة،لأن التعامل مع أمن الدولة هو أقصر الطرق لحل المشاكل التى تعترض طريق الأقباط،وهولاء يمكن أن نسميهم أساقفة الأمر الواقع.

هؤلاء يعرفون أن أمن الدولة هو المسؤول عن الملف القبطى،القرار قراره ولا يصدر أى قرار من أى جهة فيما يخص بناء الكنائس أو ترميمها أو إقامة الموالد للعذراء والقديسين أو إقامة ندوات ومعسكرات إلا بعد موافقة أمن الدولة،

ولذلك فإنهم يذهبون إلى الجهة الصحيحة حتى لا يضيعوا أوقاتهم.

ومن أكثر الأساقفة صراحة مع أنفسهم فى التعامل مع هذا الملف الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة.

الرجل لا ينكر أنه يتعامل مع أمن الدولة،بل إن علاقته بمباحث أمن الدولة فى القليوبية جيدة جدا ومن خلال هذه العلاقة يستطيع أن يحل كثيرا من المشاكل التى تعترض طريقه.

ضرب لى الأنبا مرقص مثلا أنه كانت هناك فتاة من بنات الكنيسة اختفت لعدة أيام،وجاء والدها وعدد من الشباب وأرادوا أن يعملوا اعتصاما فى الكنيسة وأن ينقلوا اعتصامهم بعد ذلك إلى الكاتدرائية فى العباسية،حتى تتحرك الكنيسة وتنقذ الفتاة أو على الأقل تعيدها إلى أبيها.

رفض الأنبا مرقص هذا التصرف ونصح الأب والشباب أن يهدؤوا حتى يتصرف،وبالفعل أجرى اتصالاته مع أمن الدولة بالقليوبية،ولم تمض سوى أيام قليلة إلا وظهرت الفتاة.

أراد الأنبا مرقص أن يدلل من خلال هذا الموقف أن علاقته جيدة بالأمن،لكن هناك قراءة مختلفة لهذا الموقف، وهى أن أمن الدولة يعرف أين تختفى بنات الأقباط، ويمكن من خلال وساطات هادئة أن يعيد الفتيات إلى أسرهم بشرط ألا يلجأ الأقباط إلى التصعيد وكتابة البيانات وإرسالها إلى مواقع أقباط المهجر،لكن عندما يتشدد الأقباط ويلجؤون إلى التظاهر فإن الأمن يمارس معهم سياسة العناد ولا يلبى لهم ما يطلبون.

والدليل الأكبر على ذلك أن القيادة السياسية أثناء أزمة وفاء قسطنطين أوصت أن تنتهى الأزمة وعلى وجه السرعة،وتلقت الجهات الأمنية الأوامر،وبدلا من تنفيذ التوجيهات الرئاسية على وجه السرعة تم تعطيل القرار أكثر من ٢٤ ساعة من قبل أمن الدولة، وهو ما ساعد فى اشتعال الموقف،وعندما استطاع البابا شنودة أن

يخلص وفاء من بين أيدى الأمن،شعر وقتها المسئولون فى الأمن أن الكنيسة علمت عليهم بلغة الشارع،وأصبح هناك ثأر بايت بين الكنيسة وأمن الدولة.

وعندما اندلعت أحداث كنيسة محرم بك فى الإسكندرية وهى الأحداث التى تدفقت طائفيا بعد ما تسرب عن مسرحية «كنت أعمى فأبصرت»، التى قدمها شباب الكنيسة وفيها إساءة بالغة للرسول ﷺ وللإسلام والقرآن،إشتعلت الإسكندرية بعد هذه التسريبات وخرجت المظاهرات تحيط بالكنيسة تريد أن تنال منها وممن فيها.

خرجت المظاهرات فى القاهرة متناغمة ومشجعة للمظاهرات فى الإسكندرية ولم يكتف المتظاهرون فى القاهرة بالتنديد والرفض لما جرى، ولكن طالبوا البابا شنودة أن يخرج على الرأى العام المصرى بالاعتذار.

وصلت الإثارة إلى ذروتها عندما خرجت بيانات من بعض الجماعات الإسلامية ومن بينها جماعة الإخوان المسلمين تهدر دم البابا شنودة، وتدعو إلى قتله عقابا له على إساءة الشباب القبطى التعامل مع الرسول والإسلام.

وقتها قيل: إن أمن الدولة وقف وبقوة وراء تسريب هذا «السى دى» الذى يحمل المسرحية،ونشره تحديدا بين أوساط الجماعات الإسلامية وكان يعرف جيدا رد الفعل،ولم يكن هذا رغبة من أمن الدولة فى صنع فتنة طائفية بقدر ما كان انتقاما من البابا شنودة وإذلالا له.

كان الثأر بين البابا وأمن الدولة لا يزال قائما وساخنا، ولم يكن من المناسب أن يتم التفريط فيه، لأن الأمر كان يتعلق بهيبة الجهاز ،وهى هيبة يمكن أن يدفع رجاله حياتهم دون أن تمس أو أن يعتدى عليها أحد.

***

تحذير البابا شنودة من تنصت أمن الدولة على اعترافات الأقباط لا يفتح جرحا يعانى منه الأقباط،أو يعبر عن شكوى تخصهم،لكنه يفتح أمامى مساحة واسعة

لدراسة تسعى إلى كشف العلاقة بين أمن الدولة والكنيسة.

كيف تكونت هذه العلاقة وكيف نمت وتطورت،وهل سيطرة أمن الدولة على الكنيسة هو السبب فى كل الفتن الطائفية التى تعانى منها مصر كما يقولون،أم أن هذه السيطرة تحديدا هى التى تحول دون أن يتحول الأمر إلى فوضى؟

إن هناك ملفات عديدةً أحاول أن أقتحمها فى هذه الدراسة التى لا أريد منكم إلا الصبر على تفاصيلها،فهناك تفاصيل مزعجة ومدهشة،وإن لم يعد فى مصر الآن شيء مزعج أو مدهش فكل شيء يمكن أن يحدث تحت سمع وبصر الجميع.



البابا وأمن الدولة

4

يعرف البابا شنودة جيدا أن كل خطوة من خطواته مرصودة،أنفاسه محسوبة عليه بدقة، فهو رأس الكنيسة المصرية،يستطيع أن يوجهها إلى الوجهة التى يشاؤها فى الوقت الذى يريده.

لكن ذلك وحده ليس المبرر لأن يتحول إلى رجل محاصر،فشخصية البابا شنودة التى يغلب عليها الطابع السياسى أكثر من الروحى، تجعل مباحث أمن الدولة تعتبره رجلا خطرا وتجب متابعته.

إن خطورة البابا شنودة السياسية بدت منذ السنوات الأولى لصعوده إلى الكرسى البطريركى تحديدا فى العام ١٩٧١،ومن بين ما يروى عن تولى شنودة

المنصب أنه كان مدعوما من الرئيس لسادات شخصيا.

كان السادات يظن أن البابا شنودة رجل سهل يمكن التعامل معه بسهولة دون أن يثير أى مشاكل،مثله فى ذلك مثل البابا كيرلس السادس الذى كان على وفاق دائم مع الرئيس عبد الناصر.

ولذلك صدرت التوجيهات إلى ممدوح سالم الذى كان وقتها وزيرا للداخلية أن يساند البابا شنودة.

لكن بعد سنوات من جلوس البابا على عرشه بدا أنه ليس رجلا سهلا،وأن التعامل معه لابد أن يكون بحساب، للدرجة التى دفعت الرئيس السادات إلى أن يقول لممدوح سالم:هو ده اللى كنا فاكرينه سهل يا ممدوح...شكلنا شربنا الراجل ده.

هذه الرواية لا يمكن تصديقها بسهولة لأكثر من سبب.

أولها: أن البابا شنودة جاء من خلال القرعة الهيكيلية،أى أن القرعة هى التى جاءت به،خاصة أنه لم يكن أكثر المرشحين أصواتا،بل جاء فى الترتيب الثانى.

ولو سلمنا جدلا أن الجهات الأمنية ساعدت البابا شنوده فى صعوده إلى منصبه، فمعنى ذلك أنه تم اللعب فى القرعة،وهو ما لم يحدث طبقا لشهود عيان لا يزالون أحياء حضروا قرعة اختيار البابا.

من جهة ثانية، فالبابا شنودة لم يكن فى أى وقت من الأوقات رجلا سهلا،بل كان منذ البداية داهية سياسية وروحية فى وقت واحد،وكانت له جماهيرية طاغية من خلال محاضراته التى كان يلقيها فى الكلية الإكليريكية،ثم أنه كان من المحرضين الكبار على البابا كيرلس السادس رغم أنه هو الذى جاء به ونصبه أسقفا للتعليم.

لم يكن البابا شنودة تعجبه كثير من سياسات وتصرفات وقرارات البابا كيرلس،فحرض الشباب ضده،وهناك شهود عيان أيضا كانوا وقتها طلبة فى الكلية الإكليريكية وسمعوا البابا شنودة بآذانهم، وهو ينتقد سياسات سلفه العظيم.

مؤكد أن هذه الوقائع وصلت للرئيس السادات من خلال أجهزة أمن الدولة،ولذلك

فمن المستبعد أن يقول السادات أنه شرب شنودة،والمقصود أن الرجل لا يمكن زحزحته من مكانه ومنصبه إلا بالموت،لكن يبدو أن الرئيس السادات وبسبب خلافه مع الأنبا شنودة قرر أن يكون أقوى من الموت... فأزاح البابا من منصبه.

كان ذلك بقرار جمهورى من الرئيس حمل رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ ،وهو القرار الذى قضى بإلغاء القرار الجمهورى رقم ٢٧٧٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية،وذهب القرار كذلك إلى تشكيل لجنة للقيام بالمهام البابوية من خمسة أعضاء من الأساقفة.

لم يتوقف الرئيس السادات عند قرار عزل البابا شنودة، ولكنه حدد إقامته فى وداى النطرون،وكان لابد من مبررات قوية يملكها الرئيس كى يطيح برأس الأقباط هكذا باستخفاف واستسهال لا يليق بالرجلين.

مبررات الرئيس السادات كانت جاهزة.

فى ٥ من سبتمبر ١٩٨١م أذاع الرئيس السادات بيانا على الشعب المصرى جاء فيه:«منذ فترة ليست بالقصيرة حاولت بعض الفئات المخربة على مراحل متعددة إحداث فتنة طائفية بين أبناء الأمة،وعملت جاهدة للقضاء على وحدتها الوطنية مستغلة فى سبيل ذلك تحقيق أغراضها بعض الشعارات المضللة والوسائل غير المشروعة نفسية ومادية لتعويق مسيرة الشعب عن طريق تنميته وازدهاره وديمقراطيته،وقد تصدت الحكومة لهذا كله بالإجراءات العادية تارة والنصيحة مرة أخرى وبالتوجيه والترشيد مرات».

وكشف البيان أنه:« فى الأونة الأخيرة بصفة خاصة وقعت أحداث جسيمة هددت الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى وسلامة الجبهة الداخلية بخطر جسيم،إلا أن هذه الفئة الباغية قد استرسلت فى غيها واستهانت بكل القيم والقوانين وتنكبت عن الطريق السوى وسلكت سبيل العنف والإرهاب وسفك الدماء وتهديد الآمنين،كما أن بعض الأفراد قد استغلوا هذه الأحداث وعمدوا إلى تصعيدها،الأمر الذى وجب معه اتخاذ

إجراءات سريعة وفورية لمواجهة هذا الخطر الذى هدد الوطن والوحدة الوطنية انطلاقاً من المسؤولية الدستورية الممتدة من أحكام المادة ٧٣ من الدستور».

بيان رئاسة الجمهورية حتى هذا الحد كان غامضا ومراوغا وملغزا،فمن هؤلاء الذين يتحدث عنهم ...وماذا فعلوا بالضبط حتى يصدر البيان غاضبا بهذه الصورة؟

ولذلك كان لابد من المزيد من الشرح وهو ما حدث بالفعل.

لكن الشرح لم يأت فى البيان، جاء فى خطاب الرئيس السادات الذى ألقاه مساء ٥ سبتمبر ١٩٨١ ليفتح به خريف الغضب على الجميع.

قال السادات فى خطابه:«إن مشكلتين فرديتين بين المسلمين والمسيحيين حدثتا يومى ١٢ و١٧ يونيو ١٩٨١ فى الزاوية الحمراء،إلا أن بعض مثيرى الشغب استغلوا هاتين الواقعتين ووضعوهما فى إطار طائفى بعيد عن الحقيقة، وبالغوا فى تصويرها وأشاعوا أن وفيات وإصابات حدثت،فاندفع البعض دون تروى لارتكاب الحوادث المؤسفة التى نتج عنها ١٧ قتيلا و١١٢ مصابا».

أشار الرئيس السادات فى خطابه كذلك إلى أن النيابة تولت التحقيق فى الموضوع، كما تولت التحقيق مع المقبوض عليهم فى هذه الأحداث والبالغ عددهم ٢٢٦ شخصا حتى ٢٦ يونيو ١٩٨١،أفرج عن ١١١ منهم حتى ٢٧ يونيو،وبقى ١١٥ محبوسين على ذمة التحقيق بعد أن وجهت إليهم النيابة تهم التجمهر والقتل والإصابة وإتلاف الممتلكات وإخفاء الأشياء المسروقة،وانخفض هذا العدد إلى ٢٧ فى سبتمبر،وما زالت التحقيقات باقية على ورود تقارير المعمل الجنائى والطب الشرعى عن تشريح الجثث وبيان الإصابات وكذا فحص الأسلحة المضبوطة.

ثم نأتى إلى المساحة الأهم فى خطاب الرئيس،قال السادات:«إن النيابة العامة نوهت بدور القيادات الدينية التى كانت على مستوى مسؤوليتها حين بادرت باستنكار هذه الأحداث وإعلان خروج المشاركين فيها عن أحكام الأديان السماوية التى تحض على الإخاء والمحبة والسلام».

هناك قيادات دينية استنكرت ما جرى إذن،لكن لم يقصد السادات البابا شنودة من بينهم،بدليل أنه عزله وأبعده متهما إياه بأنه من أشعل الفتنة الطائفية فى مصر.

لكن هل اتهام الرئيس للبابا كان كافيا؟

بالطبع لا ..ولذلك كان لابد من تقارير أخرى تدعم آراء الرئيس ومواقفه،وهنا بدأت مباحث أمن الدولة تعمل وتجمع المعلومات،وتعد تقريرا كاملا عن البابا شنودة.

تقرير أمن الدولة عن البابا شنودة الذى أعد فى بداية الثمانينيات وجه أربعة اتهامات للبابا شنودة.

الاتهام الأول: تعريض الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى للخطر.

يشير التقرير إلى أن البابا شنودة بدرت منه وقائع محددة تهدف إلى إحياء النعرة الطائفية التى تنادى بأن مصر دولة قبطية، استعمرها المسلمون،أما هذه الوقائع فقد حددها التقرير فى نقاط محددة.

أولا:فى شهر أغسطس ١٩٧٣م التقى فى دير السريان بأسرة تحرير مجلة الكرازة التى يتولى رئاستها، وطالبهم أن يكون الهدف من المجلة هو إحياء الكيان الطائفى واللغة القبطية وإثارة مشاكل الأقباط على صفحاتها بجرأة وصراحة.

ثانيا:فى شهر يناير ١٩٧٥م أنشأ فصولا لتعليم اللغة القبطية بأنبا رويس بالعباسية، وأصدر تعليماته إلى الكنائس بإنشاء هذه الفصول بهدف إحياء النعرة القديمة بأن مصر قبطية وأن المسلمين دخلاء عليها.

ثالثا:فى شهر سبتمبر ١٩٧٥م أصدر تعليماته للكنائس بعد الاحتفال بعيد النيروز يوم ١٢ سبتمبر ،وألقى كلمة فى موعظته الأسبوعية تضمنت أن الكنيسة حزينة جدا ولم يفسر سبب ذلك،وعلى إثر ذلك رددت قيادات مدارس الأحد أن السبب فى ذلك هو مرور الأقباط بمحنة نتيجة اضطهادهم من المسلمين،بالإضافة إلى رفض رئيس الجمهورية مقابلة البابا أكثر من مرة.

رابعا:فى يناير ١٩٧٧ م التقى بقساوسة من محافظة المنوفية وناشدهم بتوعية

أبناء الطائفة لزيادة النسل وحث الشباب على الزواج،انطلاقا من أن مصر أساسا دولة قبطية استعمرها المسلمون مما ترتب عليه أن دين الدولة الرسمى أصبح الإسلام، وأنه كان يجب النص فى لدستور على الدين المسيحى أيضا،وناشدهم بالتبشير بالدين المسيحى والتحدث خارج الكنيسة بالاشتراك فى المؤتمرات السياسية وزيادة المواقع الحكومية والجماهيرية لإثبات الوجود المسيحى.

كما ألقى محاضرة بالكاتدرائية بالعباسية بعنوان«إنجيل برنابا وتعارضه مع القرآن»،استشهد فيها بآيات قرآنية وآراء لبعض علماء المسلمين للتدليل على تعارضه مع القرآن الكريم،مما يشجع باقى الكتاب المسيحيين على اتباع هذا النهج.

وألقى محاضرة أخرى فى الكاتدر ئية أيضا بعنوان «التثليث والتوحيد» تضمنت بعض الآيات القرآنية المبتورة والمحرفة،للرد على النقد الذى يوجه إلى الديانة المسيحية.

الاتهام الثانى:الحض على كراهية النظام.

أورد تقرير مباحث أمن الدولة فى هذا السياق أيضا وقائع محددة يمكن أن نرصدها على النحو التالى:

أولا:فى ٣١ أغسطس ١٩٧٧ عقد المجمع المقدس اجتماعا برئاسة البابا شنودة وأصدر قرارا بتقديم مذكرة لرئيس الجمهورية تتضمن رفض الطوائف المسيحية تطبيق الشريعة الإسلامية وقانون الردة وضرورة حل مشاكل الطائفة،واقترح قيام أعضاء المجمع بمسيرة تضم أبناء الطائفة وتتوجه إلى مقر رئيس الجمهورية والسفارات ووكالات الأنباء للتعبير عن استياءهم من اضطهاد المسلمين والمسؤولين المسيحيين،إلا أنه أرجأ البت فى هذا الاقتراح انتظارا لنتائج مقابلة الرئيس لمندوبى المجمع المقدس فى ذلك الوقت.

ثانيا:استثمر حادث مقتل القس غبريال عبد المتجلى كاهن كنيسة التوفيقية بالمنيا يوم ٢ سبتمبر ١٩٧٨ وذلك بإيعاز القمص أنطونيوس ثابت وكيل بطريركية الإسكندرية لعقد المؤتمرات والمطالبة بتلبية مطالب الأقباط والتشكيك فى حيدة

الشرطة والنيابة لإثارة وتعبئة مشاعر أبناء الطائفة.

ثالثا: فى شهر أكتوبر ١٩٧٩ قام بإيفاد الأنبا تادرس أسقف بورسعيد إلى قبرص مع عدد من المطارنة لتعبئة الرأى العام المسيحى فى الخارج ضد السلطات والنظام فى مصر ومناشدة تجمعات الأقباط والهيئات القبطية الخارجية للتدخل والضغط على المسؤولين المصريين لمنع تطبيق الشريعة الإسلامية.

رابعا: استثمر حادث الاعتداء على ثلاثة من الطلبة المسيحيين بالمدينة الجامعية بالإسكندرية فى ١٨ مارس ١٩٨٠، وأوعز إلى القمص أنطونيوس ثابت بعقد المؤتمرات مع الطلبة المسيحيين لتعبئة مشاعرهم وإثارتهم، وقيامه بدعوة المجمع المقدس وإصداره قرارا بعدم الاحتفال بعيد القيامة وعدم تقبل التهانى من المسؤولين، مع معاصرة ذلك لزيارة رئيس الجمهورية الأخيرة إلى الولايات المتحدة، وحث تجمعات الأقباط فى الخارج والهيئات القبطية على اتخاذ مواقف معادية أثناء هذه الزيارة بهدف الضغط لتلبية مطالب الأقباط.

الاتهام الثالث: إضفاء الصبغة السياسية على منصب البطريرك

أكد التقرير هذا الاتهام من خلال وقائع محددة جاءت كالتالى:

أولا: فى ٢٤ فبراير ١٩٧٥ رأس البابا شنودة المجلس الملى للأقباط الأرثوزكس وأصدر قرارا بأن تجتمع اللجنة القانونية بالمجلس لدراسة قانون الحكم المحلى والمطالبة بتمثيل الأقباط فى المجالس المحلية ودراسة قانون الأحوال الشخصية للمطالبة بتنفيذ شريعة العقد وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية فى حالة اختلاف الملة، واتفق على إرسال خطابات إلى المسؤولين بالدولة للمطالبة بتمثيل الأقباط بالإتحاد الاشتراكي تمثيلا صحيحا.

ثانيا: فى ١٩ يوليو ١٩٧٥ عقد اجتماعا مع كهنة كنائس الإسكندرية لاستكمال السجل الخاص بالتعداد بالبطريركية، وقام بتكليف الأنبا بيمن – الأسقف العام – بالمرور على أبراشيات الجمهورية للاجتماع بأبناء مدارس الأحد وتكليفهم

بسرعة الانتهاء من إجراء الإحصاء العددى للمسيحيين.

ثالثا: فى ٥ يناير ١٩٧٧ عقد اجتماعا لكهنة القاهرة ببطريركية الأقباط بالعباسية،وألقى كلمة ناشدهم فيها سرعة إعداد مشروع قانون الأحوال الشخصية الموحد للطوائف المسيحية لتقديمه للسلطة التشريعية من أجل المطالبة بتطبيقه قبل الانتهاء من إعداد قانون الأحوال الشخصية للمسلمين،وانتقد رجال القانون المسيحيين لعدم استثمارهم للمناخ الديمقراطى السائد فى التقدم بمقترحاتهم بشأن قانون الأحوال الشخصية للمسيحيين.

رابعا:فى أغسطس ١٩٧٧ وبعد أن تحدثت الصحف عن قانون الردة عقد عدة اجتماعات لكهنة القاهرة ورجال القانون المسيحيين والمجالس الكنسية لدراسة آثار هذا القانون على المسيحيين وضرورة التعبير للمسؤولين بصورة جماهيرية رسمية بأن هذا القانون مرفوض.

خامسا: فى ١ سبتمبر ١٩٧٧ عقد اجتماعا بأعضاء مجالس كنائس القاهرة وعدد من المطارنة بالكاتدرائية واتخذ قرارا بإعلان الصوم الانقطاعى ابتداء من يوم ٥ سبتمبر تعبيرا عن رفض أبناء الطائفة لمشروع قانون الردة.

سادسا: فى ٢٠ فبراير ١٩٧٩ رأس اجتماع المجمع المقدس لمناقشة قانون الأحوال الشخصية الموحد للطوائف المسيحية، وأشار إلى أنه حصل على موافقة الأقباط الكاثوليك والإنجيليين على القانون،وأن ذلك نصرٌ له وللطائفة،وأكد للمسئولين عدم وجود خلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة،وطالب بتشكيل لجنة للرد على نشاط لجنة المطبوعات الإسلامية ونقدها لبعض المعتقدات المسيحية.

سابعا: فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٩ طلب من القمص أنطونيوس ثابت الدعوة لعقد مؤتمر عام بالكنيسة بالإسكندرية فى نوفمبر من نفس العام، لمناقشة تعديل المادة الثانية من الدستور، وذلك للضغط على المسؤولين وإشعارهم برفض الشعب المسيحى ذلك.

ثامنا: فى ٤ نوفمبر ١٩٧٩ اجتمع بدير الأنبا بيشوى بوادى النطرون مع عدد من

المطارنة ورجال الدين المسيحى، لإعداد مذكرة تتضمن اعتراضهم على تطبيق الشريعة الإسلامية،وتوجيه اللوم إلى وكيل بطريركية الإسكندرية لتأجيله عقد المؤتمر الذى كان مقررا عقده فى ١ نوفمبر كموعد لاحق لمناقشات مجلس الشعب،وتكليف وكيل البطريركية بتوجيه الدعوة لعقد مؤتمر مع أعضاء المجالس الملية الفرعية لإعلان رأى الأقباط قبل طرح الموضوع للمناقشة على مجلس الشعب.

تاسعا: فى ٢ نوفمبر ١٩٧٩ عقد اجتماعا بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية حضره بعض المطارنة وعدد من أعضاء المجلس الملى العام ومائة عضو من أعضاء المجالس الملية الفرعية، لتقديم المقترحات المزمع إدخالها على المادة الثانية من الدستور لحماية الأقباط ووقع الحاضرون فى نهاية الاجتماع مذكرة بموافقتهم على الإضافة المقترحة على المادة الثانية من الدستور وهى عبارة تقول: بما لا يتعارض مع شرائع الأقباط.

عاشرا: فى ٨ نوفمبر ١٩٧٩ عقد اجتماعا بالمقر البابوى بالعباسية مع رؤساء الطوائف المسيحية ومندوبين عن الكنائس الكاثوليكية الأجنبية لمناقشة تعديل المادة الثانية من الدستور،وأصدر تعليماته لمطرانية سوهاج بتكليف المثقفين من أبناء الطائفة وخاصة المحامين بتحرير المذكرات التى تتضمن الاعتراض على تعديل المادة الثانية من الدستور،وقد التقى ببعض المطارنة بدير الأنبا بيشوى ودار بينهم حديث حول تعديل المادة الثانية من الدستور،وعلق على ذلك بقوله بأنه ينتظر نتيجة لقاءاته مع المسؤولين بشأن الضمانات التى طلب إدخالها على تعديل تلك المادة لحماية الأقباط،وأنه فى حالة عدم تلبيتها ردد عبارة «حنخليها دمًا للركب من الإسكندرية إلى أسوان».

الاتهام الرابع: الإثارة.

ورغم أن هذا الاتهام كان غامضا بعض الشيء إلا أن تقرير أمن الدولة أورد عدة وقائع تشير إليه وتؤكده على النحو التالى:

أولا: فى ١٠ يوليو ١٩٧٢ عقد اجتماعا لكهنة الإسكندرية وطالبهم بالتحرك

وإشعار الحكومة بهم للعمل على تحقيق مطالبهم، ومداومة الاتصال بممثلى الطوائف المسيحية الأخرى بالإسكندرية وإحاطتهم علما بمظاهر الاضطهاد، لضمانة تعاطفهم معهم وتأييدهم لهم.

ثانيا: فى ١٧ يوليو ١٩٧٢ عقد اجتماعا لكهنة الإسكندرية لدراسة مشاكل الطائفة،ووجه بعض الكهنة للإعلان عن هذا المؤتمر ورفض الاستجابة لطلب وزراة الداخلية لدواعى الأمن ،مدعيا أن أئمة المساجد بالإسكندرية يهاجمون القس إبشواى كامل ويهددون بقتله.

ثالثا:عقد اجتماعا فى ١١ نوفمبر ١٩٧٢ لكهنة القاهرة إثر وقوع حريق بجمعية أصدقاء الكتاب المقدس بالخانكة ،وأصدر تعليماته لهم بالتوجه إلى مقر الجمعية وتأدية الصلاة وافتراش الأرض بأجسادهم حتى الاستشهاد فى حالة التعرض لهم،وغادر القاهرة إلى الدير عقب ذلك للظهور بمظهر البعيد عن الأحداث،وقام بدعوة المجمع المقدس وأعلن الصوم الانقطاعى والحداد بالكنيسة احتجاجا على ذلك.

رابعا:فى ١٢ نوفمبر ١٩٧٢ ألقى كلمة بالكاتدرائية بالعباسية بمناسبة مرور عام على تقلده الكرسى البابوى،تناول خلالها التنديد بأحداث الخانكة والإدعاء باضطهاد الأقباط.

خامسا:فى مارس ١٩٧٣ عقد اجتماعا مع بعض المسؤولين بمدارس الأحد وحثهم على نشر شائعة وسط الأقباط بأن قضايا التهريب المتهم فيها «رفلة غرباوى» و«صادق غبور» وآخرين، القصد منها الإضرار بسمعة المسيحيين،كما أنه قام بالاعتكاف بدير الأنبا بيشوى وقرر عدم الاحتفال بذكرى تقلده الكرسى البابوى الذى كان مقررا له ١٤ نوفمبر ١٩٧٩.

كانت مباحث أمن الدولة قد أرادت تضييق الخناق على البابا شنودة وأن تسجل له كل شاردة وواردة،كل اجتماع وكل لقاء..كل موعظة وكل مؤتمر،لكن هل كان كل ما ورد فى هذا التقرير صحيحا ؟

دفاع البابا فى مواجهة أمن الدولة

5

لم يستسلم البابا شنودة للتقرير القاسى والعنيف الذى أعدته مباحث أمن الدولة عن نشاطه وأدائه فى سنواته الأولى على كرسى البطريركية،دافع عن نفسه من خلال دعوى قضائية رفعها أمام القضاء الإدارى فى ١٢ يناير ١٩٨٢،طالب خلالها بوقف القرار الجمهورى رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١.

كان هذا القرار - الذى أصدره الرئيس السادات فى غمرة انفعاله وغضبه من البابا- يقضى بإلغاء القرار الجمهورى رقم ٢٧٧٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية،وهو نفسه القرار الذى قضى بتشكيل لجنة للقيام بالمهام البابوية من خمسة أعضاء من الأساقفة.

علم البابا شنودة بقرار الرئيس السادات بعزله فى أول نوفمبر ١٩٨١ ،وظل أكثر من شهر حتى تظلم منه فى ٢٨ ديسمبر ١٩٨١ ،وبعد التظلم أقام دعوى قضائية قال فيها بشكل واضح أن قرار الرئيس يخالف القانون،وقدم ما يدل على ذلك ويؤكده.

تم تداول الدعوى القضائية فى المحكمة وانتهت إلى قبولها شكلا، وفى الموضوع وهو إلغاء القرار المطعون فيه، فيما تضمنه من تشكيل لجنة خماسية للقيام بالمهام البابوية ورفض ما عدا ذلك من طلبات،وألزمت طرفى الدعوى وهما البابا والحكومة بالمصروفات مناصفة بينهما.

لكن الأهم من هذه الدعوى والحكم فيها لصالح البابا شنودة،كان ما جاء فيها،وهو ما يمكن أن نعتبره ردا فعليا على اتهام مباحث أمن الدولة له بأنه صانع الفتنة الطائفية فى مصر.

رد البابا فى دعواه ورغم أن به كثيرا من المنطق لكنه يدخل فى النهاية من باب الحيل القانونية – تصل إلى درجة الملاعيب – التى يجيدها من يعملون بالسياسة،واستخدام تعبير «ملاعيب» مقصود تماما وفى محله،فهو تعبير يعود بنا إلى ما يعرف فى التاريخ الشعبى المصرى عن «ملاعيب شيحة»،وهى عبارة عن حيل عجيبة تتم من خلالها مواجهة السلطة والتغلب عليها ومقاومتها.

ما فعله البابا شنودة من خلال المذكرات القانونية يمكن لنا أن نلخصه فى الآتى:

أولا: قال: إن رئيس الجمهورية كان ضحية لبعض المتسلقين من المسيحيين ممن لا ضمير لهم،وأن الحوادث التى وقعت وتم إتهام البابا بأنه وراءها صانعا من خلالها فتنا طائفية متعددة ومتعاقبة، ثبت أن الأنبا شنودة لا صلة له بها،ولا صلة لأحد من الأقباط عموما بها، بل إن الأقباط كانوا فى النهاية مجرد ضحايا لهذه الأحداث الطائفية العنيفة.

هنا حاول البابا شنودة أن يلقى التهمة بعيدا عنه، لم يتهم أمن الدولة مباشرة

بأنهم كانوا وراء ما جرى، ولكنه اتهم بعضا من أبنائه ممن رأى أنهم لا رأى لهم،دون أن يصرح البابا بما هى مصلحة أى قبطى فى أن يدس للبابا رأس الكنيسة لدى الرئيس،وهو الدس الذى صنع نارا فيما بينهما.

لقد كان هناك عدد كبير من الأقباط يحيطون بالرئيس السادات وعلى رأسهم الصحفى الكبير موسى صبرى،وقد حدثت مشاحنات عديدة بين موسى والبابا لاعتقاد البطرك أن الصحفى لا ينقل الصورة الحقيقية للرئيس رغم قربه منه،وأنه يكتفى بالمكاسب التى يحققها من خلال هذا القرب رغم أنه يمكن أن يعمل من أجل الأقباط،لكن يبدو أنه لا يرى إلا نفسه.

فهل كان البابا يقصد موسى صبرى باتهامه أم أنه يقصد آخرين؟

ثانيا: صور البابا بعض الوقائع التى جاءت فى تقرير أمن الدولة عنه، بأنها ليست إلا وقائع كاذبة ولا ظل لها من الحقيقة على الإطلاق،وضرب لذلك مثالا واضحا،فقد قال: غن التقرير يشير إلى أن الناس تناقلت فى أحداث الخانكة أخبار تقرير لجهات الأمن الرسمية عن اجتماع عقده الأنبا شنودة فى ١٥ مارس ١٩٧٢ بالكنيسة المرقسية بالإسكندرية على نحو يوحى بصحته كتقرير،وتضمن أقوالا نسبت إلى البطريرك فى هذا الاجتماع،رغم أن هذا التقرير ظاهر الاصطناع.

ويفند البابا وجه الاصطناع فى التقرير، فقد تناوله بعض الناس على أنه حقيقة، رغم أنه كان عبارة عن مذكرة للأستاذ مريت بطرس غالى عن الأقباط فى مصر،وصورة من مذكرة محامى البابا عن الحوادث الطائفية التى جرت،وهى الأحداث التى اضطرت المجمع المقدس لإصدار قرار بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٨٠،تضمنته مذكرة الكنيسة القبطية بخصوص حد الردة وجاء بها مايلى:

«إننا أمام ضمائرنا لن نستطيع أن نقبل مشروع قانون الردة،ولن نخضع له إذا نفذ، وبحكم ضمائرنا سنسعى وراء كل مسيحى ترك مسيحيته لكى نرده إليها مهما حكمت مواد هذا القانون بالقتل على التحريض، ونحن مستعدون أن ندخل

فى عصر استشهاد جديد من أجل ديننا والثبات فيه، ولن يلومنا أحد لأن هذا هو عملنا كرعاة وآباء،بل تلومنا ضمائرنا إن تركنا إنسان يرتد عن مسيحيته دون أن نحاول إرجاعه»

لقد ساق البابا شنودة ما فعله على أنه ليس إلا دفاعا شرعيا عن النفس وهو أمر لا يمكن أن يلومه عليه أحد،فمن الذى يمكن أن يعيب على البابا وهو راعى الأقباط أنه يحافظ عليهم،إنه بذلك يضع الجميع فى حرج، وأما عن الأقباط فإنه يبدو بالنسبة لهم قائدا وزعيما وملهما، إنه لا يقف فى وجه الرئيس وما يصدره من قوانين وقرارات فقط، لكنه مستعد أن يستشهد من أجل عقيدته.

ثالثا: حاول البابا أن يظهر نفسه على أنه ضحية يتجنى عليه النظام،وذلك من خلال نسبة أمور إليه لم يقم بها من الأساس،ويمكن أن نرى ذلك من خلال:

إشارة تقرير أمن الدولة إلى أن سياسة البابا شنودة تتحدد فى مجموعة من النقاط أبرزها محاولة فرض استقلال الكنيسة عن الدولة ومؤسساتها الدستورية، والسعى نحو إضفاء الصفة السياسية على منصب البطريرك، ومحاولة تحدى القوانين القائمة فى مجال بناء الكنائس وإقامة الكليات الإكليريكية، وتوسيع الأديرة وإستثمار الخلافات الفردية والحوادث العادية لتصوير الموقف على أن قنوات الاتصال بين الكنيسة وتجمعات الأقباط فى الخارج تمثل قوة ضاغطة على الرأى العام العالمى لتحقيق مطالب البابا والكنيسة.

كذلك ما ذهب إليه التقرير من أن البابا شنودة يأخذ من الإثارة السياسية منهجا فيما أصدره من أوامر للكهنة لتأدية الصلاة بجمعية الكتاب المقدس بالخانكة، وافتراش الأرض بأجسادهم عند التعرض لهم،وأنه قرر إرسال خطابات للمسؤولين فى الدولة لتمثيل الأقباط فى الاتحاد الاشتراكي بنسبة عددية كبيرة ونشر الشائعات عن رفض رئيس الجمهورية مقابلة البابا،وعقد اجتماعات أسفرت عن رفض قانون الردة وإعلان الصوم الانقطاعى تعبيرا عن هذا الرفض

والتشكيك فى حياد رجال الشرطة وسلطات التحقيق،وذلك كوسيلة للضغط على المسئولين للاستجابة للمطالب الطائفية ومنها منع تطبيق الشريعة الإسلامية.

أما الاتهام الأكبر الذى وجه للبابا شنودة، فهو أنه يسرب الشائعات عن تكاثر أعمال التعدى على المسيحيين فى مصر للتشكيك فى استقرار البلاد وإثارة الرأى العام العالمى لتشويه سمعة مصر فى الخارج،وحرض أبناء طائفته من الأقباط على تخزين الأسلحة والاستعداد لمواجهة المسلمين ومهاجمتهم.

الأخطر أن الاتهامات لم تحاصر البابا شنودة من مباحث أمن الدولة فقط،ولكنها جاءته من هيئة قضايا الدولة، فقد قدمت مذكرة فى ٨ مارس ١٩٨٣ أثناء تداول القضية بين البابا والحكومة.

مذكرة هيئة قضايا الدولة سعت إلى تأكيد دور البابا شنودة فى إشعال الفتنة الطائفية ،وذلك من خلال الدعوة التى وجهها إلى أعضاء المجمع المقدس لحضور اجتماع والقرار الصادر عن الاجتماع ونصه:

«بعد أن درس المجمع المقدس حالة الأقباط بالتفصيل والشكاوى العديدة التى وجهت منهم فى كل المحافظات بمصر، ومن الطلبة فى المدن الجامعية وخارجها وما يتعرض له الأقباط من إهانات وشتائم واتهام بالكفر وألوان من الاعتداءات على أرواحهم وكنائسهم وخطف الفتيات المسيحيات وتحويل البعض عن دينهم بطرق شتى،قرر المجمع المقدس إلغاء الاحتفالات الرسمية بعيد القيامة المجيد هذا العام والاكتفاء بالصلاة فى الكنائس مع عدم تقبل التهانى بالعيد وذلك تعبيرا عن الآلام التى يعانيها الأقباط،كما قرر أعضاء المجمع المقدس الاعتكاف فى الأديرة خلال العيد.

كان لهذا القرار صداه الواسع.

ففى نفس توقيت هذه الأحداث قام الأقباط المصريون فى الولايات المتحدة بمظاهرات أمام مقر الرئيس بواشنطن، ومقر الأمم المتحدة مطالبين التدخل

لحماية أقباط مصر من المذابح، ونشرت صور المظاهرات بمجلة الأقباط فى أمريكا،ونشرت المجلة أيضا العديد من المقالات التى تتهم السلطات بالتؤاطو فى تنفيذ مخطط إسلامى للقضاء على المسيحيين،كما نشرت مجلة الكرازة التى يصدرها البابا شنودة العديد من المقالات التى تنطوى على تجريح الدين الإسلامى وتصوير بعض الحوادث الفردية على أنها حوادث طائفية.

كل هذه الأحداث والوقائع والاجتماعات تبرأ منها البابا شنودة تماما،بل حاول أن يظهر نفسه بالحريص على الوحدة الوطنية، ورد الاتهام لمن جاء منه،حيث اعتبر أن الرئيس السادات هو صانع الفتنة الطائفية وليس هو.

يشير البابا شنودة إلى نقطة فى غاية الخطورة والأهمية،حيث يقول: إن الرئيس السادات جعل من مخاصمته فى سة ١٩٨٠ أمرا شخصيا،رغم أنه أى السادات هو الذى خلق الفتنة وشجع الجماعات الإسلامية على الاعتداءات على المسيحيين وأملاكهم وكنائسهم رغم أن الكنيسة حذرته من ذلك،ودأب على اتهام البابا بالعمل بالسياسة.

وينفى البابا أن يكون اشتغل بالسياسة، لأن معنى الاشتغال بالسياسة أن ينضم الشخص إلى أحد الأحزاب،والبابا لم ينتم لحزب معين ومواقفه الوطنية - كما قال هو - فى مساندة الدولة معروفة للكافة.

لا يكتفى البابا إذن بأن يصور نفسه على أنه ضحية ومظلوم، وأن كل ما يروج من حوله كذب وافتراء،بل إنه يتهم من اتهموه بنفس الاتهام.

إن هناك وثيقة صوتية لا يمكن إنكارها، حذر فيها البابا شنودة الرئيس السادات من أن يلعب مع الجماعات الإسلامية بعد أن أخرج الإخوان المسلمين من السجون واحتضنهم ومد لهم فى جسور الود،بل ومنحهم كل ما يريدون.

ففى كلمة ألقاها البابا شنودة أمام الرئيس السادات قال له بيتين من الشعر:

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى   فلما قال قافية هجانى

كان البابا يقصد علاقة الرئيس السادات بالجماعات الإسلامية، وقد خدمته الأقدار عندما اغتيل الرئيس السادات على يد الجماعات الإسلامية،لقد أخذ الأقباط من اغتيال السادات دليلا على أن البابا شنودة كان مظلوما،وأن عاقبة ظلمه كانت فى نحر الرئيس واغتياله على يد من احتضنهم وساعدهم.

ليس ذلك وفقط... بل أصبح هناك ما يشبه الأسطورة،فها هو الأنبا شنودة يقف أمام الرئيس السادات وبين رجاله ويتنبأ بموته، بل وقتله على يد الجماعات الإسلامية، لكن الرئيس لم ينتبه، ولم ينتبه كذلك أحد مَن رجاله، فكأن البابا كان ينطق بكلمة الغيب.

لقد أصبح البابا شنودة هو الذى على حق لأنه هو الذى بقى،لو كان الرئيس السادات نجا من القتل،لكان ما قاله الأنبا شنودة راح أدراج الرياح دون أن ينتبه له أحد،ولما كانت هناك أسطورة اسمها نبوءة البابا بقتل الرئيس.

رابعا:يأخذ البعض شنودة من الصمت حيلة قوية فى مواجهة أمن الدولة وما تفعله معه وبه،لا يتحدث فيما يتعرض له الأقباط من مشاكل، فى لقاءاته الجماهيرية التى توجه له فيها الأسئلة الواضحة عن رأيه ووجهة نظره، يعتصم بالصمت، يقول: إن الرب يتحدث بالنيابة عنه، وأنه لماذا يتكلم؟... والله يعلم كل شيء.

- يعتبر البعض هذا السلوك من البابا شنودة قمة الحفاظ على الوحدة الوطنية، إنه لا يريد أن يشعل النار، ولا يريد أن تتأزم الأمور أكثر مما هى متأزمة، إنه يصمت فقط لأنه يعرف أن الله يدافع عنه، وقد يكون فى هذا الكلام منطق صحيح إلى حد بعيد.

لكن عندما نقلب هذا المنطق على وجه آخر، نرى فيما يفعله البابا شنودة خطرا جسيما محدقا،ولو أنه تكلم لكان أهون، إنه يشعل الصدور بالغضب، فالبابا لا

يصمت لأنه يريد ألا يتحدث، ولكنه حتما ممنوع من الكلام، وأن هناك من يمنعه ويرفض أن يكشف الحقائق الكاملة التى يعرفها وحده.

إن صمت البابا بهذه الطريقة صمت تحريضى، يقول للأقباط الذين يحيطون به ويقدسونه أنه مرغم على الصمت وليس أمامه إلا الله وحده ليشكو له همه وحزنه وهوانه على الناس.

خامسا: وكما يستخدم البابا شنودة الصمت كسلاح قوى ومؤثر فى مواجهة أمن الدولة وما تفعله، فإنه يستخدم سلاح البكاء، فى فترات الأزمات التى تحيط بالكنيسة، لا يتحدث البابا، بل يكتفى بأن يعبر عن غضبه بالبكاء، وهى حيلة أعنف وأقسى، فكيف لملايين الأقباط وهم يرون راعيهم لا يقدر على الكلام وفى الوقت نفسه يبكى من شدة الضعف والعجز.

إن هناك من يدلس ويقول :إن ابابا بذلك يصون ويحمى الوحدة الوطنية،لكن حقيقة الأمر وما يعرفه البابا شخصياً أن الصمت والبكاء هما أقوى سلاح يرفعه فى وجه من يحاربونه ويعاندونه...ولذلك فهو يستخدمه دون أن يمله ولو طال به الزمن.

سادسا:الاستضعاف...فى كل مرة تتعرض الكنيسة لاعتداء أو يتعرض الأقباط لعنف من المسلمين أو من أجهزة الأمن، يلتزم الأقباط بمدرسة البابا شنودة، لا يردون الاعتداء، يكتفون بالصمت: لكن وبعد أن تطورت وسائل التكنولوجيا الحديثة،وأصبح كل شيء يسجل بالصوت والصورة، أصبح الأقباط يأخذون من استضعافهم سلاحا جديدا، فكل هذه الاعتداءات يتم تسجيلها كاملة لتعرض على العالم ليرى إلى أى مدى يتم اضطهاد الأقباط فى مصر.

إن البابا شنودة يدير معاركه مع أمن الدولة بعناية شديدة،يعرف أين يقف تماما وإلى أين يتجه،يعرف وحده المفاتيح: يعرف متى يناور، ومتى يصمت ومتى يتحدث، ومتى يربح ومتى يتنازل، لأنه يعرف أنه هو وحده الذى سيكسب فى النهاية.

البابا فى تقارير أمن دولة مبارك

6

فى تقديرى أن التقرير الساخن والحاد الذى أغدته مباحث أمن الدولة عن البابا شنودة فى الأيام الأخيرة للرئيس السادات،كان تقريرا مقصودا لخدمة الرئيس الذى قرر أن يدخل فى معركة تكسير عظام لا رحمة فيها مع البطرك،وفى هذا السياق يأتى التقرير مبررا ومفهوما.

لكن التقرير الذى أعده نفس الجهاز بعد حوالى ٢٤ سنة لا يمكن أن نفهمه ولا نبرره ولا نعرف له منطقا ندخل إليه منه.

قد تكون هناك مشاكل فى العلاقة التى تربط بين البابا شنودة والرئيس مبارك،لكنها فى النهاية تظل خلافات فى القاع لا أحد يعرف عنها شيئًا،فقد حرص

الرئيس مبارك منذ اللحظة الأولى له فى الحكم أن يجعل نفسه بعيدا عن المشكلات والأزمات،لا يجعل نفسه طرفا فيها،يحتفظ لنفسه فقط بدور الحكم والفيصل،فهو كبير العائلة الذى لا يجب أن يتورط أو يورط نفسه فى شيء يؤخذ عليه بعد ذلك.

البابا شنودة هو الآخر نأى بنفسه عن الدخول فى مشكلات أو صدامات مباشرة مع الرئيس مبارك كما فعل مع الرئيس السادات،نزل بنفسه بسقف المعارضة من الرئيس إلى رجاله من الوزراء والمحافظين أحيانا،ثم وطوال الوقت رجال أمن الدولة الذين اعتبرهم شنودة خصما دائما له لا يتراجع عن النيل منه وتقديم الشكاوى ضدهم لدى أعلى المستويات فى الدولة.

تقرير أمن الدولة هذا المرة بدأ الإعداد له،فى العام ٢٠٠٥،وتسرب للمرة الأولى، بعد أن تسربت وثائق من المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية الذى يرأسه البابا شنودة تشير إلى أن رجال الكنيسة يبايعون الرئيس مبارك ويختارونه رئيسا للجمهورية فى انتخابات ٢٠٠٥ .

حاولت الكنيسة أن تنكر صحة هذه الوثائق والمستندات،لكنها لم تصمد بعد أن نشرت صورا زنكرغرافية لها فى الصحف.

كان من المتوقع أن تحصل الكنيسة على مقابل مساندتها للرئيس مبارك فى الانتخابات الرئاسية،لكن ما حدث كان شيئًا مختلفا تماما،فبعد الانتخابات الرئاسية فى ٢٠٠٥ دخلت الكنيسة فى صدامات متتالية ومتابعة مع النظام المصرى،وقد لعب فيها أمن الدولة دورا رئيسيا.

دور أمن الدولة فى الصراع بين النظام والكنيسة كان له ما يبرره،فقبل الانتخابات الرئاسية بقليل كانت مشكلة وفاء قسطنطين قد انتهت بالكاد،وكانت الكنيسة قد انتصرت فيها على أمن الدولة،عندما صدرت تعلميات رئاسية بتسليم وفاء التى كانت حتى هذا الوقت فى يد أمن الدولة ولا أحد يعرف عنها شيئًا.

كانت هناك رغبة فى رد الصفعة للبابا - وهو ما سنأتى على ذكره لاحقا - ، ويبدو أن من بين آليات تنفيذ هذه الرغبة كان هذا التقرير الذى تكون من ١١٤ ورقة فلوسكاب وحمل كلمة سرى للغاية،وأعده الجهاز للعرض على الرئيس مبارك مباشرة.

عنوان التقرير كان محددا وهو« تقدير موقف حول نشاطات مريبة للبابا ومعاونيه للإضرار بصورة مصر فى الخارج».

عنوان التقرير من البداية يشى بما فيه، فهو ليس تقريرا حول نشاطات البابا،ولكنه حول النشاطات المريبة،ولم يترك التقرير تقدير الموقف لآخرين،ولكنه قرر منذ البداية أن هذه التحركات كان الهدف منها هو الإضرار بسمعة وصورة مصر فى الخارج،وهو ما يجعلنى أستبعد أن يكون هذا تقريرا،فهو ليس إلا بلاغا للرئيس ضد البابا شنودة وما يقوم به، ليس هو فقط، ولكن هو ومعاونيه أيضا.

العمود الفقرى للتقرير تضمن الإشارة إلى تحركات البابا على مدى عام كامل ما بين العامين ٢٠٠٥ و٢٠٠٦،وكذلك تحركات وتنقلات رجال الكنيسة الكبار واتصالاتهم الخارجية فى الفترة ما بعد انتخابات الرئاسة ولقاءاتهم مع عدد من الشخصيات الدينية والسياسية فى الخارج.

تطرق التقرير كذلك وبشكل مفصل إلى حركة تجديد وبناء الكنائس،وكان التقرير كريما فى إسباغ الوصف على هذه الحركة عندما قال : إن حركة بناء الكنائس كانت تتم بلهفة بالغة ودون تحفظ من ردود فعل الغالبية المسلمة فى أحياء ومناطق شعبية يغلب عليها الدين وعدم التساهل مع الجيران الأقباط.

المساحة الأهم فى هذا التقرير - تؤيد ما ذهبت إليه - تؤكد أن حادثة وفاء قسطنطين كانت مفصلا أساسيا فى العلاقة ما بين البابا وأمن الدولة.

تحدث التقرير عن شبهات تحيط بموقف البابا الرسمى خلال أزمة تحول وفاء

قسطنطين زوجة الكاهن القبطى إلى الإسلام،وميله خلال هذه الأزمة المفتعلة إلى التصعيد والصدام .

استدل التقرير على أن البابا كان يخطط للتصعيد خلال هذه الأزمة من خلال المحاورات التى تمت بين البابا وعدد من قيادات أمن الدولة فى الفترة الأولى للأزمة،وكان يحضرها سكرتيره الشخصى – فى الغالب هو الأنبا يؤانس– لم يكن البابا يستمع إلا لرأيه ولكلامه ولم تكن عنده أية رغبة فى التفاهم من أجل أن تمر الأزمة دون تصعيد.

منح البابا شنودة من كتبوا التقرير مساحة مهمة ليؤكدوا أنه كان يخطط للتصعيد منذ البداية،فقد لجأ كعادته القديمة خلال عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات إلى إعلان الاعتكاف فى دير وادى النطرون،وهى حيلة يلجأ إليها باستمرار للضغط على الدولة وإحراج المسئولين الذين تدخلوا شخصيا لحل الأزمة وإعادة السيدة إلى ديانتها الأولى ووأد الفتنة، التى وصلت إلى حد رصد اتصالات هاتفية جرت من داخل الكاتدرائية تتضمن إشارات الاستعداد للتهييج والمواجهة مع أجهزة الأمن خارج القاهرة إذا لم يعط البابا إشارة حل الأزمة وإعلان عودة المرأة المسيحية إلى الكنيسة من جديد.

لم يكن هناك جواسيس إذن من داخل الكنيسة.

فالتقرير يكشف عن مصادره ببساطة،فهناك تسجيلات للمكالمات الهاتفية التى جرت من داخل الكنيسة، وقد لا يكون البابا شنودة أجراها بنفسه، ولكن أجراها عدد من رجاله بالكنائس فى المحافظات،والمعنى خطير، فتقرير أمن الدولة يتهم البابا شنودة صراحة بأنه كان يخطط لثورة شاملة يقوم بها الأقباط فى كل محافظات مصر إن لم تحقق الحكومة رغبته.

كان أحد هموم التقرير الأساسية والمهمة فيما أعتقد هو إظهار البابا شنودة فى مظهر الرجل العنيد والمتعنت الذى لا يتفاهم، ليس مع المسؤولين الصغار فقط،

ولكن مع المسئولين الكبار أيضا، ويشير التقرير فى هذا السياق إلى مكالمة هاتفية تمت بين البابا ووزير الداخلية حبيب العادلى.

يقول التقرير بالنص: «لقد واجه اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية تعنتا شديدا خلال حديثه تليفونيا مع البابا فى اليوم الثالث لتظاهر واعتصام شباب الأقباط الذى تم استدعاؤه لهذا الدور من محافظات أخرى،وبلغ تعنت البابا إلى حد إبلاغ وزير الداخلية بأن المكالمة انتهت».

الأمر لا يخرج عن كونه سطرين فقط فى تقرير وصلت عدد سطوره إلى حوالى ٢٢٩٦ سطرا ،لكن السطرين فى حقيقة الأمر يملكان دلالات كثيرة وبالغة الأهمية والخطورة ،ويمكن أن نجملها فى الآتى:

أولا: لا يتعامل البابا على أنه مجرد أب روحى للأقباط ولكنه يصدر نفسه على أنه حاكم فعلى للأقباط، فإذا كان الرئيس مبارك يحكم المصريين فإن البابا شنودة يحكم الأقباط، وهو بهذه الصفة يتم التعامل والتفاوض معه.

ثانيا: يسعى المسؤولون المصريون بمنتهى الرفق للتفاوض مع البابا شنودة، وهو تفاوض فى النهاية يسعى أصحابه من خلاله إلى استرضاءه بأى طريقة،وأعتقد أن حبيب العادلى وزير الداخلية لم يتصل بالبابا شنودة إلا من أجل أن يصل إلى صيغة وسط لحل أزمة كادت أن تحرق الأخضر واليابس فى مصر،ولابد أن الوزير كانت لديه حلول وسط كثيرة، لكن البابا رفضها جميعا وأصر على ما فى رأسه فقط وليذهب الجميع بعد ذلك إلى الجحيم، حتى لو كان من بين هذا الجميع الوطن بأكمله.

ثالثا: تطرق التقرير إلى لحظة الختام فى المكالمة التى لم تكن ودية بأى حال من الأحوال بدليل أن البابا شنودة أخبر وزير الداخلية أن المكالمة بينهما انتهت،وهو توصيف مهذب جدا لما يمكن أن يكون جرى بينهما.

وفى ذلك دلالة على أن البابا شنودة يشعر بالقوة والامتلاء والمساندة للدرجة التى دفعته إلى أن يغلق التليفون فى وجه وزير الداخلية غير عابئ بما يمكن أن

يجرى،هذا فوق أن ما حدث لا ليـقة فيه من أى وجه من الوجوه.

رابعا: مثل هذا التقرير ،وتحديدا فإنّ هذين السطرين يمكـن أن يثلجـا صـدور كثيرين من الأقباط، فالرجل الذى يحكمهم شجاع ولا يخشى شيئًا، فها هو يغلـق التليفون فى وجه وزير الداخلية دون أن يخاف أو يقدر لذلك أى حساب.

خامسا: لا يمكن أن نصف التقرير بعد هذين السطرين بأنه مغرض أو أنـه أعـد من أجل الانتقام من البابا لأنه أحرج وزير الداخليـة بهـذه الصـورة غير اللائقـة، فـالتقرير فى النهايـة حـاول أن يرصـد الوقـائع، صـحيح أنـه حملهـا بوجهـة نظـر مسبقة،لكن القرار فى النهاية لم يكن متروكا لرجال الداخلية بل كـان متروكـا لمـن رفع إليه التقرير وهو الرئيس مبارك شخصيا.

ورغم خطورة ما يحمله التقرير حتى الآن، إلا أن الأخطر لا يزال طى السـطور والصفحات، فما خفى دائما يكون أعظم وأضخم وأفخم وأخطر.

يرصد التقرير أنه فى الثانى عشر من سبتمبر ٢٠٠٥ عقد البابـا شـنودة اجتماعـا مع عدد من رجاله المقربين، وكان مضمون ما قاله لهم هو أن يستفيدوا من ضعف الحكومة خلال الأيـام القادمـة وأن يخصصـوا المكاسـب القبطيـة لمواجهـة أى تطرف إسلامى قادم خاصة أن استمرار نظـام الـرئيس مبـارك نفسـه لم يعـد أمـرًا مضمونا وذلك لعوامل كثيرة.

بعد هذا اللقاء الخاص صدرت أوامر من البابا شنودة، وذلك طبقـا للتقريـر إلى عدد من رجاله المقربين بالسفر خارج مصر، والقيام بجولات فى الـبلاد الأوربيـة والولايات المتحدة الأمريكية، وعقـد مقـابلات مـع شخصـيات أمنيـة وسياسـية رسمية فى تلك الدول .

لا يرصد التقرير أوامر البابا شنودة لرجاله بالسفر إلى الخارج فقط،ولكنه تطرق إلى ما دار فى هذه اللقاءات،حيث حمل رجال البابا شكاوى بنفس المضـمون متفـق عليها ومكلفا بها من قيادة الكنيسة، تدور حـول التضـييق الرسـمى عـلى حريـات

الأقباط وحقوقهم العادية كمواطنين إلى حد الادعاء بحرمانهم من إقامة الشعائر فى الكنائس التى يشيدونها من أموالهم الخاصة رغم صدور قرار السيد الرئيس بتفويض رؤساء الأحياء فى إصدار تصاريح تجديد وبناء الكنائس القبطية.

تقرير أمن الدولة خص من المقابلات الكثيرة التى تمت بناء على أوامر البابا ثلاث مقابلات قام بها ثلاثة من رجال البابا شنودة الكبار وهم الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس، والأنبا يؤانس سكرتير البابا الشخصى، والأنبا بولا أسقف الغربية والمسؤول عن ملف الأحوال الشخصية فى الكنيسة.

جرت هذه المقابلات مع شخصيات ذات حيثية ومنهم مساعد رئيس لجنة الشؤون الخارجية فى الكونجرس الأمريكى،والكاتب الشهير توماس فريدمان وهو قريب الصلة بالبيت الأبيض،وجون ليبرمان أحد التنفيذيين فى مكتب رئيس المخابرات الأمريكية السابق جورج تينت قبل إقالته.

قد يتعامل البعض مع هذا التقرير على أنه مجرد تقرير انتقامى،فالنشاط الخارجى للبابا شنودة وكذلك النشاط الخارجى لرجاله وما يفعلونه ليس خافيا على شيء،ثم أن هناك معلومات مؤكدة أن الكنيسة تطلع الجهات الأمنية على كل المقابلات الخارجية التى يقوم بها رجالها، لكن فى الغالب هذه هى لهجة أمن الدولة فى كتابة تقاريرها ،فالجميع متهمون حتى يثبت العكس،وهو أمر طبيعى،فهو جهاز أخذ على عاتقه أن يحمى الأمن الداخلى لمصر،وفى سبيله إلى تحقيق هذا الأمن فإنه يفعل كل شيء،حتى لو ضاعت فى سبيل ذلك كل القيم.

وكما يقول كاتب العربية الأكبر نجيب محفوظ فى ختام قصته القصيرة «الجريمة» :كل القيم مهدرة ..لكن الأمن مستتب.

ليس هناك ما يشير إلى أن هذا التقرير لعب دورا فى العلاقة بين النظام والكنيسة، لكنه فى الغالب أيضا تم التعامل معه على أنه مجرد ورقة من أوراق اللعب الكثيرة التى توضع فى الملف الكبير الذى يحكم العلاقة بين الدولة ممثلة فى رئيسها

ورجاله والكنيسة ممثلة فى البابا تنودة شخصيا.

وهذا – بالطبع – شكل من أشكال التعامل بين الكنيسة والنظام فى عهد الرئيس مبارك،فلا عداء طول الوقت ولا صلح طوال الوقت،لكن فى الغالب مصالح مشتركة،وفى إطار هذه المصالح فإن هناك محاولات دائمة ودؤبة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب الدنيوية بالطبع.

قد يكون هذا التقرير أهمل تمما ولم يلتفت له أحد، وقد تكون العلاقات بين حبيب العادلى والبابا شنودة قد عادت كما كانت قبل المكالمة التاريخية العاصفة بينهما،لكن هذا الإهمال لن يدوم إلى الأبد،سيأتى يوم ويخرج هذا التقرير إلى النور ليدان به البابا شنودة،أو على الأقل يدان من سيأتى بعده.

فمن سيأتى بعده سيكون واحدا من رجاله الذين اجتهدوا فى تنفيذ أفكاره وأوامره،ولابد أنه حمل من أوزار أمن الدولة الكثير،وسيأتى يوم الحساب إن آجلا أو عاجلا.

هذا التقرير يؤكد أن الأقباط ليسوا فى مأمن من أمن الدولة، فما دام البابا يعقد اللقاءات السرية ويصدر الأوامر السرية، فإن أمن الدولة سيظل يلاحقه ليس من خلال العيون التى تملأ الكنيسة من بين رجال البابا أنفسهم،ولكن من خلال أجهزة التكنولوجيا الحديثة التى تتيح التصنت والتسجيل بالصوت والصورة.

إن البابا شنودة يعمل ومنذ أن جاء إلى الكرسى البابوى على أن هناك كنيسة علنية، هذه التى يعرف عنها الناس كل شيء.

وهناك كنيسة سرية لا يعرف أحد عنها شيئًاولا ينبغى لهم أن يعرفوا شيئًا عنها مطلقا.

ومن بين أصول هذه الكنيسة السرية الدور السياسى الذى يلعبه البابا،وهو ما يؤكد أن البابا سيظل يخفى دوره هذا عن العيون،وأن أمن الدولة سيظل يفتش عما يقوم به البابا...ولن تنتهى لعبة القط والفأر بينهما.

خطة إذلال البابا

7

من بين ما يذهب إليه المهتمون والمتابعون لدور أمن الدولة ، أن الجهاز بين وقت وآخر،تدبر عملية كبيرة تشغل بها الرأى العام وتلفته عن قضايا كبرى،والعمليات المناسبة لتطبيق هذه الفلسفة هى العمليات التى تعزف على وتر الدين،لأنه هو الوتر الذى لا يزال مشدودا فى مصر على آخره،أو بتعبير آخر يظل الدين مثل سلك الكهرباء العارى الذى ما أن تقترب منه حتى يصعقك.

المثال الواضح على هذا التفكير كان ما حدث فى قضية راهب دير المحرق،الذى نشرت جريدة النبأ قصته، وجعلت منه مثالا على الانحراف الجنسى فى الكنيسة،فهو يأتى بالنساء إلى حيث المذبح المقدس ولا يتورع عن

ممارسة الجنس معهن فى أطهر مكان بالنسبة للكنيسة.

لم يكن هذا الراهب اختراعا،فقد كان متورطا فى قضية تنظرها النيابة،حملت رقم ٧٦٥ لسنة ٢٠٠١ حصر أمن دولة عليا،ووجهت له النيابة تهمة استغلال الدين المسيحى فى الترويج لأفكار متطرفة بقصد إثارة الفتنة، وتحقير وازدراء هذا الدين.

كانت هذه هى حقيقة القضية، ولو نشرت بهذا الشكل لما أثارت الدنيا وأقامت الناس وكادت أن تحرق الشارع المصرى،فقد قذف ممدوح مهران – رئيس تحرير جريدة النبأ– فى وجه المجتمع بفضيحة متكاملة الأركان،كانت عناوينها فى الصفحة الأولى من عدد الجريدة الذى تعامل مع الحدث وكأن القيامة قامت دالة ومزعجة.

كانت عناوين الصفحة الأولى:

النبأ تنفرد بنشر الملف الكامل لأول فضيحة من نوعها تهز مصر بالوثائق والصور،بلاغ سيدة مسيحية يفتح ملف الانحراف داخل الكنيسة،تحويل دير المحرق بأسيوط إلى بيت دعارة على يد الراهب الكبير،الكاهن برسوم المحرقى يسخر الجان للإيقاع بالسيدات للاتى يرفضن رغباته،لقطات صريحة من أول فيلم جنسى صوره الكاهن لإبتزاز ضحاياه، الراهب المعجزة يمارس الجنس مع ٥ آلاف سيدة فى مذبح الكنيسة،الراهب الكبير مسح عورته فى ستر الهيكل المقدس بعد قضاء شهوته مع النساء فى مكان تجلى روح السيد المسيح.

هذه التفاصيل لم تكن فى ملف القضية، لكن ممدوح مهران نشرها من مصادره الخاصة كما قال بعد ذلك فى تحقيقات النيابة.

وكان السؤال هو:ما هى هذه المصادر الخاصة؟

فالقضية كانت فى النيابة،لكن الجريدة نشرت صورا جنسية فاضحة،على صدر صفحتها الأولى وعلى الصفحة اىثالثة منها،وهى صور حصلت عليها من شريط

فيديو يسجل لقاءات جنسية ساخنة بين رجل وامرأة.

أصابع الاتهام أشارت إلى أمن الدولة، فهى التى حصلت على الشريط، وهى التى سربته،وهى التى وقفت وراء النشر بهذه الصورة لتصنع حدثا ضخما تلهى فيه الناس.

حاول ممدوح مهران أن يوحى أن الشريط كان يباع لصالح الراهب وأنه حصل عليه من شخص مسيحى مقابل مبلغ كبير من المال،لكن ظل اتهام أمن الدولة فى القضية قائما.

ولم يكن بعيدا عن هذا الاتهام ملاحظة مهمة جدا،وهى أن شريط الفيديو الذى حصل منه ممدوح مهران على الصور الجنسية لم يكن له أدنى علاقة بالراهب،فبرسوم المحرقى شخص نحيل،أما الشخص الذى يظهر فى شريط الفيديو منقضا على امرأة بتوحش فهو شخص سمين رأسه كبير،وقد رجح البعض أن يكون هذا الشخص رجل أعمال شهير اتهم فى قضية تعدد زوجات،وأنه كان يسجل لقاءاته الجنسية بالصوت والصورة،وقد حصلت الأجهزة الأمنية على هذه الشرائط أثناء إدانته فى القضية.

وإذا اعتبرنا أن هناك قاعدة تقول: إن مباحث أمن الدولة يمكن أن تقف وراء صنع الفضائح الجنسية للفت الانتباه عن قضايا مهمة،وأن هذه القاعدة تنطبق بشكل أو بآخر على قضية راهب دير المحرق الذى أكدت الكنيسة أنه كان مشلوحا قبل هذه الواقعة،وأنه لا ينتمى لها من قريب أو بعيد، فإن هذه القاعدة لا تنطبق على قضية وفاء قسطنطين.

القضية ببساطة أن وفاء كانت موظفة فى الإدارة الزراعية بأبو المطامير بالبحيرة،وكانت زوجة كاهن أبو المطامير، قيل: إنها أسلمت وتركت بيت زوجها المريض لأنها لم تطق الحياة معه،وتزامن ذلك مع تعرضها لتأثيرات جعلتها تعتنق الدين الإسلامى.

بعد أن أزيح الستار عن القضية ظهر دور أمن الدولة وبقوة، فقد خرجت المظاهرات تطالب بعودة زوجة القس، وهتفوا فى ساحة الكاتدرائية بالعباسية «خطفوا مرات أبونا...وبكره هيخطفونا»، فى إشارة إلى أن المسلمين اختطفوا زوجة الكاهن.

كانت وفاء قسطنطين تحت تحفظ أمن الدولة فى أحد بيوت التكريس فى حلوان،وجرت مشاورات عديدة بين الكنيسة وبين المسؤولين فى وزارة الداخلية لتسليم وفاء للكنيسة،حتى ينتهى الأمر ويعود المتظاهرون الذين قرروا أن يخرجوا من ساحة الكاتدرائية إلى الشارع، لكن قيادات الداخلية رأت عدم تسليم وفاء،لأنها لو فعلت ذلك فإنها تخلق أزمة أخرى مع المسلمين الذين يتعاملون مع وفاء على أنها سيدة مسلمة ولا يجب تسليمها للكنيسة التى لا حق لها فيها الآن.

فى مواجهة رأى وقرار وزارة الداخلية ظهرت قوة البابا شنودة، الذى حمله المتظاهرون مسؤولية ما يجرى، وأنه يجب أن يعيد لهم زوجة الكاهن المختطفة، أجرى البابا شنودة اتصالات عديدة لكنها باءت جميعها بالفشل، فقرر أن يلجأ للحيلة التى يستخدمها دائما فى مثل هذه الظروف وهى الاعتكاف فى ديره بوادى النطرون حتى تستجيب الدولة لما يريده.

قبل أن يعلن اعتكافه... لم يأمر البابا شنودة الشباب الثائر أن يهدأ أو أن ينهى ثورته،رغم أنه كان قادرا على ذلك، فقد تركهم كورقة ضغط على الحكومة حتى تستجيب لما يريده، وأقدم هو على خطوة كان لها دور كبير فى تصعيد الأزمة مع رجال أمن الدولة، حيث أجرى اتصالا مع الرئيس مبارك انتهى إلى أمر رئاسى بتسليم وفاء قسطنطين إلى الكنيسة.

لم يكن أمام رجال أمن الدولة إلا أن يقوموا بتسليم وفاء إلى الكنيسة،لكنهم وحتى يحافظوا على ماء وجوههم أخروا تسليم زوجة الكاهن إلى الكنيسة ٢٤ ساعة كاملة، وهى الساعات التى اشتعلت فيها الأمور أكثر من اللازم، لكن

بمجرد تسليمها عادت الأمور إلى هدوئها مرة ثانية.

لكن ضباط أمن الدولة لم يفوتوا الأمر للبابا شنودة،خاصة أن هناك من أشار إلى البابا وأثناء إحدى مكالماته مع حبيب العادلى وزير الداخلية أثناء مفاوضاته لإعادة وفاء أنهى المكالمة من ناحيته قبل أن ينتهى الكلام بين الرجلين الكبيرين،وهو ما اعتبره رجال أمن الدولة إهانة كبيرة وجهها البابا لوزيرهم.

ظل ما جرى مثل النقطة السوداء فى سجل البابا شنودة لدى وزارة الداخلية،حتى جاءت أحداث محرم بك،وهى الأحداث التى شهدتها مدينة الإسكندرية فى العام ٢٠٠٦.

تفجرت الأحداث على ذمة «سى دى» يحمل مسرحية تحمل اسم «كنت أعمى فأبصرت»، لم ير أحد المسرحية، لكن ترددت شائعة أنها تحمل إساءة بالغة فى حق الرسول والقرآن الكريم، وأنها عرضت فى كنيسة محرم بك تحت إشراف ورعاية مباشرة من المسؤولين عن الكنيسة.

وجد المتطرفون من كل حدب وصوب أن ما جرى فى الكنيسة يمثل اعتداءً صارخا على الإسلام وعلى الرسول ﷺ ،وبدلا من التحقيق فى الأمر خرجت المظاهرات فى الإسكندرية تحيط بالكنيسة من كل جانب وتكررت الاعتداءات على الأقباط، واكتملت الصورة فى القاهرة من خلال مظاهرات فى ساحة الجامع الأزهر تحمل نفس الشعارات المنددة بما جرى فى المسرحية، ومطالبة برد من الكنيسة.

وهنا يظهر جهاز أمن الدولة مرة أخرى،كان هناك اتهام واضح للجهاز ورجاله أنهم كانوا وراء تسريب المسرحية إلى الجماعات المتطرفة فى الإسكندرية، وأنهم من حرضوا ضد الكنيسة ليفتعلوا أزمة يصبح البابا شنودة فيها وجها لوجه مع الجماعات المتطرفة تتصرف معه كيفما تشاء، فقد استطاع أن يهزم الدولة فى أزمة وفاء قسطنطين، لكنه هذه المرة لن يستطيع أن ينتصر، فالشارع الإسلامى كله

ضده.

وجد البابا شنودة نفسه بالفعل فى ورطة شديدة، فالمظاهرات الحاشدة فى القاهرة والإسكندرية تطالبه بشيء واحد وهو أن يقدم اعتذارا علنيا للمسلمين عما جرى فى هذه المسرحية، رغم أن هناك من أكد أن البابا لا علاقة له بالأمر، وأن هذه مسرحية من المسرحيات الكثيرة التى تعرض فى الكنائس، ثم أنها عرضت مرة واحدة، وليس فيها إساءة من بعيد أو قريب للإسلام.

المطالبة بتقديم الاعتذار لم تكن وحدها التى واجهت البابا شنودة، فقد خرجت بعض الجماعات المتطرفة بفتوى لإهدار دمه، وكانت هذه هى ذروة التصعيد.

انتهت الأزمة بتقارير رسمية من مكتب النائب العام أكدت أنه لا توجد مسرحية من الأساس، ولم يقدم البابا شنودة اعتذارا، واختفت الفتوى التى طالبت بإهدار دمه دون أن يكون لها أى أثر يذكر.

وهنا يظل السؤال قائما.

لماذا كانت هذه الأزمة من الأساس، مصدر أمنى قال لى: إن ما حدث فى محرم بك لم يكن إلا خطة وضعت فى جهاز أمن الدولة أطلق عليها «خطة إذلال البابا»،كان لابد أن يرد الجهاز كرامته المهدرة،وأن يلقن البابا درسا لا ينساه مطلقا،لأنه وقف ليتحدى الجهاز بغطرسة شديدة،وقد تحقق للجهاز ما أراده،فقد نجح فى أن يقف بالبابا شنودة على حافة الهاوية،وفى الوقت المناسب أنهى الأمر كله بإشارة منه.

هذا فى النهاية ليس إلا كلام مصدر أمنى، يمكن أن يكون صحيحا، ويمكن أن يكون مبالغة فى تفسير ما جرى، ولو صح فإن لذلك معنى واحد، وهو أن العلاقة بين البابا شنودة علاقة غامضة وملتبسة، ولا يفهم أبعادها إلا طرفاها فقط.



حقيقة اغتيال وفاء قسطنطين

8

فقرة قصيرة للغاية أدلى بها الدكتور زغلول النجار فى حوار صحفى نشرته جريدة الخميس التى أشرف على تحريرها،قال فيها : إنه علم من مصادره أن الأخت وفاء قسطنطين التى أعلنت إسلامها - لكن الكنيسة أصرت على أن تسعيدها - قد قتلت ،لأنها كانت قد أصرت على أن تظل مسلمة، وهو ما لم يعجب قيادات الكنيسة.

لم يذكر زغلول النجار شيئًا عن مصادره،وهل هى مصادر من داخل الكنيسة أم أنها مصادر أمنية،وقدر عدم قناعتى بما قاله زغلول النجار عن السيدة وفاء التى منحها لقب شهيدة،إلا أننى قررت نشر الحوار لأنه كان بمثابة الحجر الضخم

الذى ألقى به فى بحيرة راكدة.

اعتبرت أنه يمكننا أن نعرف مصير وفاء قسطنطين المجهول الذى تتكتم الكنيسة عليه،على اعتبار أن كلام زغلول النجار مستفز ولابد من الرد السريع والحتمى عليه، لكن للأسف الشديد حدث نوع من الفوران حول تصريح زغلول دون أن نعرف الحقيقة.

حاولت أن أقدم قراءة مختلفة لما جرى، كتبت عن «زغلول النجار ..... بطريقة غير مباشرة» وقلت:

على شريط كاسيت نملك نسخة منه قال الدكتور زغلول النجار: إنه عرف بطريقة غير مباشرة أن السيدة وفاء قسطنطين المسيحية التى قيل : إنها أسلمت ثم عادت إلى دينها مرة أخرى قتلت فى دير وادى النطرون،طلبت منها الكنيسة أن تخلع إسلامها وتعود إلى المسيحية مرة أخرى فرفضت، فلم يكن أمامهم إلا أن يقتلوها.

هناك مشكلة بالطبع فهذا الكلام نشرناه على صدر الصفحة الأولى،وغضب منه عدد كبير من الأقباط، عبروا عن غضبهم هذا فى مكالمات تليفونية ورسائل مكتوبة عديدة.

كان يمكن للكنيسة إذا كانت بريئة ومبرأة من اتهام زغلوا النجار أن تظهر لنا وفاء قسطنطين حتى لو كانت خارج مصر، كما قال القبطى الإنجيلى الدكتور رفيق حبيب منذ سنوات أن الكنيسة أرسلت وفاء هى وعائلتها خارج مصر إلى دولة بها غالبية قبطية دون أن يحدد اسم هذه الدولة.

إظهار وفاء كان أمرا سهلا، فالكنيسة تمتلك قنوات فضائيةِ عديدة يمكن من خلالها أن تستضيف وفاء لتتحدث وتنتهى هذه الفتنة.

لقد أشار زغلول النجار أنه واثق من معلوماته، وواثق أيضا من أنها أسلمت بعد أن قرأت أحد مقالاته كما حدث مع عشرات من مسيحيى مصر، الذين أسلموا

بعد أن قرؤوا مقالاته تحديدا فى الأهرام، لكننى فى الوقت الذى أعيب فيه على الكنيسة صمتها،أعيب على زغلول النجار دخوله فى مناطق شائكة، من شأنها أن تثير الفتن، ولو كان النجار يمتلك معلومات دقيقة لما كان فى الأمر شيء، لكنه فى كل مرة يتحدث يكتفى بأن يقول : إنه علم بطريقة غير مباشرة.

فعلها قبل ذلك عندما أعلن أنه يعرف الأماكن التى تمارس التنصير فى مصر ويعرف عناوينها والقائمين عليها، ولما طلبنا منه تحديدها قال: إنه عرف ذلك أيضا بطريقة غير مباشرة،ولا أدرى هل هذه مثلا طريقة جديدة فى الحصول على المعلومات فى مصر؟

ثم ماذا يريد زغلول النجار من الأقباط؟

إننا نتعامل معهم كمواطنين مصريين مثلهم مثل أى مواطنين آخرين،ندافع عنهم إذا تعرضوا لظلم، ونهاجمهم بشراسة إذا بدر منهم خطأ معين، لكن زغلول وغيره كثيرون لا يتعاملون مع الأقباط بهذه الطريقة، يرونهم أصحاب دين لابد أن يتركوه لأنه خطأ،لا يرضون عنهم، يسعون بكل قوة أن يجعلوهم مسلمين، ليتقربوا بذلك إلى الله سبحانه.

قد يكون لدى زغلول النجار العذر فى ذلك فهو فى النهاية داعية أو هكذا يصور نفسه للناس،أى أنه يبنى شهرته وتواجده ولقمة عيشه على الدعوة التى يتبناها،لكن الرجل الذى صدروه لنا على أنه عالم كبير،لا يعرف عن قواعد العلم شيئًا،لا يتعامل بالمنهج العلمى مع الأشياء، فهو أسير للخرافة، يلقى بتصريحاته على قارعة الطريق ويمضى دون أن يكون لديه دليل عليها.

إن تصريحا مثل قتل الكنيسة لوفاء قسطنطين يمكن أن يوغر الصدور، ولا أعرف من الذى يمكن أن يستفيد عندما يقوم شاب متحمس لدينه وينتقم من الأقباط لأنهم قتلوا امرأة يقول عنها زغلول النجار: إنها قتلت فى الدير لأنها رفضت أن ترتد عن الإسلام،بالطبع زغلول النجار سوف يرسل هذا الشاب إلى

الجنة ونعم المصير، لكنه لا يدرك أنه سيخلف وراءه فتنة عامة وشاملة لـن يقـدر أحد عليها.

حاول البعض أن يخفف من وقع ما حدث ونسبوا لزغلول النجار أنـه قـال :إن التصريح الذى نسب إليه بقتل وفاء لم يكن دقيقا وأنه تم تحريفه، ولو كان الـدكتور قال ذلك : فإننى اتهمه بأنه ليس صادقا لأن الكلام قاله بنصـه وبحرفـه وبحمـاس شديد لا يدل مطلقا على أنه من الممكن أن يتراجع عنه، قد يكون أدرك خطأه بعـد أن تفوه به، لكن لماذا لم يدرك خطأه فى كثير مما كتبه بعد ذلك.

هل لديكم تفسير مقنع لجرأة زغلول النجار فى صنع الفتنة فى مصر؟

هناك تفسيران

الأول: أن هناك جهات ودولاً يعرفها زغلول النجار تريد أن تؤسلم وجه مصـر فلا يبقى فيها قبطى واحد،وهذه الدول تدفع بسخاء،ولو كان زغلول النجـار عـلى علاقة بهذه الدول فهى مصيبة لأنه ينفذ أهداف غيره، ومؤكد أنه يحصل على ثمـن ذلك.

لكننى أستبعد هذا الاحتمال فالرجل عالم ولا يمكن أن يشترى بهذه السهولة.

الثانى :أن هناك جهات ودولاً تريد أن تنشر الفوضى فى مصر،والملف القبطـى بدوره قابل للاشتعال فى أى وقت،ولـذلك فـإن نـزع فتيلـه يحقـق فتنًـا وأزمـات ومعارك لا يمكن أن يتحملها أحد، ويوم أن تتحقق الفوضى فإن كل شـيء بعـدها يمكن أن يكون جائزا،فهل زغلول النجار جزء من هذه المنظومة التى تعمـل عـلى نشر الفوضى فى مصر؟

إجابة السؤال صعبة، فليست لدى معلومات مؤكدة عن دوافع زغلـول النجـار فيما يفعله،ولن أفعل مثله وأقول إننى عرفت بطريقة غير مباشرة،لكن ما يمكن أن أقوله: إن زغلول النجار صانع من صناع الفتنة فى مصـر..وأنـه مـدين للأقبـاط فى مصر باعتذار...فمتى يمتلك الشجاعة ويقدمه لهم؟

ما فعله زغلول النجار لم يكن نهاية أزمة،ولكنه كان بداية أزمة،وكان لابد من أن أبحث عن مصير وفاء قسطنطين.

أين هى؟

وهل قتلت بالفعل؟

أم أنها فى مكان سرى لا يعرفه أحد إلا عدد قليل جدا من رجال البابا شنودة.

وبالفعل بحثت وكتبت..وقلت:

لقد كانت أمام الكنيسة فى مصر فرصة ذهبية لأن تنتقم من خصم قوى وعنيد لها هو الدكتور زغلول النجار،بعد أن قال: إن الكنيسة قتلت وفاء قسطنطين، لأنها رفضت كل الضغوط التى مورست عليها وضدها حتى تعود عن إسلامها الذى تتمسك به وترفض رفضا قاطعا وباتا أن تعود مرة ثانية إلى المسيحية.

كان يمكن للكنيسة أن تخرج وفاء من مخبئها، تجعلها تتحدث ولو لدقيقة واحدة على أى من الفضائيات التى تملكها الكنيسة، تقول: أنا موجودة ولم أقتل، وأنا لا زلت على دينى، لكن الكنيسة تعاملت مع الموقف بغرور شديد، واعتصمت بأنه لا أحد يمكن أن يجبرها على شيء، وأصرت على أن تخفى السيدة التى كانت مثل الخنجر الذى اخترق صدر الكنيسة وهز عرشها.

لو أن الكنيسة فعلت ذلك، جعلت وفاء تتكلم، لكانت ربحت ما لم تربحه فى حياتها، كانت ستخرس زغلول النجار إلى الأبد،كانت ستظهره على أنه كاذب ولا يقول الصدق، بل إنها كانت ستلقى بظلال كثيفة على كل ما قاله قبل ذلك ويقوله الآن وما يمكن أن يقوله فى المستقبل، هذا إذا استطاع أن يقول شيئًا،أن تشكك فى مصداقيته لدى جمهوره العريض الذى يستمع إليه وينصت لكلامه ولا يظن لحظة أنه يمكن أن يقول كذبا.

لكن الكنيسة اختارت أن تتصرف بشكل مرتبك ولن يعود عليها بالنفع،بل سيجعل من يقتنعون بأن وفاء قسطنطين لم يمسسها سوء،يكفرون بهذا الاعتقاد،

وينحازون إلى ما قاله زغلول، فالذى يقول الكلمة الأولى دائما على حق.

التصرف الوحيد الذى لجأت إليه الكنيسة، كان من خلال المستشار نجيب جبرائيل الذى حمل أوراقه ونسخة من جريدة الخميس وذهب إلى مكتب النائب العام،ليقدم بلاغا ضد زغلول النجار، الدكتور نجيب حمل البلاغ بوصفه مستشار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ورئيس الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان.

بلاغ جبرائيل جاء فيه أن زغلول النجار أدلى كذبا بأقوال من شأنها أن تكدر السلم الاجتماعى، والعلاقة بين الأقباط والمسلمين، وتهدد الوحدة الوطنية.

اتهمه نجيب صراحة بالتشكيك في أحكام القضاء لأن ما قاله من أن الكنيسة القبطية أخفت وفاء قسطنطين، ثم قتلتها، لئلا تعود إلى الإسلام مرة أخرى، وهذا الكلام ليس جديدا ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يثار فيها،فقد قاله قبل ذلك الشيخ يوسف البدرى فى دعوى قضائية ،لكن نجيب جبرائيل قدم إلى المحكمة في ديسمبر ٢٠٠٧م وثيقة رسمية من نيابة عين شمس بخط يد وفاء قسطنطين قالت فيها : إنها ولدت مسيحية وسوف تعيش وتموت مسيحية، وقد حكم القضاء برفض دعوى البدرى آنذاك.

وهنا ملاحظة جديرة بالتسجيل فالحكم الذى يحمله نجيب جبرائيل، لا ينفى كلام زغلول النجار،إنه يشير به إلى قضية أخرى مختلفة تماما، فهو يعنى أن وفاء لا زالت مسيحية لكنه لا يحسم إن كانت على قيد الحياة أم أنها قتلت فعلا،كان يمكنه أنه يصطحب وفاء إلى مكتب النائب العام ويقدم البلاغ باسمها،هذا إذا كان يريد للفتنة أن تموت فى مهدها، لكن شيئًا من هذا لم يحدث.

على كل حال تلقف موقع «العربية نت» تصريحات النجار وخبر الدعوى القضائية التى أقامها جبرائيل،وعبر اتصال تليفونى من القاهرة قال جبرائيل للموقع:إن عودة زغلول النجار اليوم ليفجر المشكلة مجددا، معناه أنه يشكك في حكم القضاء، ومن ناحية أخرى، كونه اعتاد الإبلاغ أو التصريحات كذبا، فليست

هذه هي المرة الأولى، وإنما سبق أن تقدمنا ببلاغ ضده، يخضع حاليا للتحقيق فى مكتب النائب العام، بسبب إهانته للكنيسة لأنه وصف الكتاب المقدس ب «المكدس»، والإنجيل بأنه محرف، ونسب للكنيسة أنها تقوم بالتنصير والتبشير بالقرب من مزارع دينا على طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوى فى أماكن أعدت للمسلمات لتسفيرهن دون أن يقدم دليلا واحدا على كلامه أو إدعاءاته.

وأضاف جبرائيل :طلبنا من النائب العام ضم هذا البلاغ إلى بلاغنا الذى ما زال قيد التحقيق، وطلبنا بمحاكمة عاجلة لزغلول النجار.

القضية ساخنة ولا يمكن أن تمر بسهولة خاصة أن زغلول النجار سيكون مضطرا لأن يمثل أمام النائب العام للتحقيق معه فى التصريحات التى أدلى بها،وإذا كان قال لنا: إنه عرف بطريقة غير مباشرة،ففى مواجهة النائب العام لن يستطيع أن يستخدم هذه الصيغة،بل سيكون مطالبا أن يقدم الدليل على كل كلمة قالها،أو أى اتهام اتهم به الكنيسة خاصة أن الاتهام هذه المرة بالقتل،وهو ما يعنى أن هناك واقعة مادية،وأن هناك جثة تم دفنها فى مكان ما،وأن هناك قاتلاً ارتكب جريمة،وأن زغلول النجار لابد أن يرشد عن كل ذلك أو على الأقل بعض منه.

مشكلة زغلول النجار هو كفيل بها،وسيواجه مصيره أمام الجهات القضائية، لكن القضية الأهم والأكبر الآن هى فعلا أين وفاء قسطنطين؟

لا أخفيكم أنى متعاطف جدا مع هذه السيدة التى أيا كان ما فعلته،أسلمت أو عادت للمسيحية، فإن الأمر لم يكن يستدعى أبدا كل هذه الضجة التى أثيرت ولا زالت تثار حولها، لقد دفعت الثمن وحدها، وهؤلاء جميعا من الرجال الأشداء الذين يتقاتلون حولها، ويعبثون بسمعتها وشرفها ودمائها هم الرابحون الأبطال والعظماء.

زغلول النجار يريد أن ينسب إلى نفسه أنه كان السبب المباشر فى إسلام وفاء، وأنها دخلت الإسلام على يديه، وبالطبع أن يسلم على يديك إنسان خير لك مما

شرقت عليه الشمس وغربت، قال : إنها أسلمت بعد أن قرأت أحد مقالاته فى جريدة الأهرام عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم وإن كنت أشك فى ذلك،لأن الرجل يكتب من الأساس مقالات غير مفهومة، هذا إذا استطعت أن تكمل له مقالا حتى آخره.

ويوسف البدرى الذى ظل طويلا يدافع عن وفاء قسطنطين،وتقدم بعدة دعاوى قضائية ضد الكنيسة ليستخلصها منها، يريد أن يبدو فى النهاية كمقاتل عظيم من القرون الوسطى، يحارب من أجل الإسلام، يبكى عليه ويزود عن حوضه ويحارب الأقباط المجرمين الذين يريدون أن يخطفوا وفاء، وكأن وفاء لو أخذها المسلمون فستتحرر القدس وتعود إلينا فلسطين وسيخرج الأمريكان من أرض العراق وينصلح حال المسلمين ويصبحون فى مقدمة الأمم.

حتى الدكتور نجيب جبرائيل الذى سارع بتقديم دعوى قضائية ضد زغلول النجار، يضع فى ذهنه أنه حامى حمى وفاء قسطنطين، والمدافع عنها وعن حمى الكنيسة، والذى لن يهدأ له بال حتى يصمت هؤلاء الذين يريدون أن يختطفوا وفاء من أحضان الكنيسة.

الكل يتصارع حولها وهى الوحيدة المسكينة التى لا تتكلم، الجميع يتكلم باسمها وينسب لها التصريحات دون أن ندرى من الذى يتحدث عنها بصدق، ومن يكذب ويختلق الأحداث ؟ وهل هى موجودة فعلا ، أم أنها قتلت،وإذا كانت قتلت فمن فعلها وأين دفنت،وهل وصل الإجرام برجال الكنيسة إلى هذا الحد من القسوة؟ وإذا كانت حية ترزق فأين تعيش وماذا تفعل بالضبط؟ هل أجبرتها الكنيسة على أن تختفى؟ أم أنها اختفت بإرادتها وابتعدت عن الأضواء التى احترقت بنارها،فقد خربت بيتها بيديها،الفضيحة وموت الزوج وتشرد الأولاد، انتهى بها عهد دفء البيت واستقرار العائلة وأصبحت وحيدة يتحكم فيها وفى مصيرها الآخرون؟

. كانت هذه الأسئلة هى شغلى الشاغل.

جعلت الإجابة عليها هدفى.

لقد قيل: إن وفاء قسطنطين غادرت مصر وسافرت إلى دولة بها أغلبية مسيحية دون أن يحددوا لنا اسم هذه الدولة ولا متى خرجت وفاء إليها،وقد يكون هذا السيناريو معقولا خاصة أن الأمن كان يريد أن يتخلص من وفاء بأى طريقة،وفى اللحظة التى تقترح فيه الكنيسة أن تخرج ، فإن رجال أمن الدولة لم يكن ليترددوا ولو للحظة واحدة،فالأمن فى الغالب يتصرف على طريقة شيوخ الخفر فى القرى،فليس مهما أن تقع الجريمة على أرضك، لكن المهم ألا تظل الجثة فيها، وإذا كانت وفاء قد أزعجتهم كل هذا الإزعاج فلماذا لا يتخلصون منها ما دام التخلص منها فيه راحة للجميع؟

قيل أيضا : إن وفاء ذهبت إلى وادى النطرون،وكانت تحت إشراف البابا شنودة شخصيا،وأنه كان يرعاها ،وبعد أن تأكد من استقرارها النفسى وعودتها إلى سابق إيمانها المسيحى،وفر لها وظيفة فى الكاتدرائية بالعباسية تناسب قدراتها،فقد كانت موظفة سابقة فى الإدارة الزراعية بالبحيرة،فعملت عملا إداريا فى الكاتدرائية،وهو ما لم يتأكد لأحد،فكل الذين ترددوا على الكاتدرائية وحاولوا أن يتعقبوا أى أثر لوفاء،و بحثوا عنها لم يلمحوا لها ولو طرفا من بعيد.

بعد أن أثيرت الضجة حول تصريحات زغلول النجار الأخيرة عادت وفاء قسطنطين إلى دائرة الضوء من جديد،وكانت هناك محاولة أن تظهر كى تكذب كل ما قيل وتردد عنها،لكنها بعد أن قرأت تعليقات القراء المسلمين على تقرير «العربية نت» خافت وخشيت على نفسها وقالت لشقيقها فؤاد : إنها لا تستطيع أن تظهر ولا أن تفصح عن مكانها لأنها تخشى على نفسها من القتل، فيمكن لأى شاب مسلم غيور على دينه أن يعتبرها ارتدت عن الإسلام ،والردة لا عقاب لها إلا القتل.

هذا كلام لست مسؤولا عنه ولا عن دقته، فقد تسربت هذه الواقعة ربما للتأكيد على أنها لا زالت تحيا، وعليه فلا حاجة مطلقا لأن تظهر، فها هى تتابع النت وتقرأ ما يكتب عنها وتتحدث مع شقيقها وتأخذ قرارا فى أمر يخصها، فماذا يريد المسلمون بعد كل ذلك؟

مصادر من داخل الكنيسة طلبت منى ألا أصرح باسمها لأن كشف أى معلومة عن وفاء يمكن أن تسبب لهم حرجا بالغا، خاصة أن الكنيسة لا تريد أن تجعل من قصة وفاء موضعا للقيل والقال من جديد بعد أن أوشكت مصر على الاحتراق بسببها منذ سنوات،وبعد أن وضعت قيادات الكنيسة فى مواجهة مباشرة مع السلطة، ولولا تدخل العقلاء، لوقع وقتها ما لا يحمد عقباه أحد.

قالت هذه المصادر: إن وفاء وبعد أن هدأت الضجة التى أثيرت حولها وبسببها،وعادت إلى دير وادى النطرون قررت أن تعيش حياة الرهبنة،أن تهب نفسها لله وتنقطع للعبادة.

كان هذا قرار وفاء وزوجها لا يزال على قيد الحياة، فقد مات زوجها الكاهن يوسف معوض بعد حوالى عام من انفجار قصة زوجته، ولم تكن وفاته بسبب تأثير ما جرى، فقد كان مريضا على وشك الموت.

بعد موت زوجها أصبح من حق وفاء أن تتزوج مرة ثانية، وقد تلقت عدة عروض بالزواج حماية وتأمينا لها من شخصيات قبطية كبيرة، لكنها رفضت كل العروض التى وصلتها وقررت أن تكمل حياة الرهبنة.

المكان الذى توجد فيه وفاء لا يخرج فى الغالب عن دير وادى النطرون الذى انتقلت إليه بعد الأزمة، وظلت فيه فترة طويلة من أجل إعادة تأهيلها ودمجها فى الحياة المسيحية من جديد، وإن كان البعض يرجح أنها الآن موجودة فى مكان خاضع لمتابعة البابا شنودة شخصيا،ولا تتحرك إلا بمعرفته، فرغم أنها عادت إلى المسيحية على الأقل بشكل رسمى ومن خلال شهادتها إلى النيابة إلا أن الكنيسة لا

تزال تخشى منها.

كانت الضربة التي وجهتها وفاء للكنيسة ضخمة فهى زوجة كاهن، تعتبر أما للأقباط، فإذا كان هذا حالها فكيف يكون حال الأخريات،وإذا كان الكاهن عجز عن الدفاع عن مسيحية أهل بيته وتقوية إيمان زوجته والحفاظ عليه فكيف يا ترى يمكن له أن يحافظ على إيمان شعبه ويقويه؟

لقد تعرضت أسرة وفاء قسطنطين - ابنها المهندس وابنتها التى كانت لا تزال تدرس فى الجامعة- إلى ضغوط رهيبة من كل من حولهما فى بلدهما ومسقط رأسهما فى البحيرة، لكن بعد أن انتهى الموضوع وتأكد أن وفاء لن تعود إلى بيتها مرة أخرى قرر الولد والبنت أن يهجرا البحيرة نهائيا وهما الآن مستقران فى القاهرة ولا يريدان أن يتصلا بالإعلام من قريب أو بعيد بل إنهما يتحاشيان أن يقتربا ولو بالصدفة من ذكر أمهما التى قلبت الدنيا على رأسهما ربما بلا مقدمات ولذلك كانت الضربة قاسية جدا عليهما، فقد استيقظا من نومهما ليجدا أنفسهما دون أم.

لكن يبقى السؤال الذى أعتقد أنه مهم جدا، وهو لماذا تصر الكنيسة على إخفاء وفاء قسطنطين؟

إن هناك من يرى أن فى المطالبة بظهورها وحديثها إلى وسائل الإعلام اعتداء سافر على حريتها الشخصية، لقد اختارت ما أرادت وليس من حق أحد تحت أى مسمى من المسميات،أن يتدخل أو يجبرها على شيء،وهو كلام منطقى جدا،ويمكن أن نحترمه،لكن الوضع هنا مختلف.

ففى اللحظة التى قلبت فيها وفاء قسطنطين مصر رأسا على عقب لم تعد ملكا لنفسها،وإذا جاء اليوم رجل مثل زغلول النجار ليقول كلاما ،حتى ولو لم يكن عليه دليل، فليس منطقيا أن يقول الدكتور نجيب جبرائيل أن على زغلول النجار أن يثبت هو كلامه وأن يقدم الدليل عليه، وأن الكنيسة ليست ملزمة بأن تأخذ أى إجراء، فوفاء لدى الكنيسة وليست لدى أحد آخر،وإذا كان لديها تخوف من أى

شيء،فإن الذى حماها فى المرة الأولى يقدر على أن يحميها فى المرة الثانية.

إن هناك ثلاث إجابات أعتقد أن إصرار الكنيسة على إخفاء وفاء فى النهاية لن يخرج عنها:

الاحتمال الأول:أن وفاء قسطنطين قد تكون قتلت فعلا وأن الكنيسة الآن فى ورطة، لأنها لم تعلن عن وفاتها فى وقتها، وكان يمكن لها وقتها أن تذكر أى سبب لهذه الوفاة ولم يكن ليراجع وراءها أحد.

فلو كانت وفاء موجودة فما الذى يجبر الكنيسة على أن تتحمل كل هذه الاتهامات وتبتلع كل هذه الإهانات،إن الأمر سهل للغاية، دقيقة واحدة على أى قناة فضائية يمكن أن تخرس الألسنة وتحمى الكنيسة من القيل والقال ووقتها كل واحد يعرف مقامه ويحترم نفسه.

الاحتمال الثانى :أن الكنيسة تخشى إن هى أظهرت وفاء أن تتفوه السيدة بما لا يرضى الكنيسة،أن تقول كلاما يحرجها ولذلك فإن رجال الكنيسة يؤثرون السلامة ولا يريدون أن يدخلوا فى جدل جديد.

الاحتمال الثالث:أن تكون الكنيسة ومن منطلق وطنى لا تريد أن تشعل الفتنة من جديد وتكتفى بما جرى،فهى لا تريد أن تصب الكثير من الزيت على النار المشتعلة.

هذه احتمالات فقط، أما الحقيقة فلا زالت فى علم الله ....والله وحده أعلا وأعلم.



بعد أن عرضت اقتراح أن تظهر وفاء قسطنطين على شاشة-أى قناة فضائية قبطية لأن هذا هو الحل الوحيد للرد على زغلول النجار الذى قال :إن وفاء قسطنطين قتلت فى الكنيسة بعد أن رفضت أن ترتد عن إسلامها،ويمكن أن يكون فى ذلك ردّ كافٍ على كل الأكاذيب التى احترفها زغلول النجار فى وجه الكنيسة،كان هناك

رأى تبناه العديد من العاملين فى الكنيسة والمسؤولين عنها،بـأن تظهـر وفـاء ولـو لدقائق قليلة.

كانت هناك حجة أن هناك خطر على حياة وفاء قسـطنطين لـو ظهـرت وعـرف المتطرفون المسلمون مكانها وهم الذين يريدون اسـتردادها مـن الكنيسـة تحـت زعم أنها مسلمة وأن الكنيسة تحتجزها دون وجه حق.

لكن كان الرد على هذه الحجة الخائبة أنه يمكن تصوير وفاء فى أى أنتريـه تـابع للكنيسة فى أى مكان بحيث يعجز المشاهدون عن تحديد مكانها،وهو الأمر الذى حدث فى السهرة التى قدمتها الكنيسة ليلة عيد النيروز على قناة أغابى،كان المكـان الذى تم التصوير فيه هو سطح كنيسة المعادى،ولم يستطع أحد أن يعـرف المكـان الذى تم فيه التصوير.

كانت هناك وجهة نظر أخرى وهى أن تظهر وفاء قسطنطين على قناة سى تـى فى التى يملكها رجل الأعمال وعضو المجلس الملى ثروت باسيلى،لكنه هو شخصيا لم يأته خبر عن ذلك،ثم أنه تحديدا لا يمكن أن يأخذ قرارا فى هـذا الشـأن إلا بعـد موافقة البابا شنودة شخصيا.

هذه الحالة تحديدا أغضبت الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقـدس والرجـل الثانى فى الكنيسـة الـذى يحـب أن يبـدو عـلى أنـه هـو الرجـل الأقـرب إلى البابـا شنودة،وهذه حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يغفلها.

رفض الأنبا بيشوى أن تظهر وفاء على قنـاة ثـروت باسـيلى حتـى لا ينسـب لـه الفضل فى إظهارها والرد على زغلول النجار وإنهاء فتنته.

قرر الأنبا بيشوى بمكانه ومكانته فى الكنيسة أن يكون ظهور وفاء قسطنطين من خلاله هو وليس من خلال أحد آخر،أخذ على عاتقه أن يقنع البابـا شـنودة بـالأمر وأكد للمقربين منه أنه يمكن أن يفعل ذلك بسهولة لأن البابا شـنودة يثـق فيـه وفى رأيه وفى حسن تصرفه كذلك.

فضل الأنبا بيشوى أن يكون ظهور وفاء من خلال قناة الكنيسة الرسمية وهى قناة أغابى، فهو من ناحية يستطيع أن يأخذ قرارا فيها وينفذه، ثم إنه من ناحية ثانية وهذا هو المهم لا يستطيع أن يلزم ثروت باسيلى بأى قرار فى قناته التى لا يضعها فى خدمة الكنيسة بقدر ما يضعها فى خدمة البابا شنودة شخصيا.

أجرى الأنبا بيشوى اتصالات مكثفة مع البابا شنودة ليقنعه بظهور وفاء،وهو أمر بالمناسبة ليس سهلا بالمرة، ولذلك فإن الأنبا بيشوى يجمع ملفا بكل ما نشر عن هذه القضية ليعرضه على البابا ليظهر له كم أن الأمر خطير ومهم وعاجل،وهو ما يعنى فى الوقت نفسه أن ظهور وفاء قسطنطين على قناة أغابى أمر لم يحسم بعد ...فهو مرهون بموافقة البابا شنودة، والمعروف عنه أنه لا يريد أن يفتح هذا الملف مرة ثانية حتى لا تثور الفتنة من جديد ...فماذا يقول البابا شنودة، وأى شيء يقرر؟

كان قرار البابا شنودة الذى كان يعالج وقتها فى أمريكا ألا تظهر وفاء نهائيا، لكن هذا القرار لم يعلن، وكان أن وعد الأنبا موسى أسقف الشباب أن تظهر وفاء بمجرد أن يعود البابا من رحلته العلاجية، وعندما عاد البابا، أغلق كل الأبواب التى يمكن أن تكون مفتوحة أمام ظهور وفاء،ووضع بذلك الكلمة الأخيرة فى سطر وضع بنفسه نقطة فى آخره، ليصبح السطر مغلقا أمام الجميع.

هنا كان موقف الأنبا موسى محيرا، فقد كان يعرف أن البابا يرفض ظهور وفاء ومع ذلك وعد بظهورها، وكان لابد من الاشتباك مع ما قاله.

وبالفعل وقع الاشتباك.

وتساءلت... هل كذب علينا الأنبا موسى؟

وكانت الإجابة طويلة بعض الشيء...قلت:

أصدق الأنبا موسى فى كل ما يقوله،فهو رجل فاضل لا يقول سوى الصدق،لكن يبدو أن هناك ما دفعه إلى أن يسلك مسلكا مخالفا لما ارتضاه

لنفسه،لقد رغب منذ فترة طويلة ألا يدخل نفسه فى الصراعات الحادة حول إدارة الكنيسة،وكان يعتذر بشياكة ليست جديدة عليه عن إجراء أى حوار صحفى، حتى لا يتصيد له البعض كلمة من هنا أو تصريحًا من هناك، وينسبوا له ما لم يقله، أو يفسروا كلامه على غير ما يريده أو يهواه أو ما يتمناه.

تحدث إلينا الأنبا موسى على خلفية ما نشرناه عن أزمة وفاء قسطنطين،كان زغلول النجار قد صرح أن الكنيسة قتلت وفاء قسطنطين عندما رفضت أن تعود إلى المسيحية،قامت الدنيا ولم تقعد،وكتبت مقترحا على الكنيسة أن تظهر وفاء قسطنطين على أى فضائية مسيحية ولو لدقيقة واحدة حتى يتم تكذيب زغلول النجار هذا إذا كان كاذبا.

وافقنى فى هذا الرأى القمص عبد المسيح بسيط وقال لى: إن هناك بالفعل تفكيرًا جديًّا فى إظهار وفاء،والأمر يحتاج فقط موافقة البابا شنودة لأنه آلى على نفسه أن يتولى كل شؤون وفاء قسطنطين بنفسه، ولا يتيح لأحد مهما كان شأنه أن يتصرف فى أمر من أمورها إلا بعد العودة إليه شخصيا.

انتظرنا لكن لم يحدث شيء،وأصدر الأنبا موسى بيانا عن وفاء وعن وجودها على قيد الحياة، وبعده قال لنا الأنبا موسى أن وفاء ستظهر فور عودة البابا مباشرة، وأن الكنيسة تقدر الاقتراح بأن تنتهى الفتنة التى اشتعلت بمجرد ظهور السيدة وفاء.

أخذت كلام الأنبا موسى على أنه ثقة، فهو لا يقول إلا الحق أو هكذا أعتقد، لكن يبدو أنه ليس كل ما يعتقده الإنسان صحيحا، فبعد عودة البابا واستقباله الضخم الذى لعب فيه الأنبا موسى دورا كبيرا فى الإعداد والتنظيم والظهور الإعلامى حدثت الصدمة،فقد أغلق البابا شنودة الملف نهائيا عندما قال لأساقفته:انسوا موضوع وفاء قسطنطين.

لم يكن فيما قاله البابا شنودة جديدا بالمرة، فهذا هو موقفه الواضح من البداية

أن يبتعد بوفاء عن الكاميرات ولا يعرف أحد عنها شيء، قد يكون ذلك من أجل الحماية وقد يكون من أجل عقابها فهى مثل المعتقلة أو تحت التحفظ، حتى تكون بذلك عبرة لمن يعتبر، فكل من تفكر من زوجات الكهنة أن تفعل ذلك فمصيرها لن يختلف عن مصير وفاء،وللبابا شنودة الحق فى أن يفعل ذلك طالما أن أحدا لا يستطيع أن يراجعه فيما يفعله لا داخل الكنيسة ولا خارجها.

لقد أدركت أن الأمر خطير منذ البداية، وقد وصل الخطر ذروته، بعد البيان الذى نسب إلى زغلول النجار، فقد أذاعت بعض غرف البال توك تسجيلا صوتيا لزغلول يطالب فيه بهدم الكنائس وإحراقها وإخراج المسيحيين من مصر وذلك انتقاما من الذين قتلوا الشهيدة وفاء قسطنطين.

لم أسمع هذا التسجيل بأذنى، ولا أعرف هل هو حقيقى أم مزيف مدسوس على الدكتور زغلول النجار، فالرجل له شطحات كثيرة لكن لا يمكن أن يكون الشطط قد وصل به إلى هذه الدرجة، أخبرنى به القمص عبد المسيح بسيط، وقال لى غاضبا أنه لا يعرف: لماذا لا تتدخل الدولة فيما يفعله ويقوله زغلول؟

قلت لعبد المسيح بسيط أن الخطأ هنا ليس خطأ زغلول النجار ولا خطأ الدولة فهو يقول ما يقوله عبر مواقع الإنترنت ويقوله أيضا عبر قنوات فضائية لا تسيطر الدولة عليها،لكن المشكلة هنا مشكلة الكنيسة،التى عاندت وركبت رأسها كالعادة ولم تحاولِ أن تكذب زغلول النجار بإظهار وفاء وهو ما جعل الجميع يتشكك بالفعل فى مصير وفاء.

إن البابا ومن خلفه من رجال ذهبوا إلى أن إظهار وفاء يمكن أن يخلق فتنة جديدة، وسيجرح مشاعر المسلمين،لكن إخفاءها سيصنع فتنة أكبر،وهو ما حدث وسيحدث فعلا،لكن ماذا نقول والكنيسة لا تريد أن تسمع إلا صوتها،وهو صوت فى الغالب يضللها ولا يرشدها إلى الصواب.

المشكلة لدى ليست فى كل ذلك ولكن فيما فعله الأنبا موسى، فما الذى دفعه

لأن يقول لنا ما قاله،هل كان يكذب علينا؟ هل كان يخترع كلاما من عنده حتى يهدأ الخواطر؟ مراهنا على أن الأيام وحدها كفيلة بأن تجعل الناس ينسون الأمر،أم أن الرجل تم التغرير به وخداعه فى الكنيسة، ودفعه إلى أن يصدر بيانا ويدلى بتصريحات غير مسؤول عنها.

لو كان هذا صحيحا فإن هناك من يريد أن يبدو الأنبا موسى بشكل سيئ، فهو رجل لا يدرى بما يدور حوله، أو يلعب دورا لا يختلف فى قليل أو كثير عن أدوار المحلل فى المؤسسات الكبرى،عندما تحتد الأزمات يظهر ويصرح وعندما تعلن الكنيسة رأيها الحقيقى تتبرأ مما فعله موسى على أساس أنه لا يمثل سوى نفسه ولا يمثل رأى الكنيسة الرسمى.

إننى أشفق على الرجل فهو يلعب فى قفص أسود وهو ليس فى حجم أو قدر من يلعبون،وإن كان هناك من يشبه الأنبا موسى بالرئيس السادات والدور الذى لعبه فى الحياة السياسية المصرية قبل أن يقفز على كرسى الرئاسة.

لقد ظل السادات مطيعا وهادئا لا يثير صخبا ولا يدخل فى معارك، بل كان يتحمل اهانات بالغة، للدرجة التى جعلت الجميع ينظرون إليه على أنه رجل مغلوب على أمره ولا يقدر على شيء، وفجأة بعد أن صعد الرجل إلى كرسى الرئاسة تحول إلى غول، صفى كل خصومه وانقلب على سلفه دون أن يستوقفه أحد.

فهل يكون الأنبا موسى هكذا،طيبًا ومطيعًا لا يدخل فى مشاكل ولا يجعل نفسه طرفا فى صراع، حتى يطمئن له الجميع داخل الكنيسة وخارجها وفى الوقت المناسب يقفز إلى أعلا محطما كل ما دونه وكل ماعداه، لا شيء مستحيل فى هذه الحياة.

لكن يظل السؤال قائما، وهو لماذا كذب علينا الأنبا موسى؟ أم أن الأمر خارج عن قدراته؟ لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال الصعب، موسى وحده من

يستطيع أن يفعلها وإن كنت أعتقد أنه سيلوذ إلى الصمت ويعتصم بالسكوت فهذه عادته ولن يشتريها.

***

قبل أن أغادر هذه الصفحة كان لابد من تحليل لما يجرى،لابد من النظر فى مرآة الفتنة الطائفية التى تشتعل فى مصر بين آن وآخر،ووجدت أمامى فى المرآة زغلول النجار،وليس بعيدا عنه زكريا بطرس،وكانت هذه رؤيتى لهما....وكان هذا ما كتبت:

لا أعرف زغلول النجار بشكل شخصى، لم أتحدث إليه ولم أحاوره ولم أجلس أمامه فى أى مجلس، لكننى أذكر أن موقفا جمعنى به وكان المرحوم أحمد فراج طرفا فيه، كتبت وقتها -- فى حوالى العام ٢٠٠١ -- عن ظاهرة زغلول النجر بعد أن استضافه أحمد فراج فى برنامجه الشهير «نور على نور»،وهو نفس البرنامج الذى استضاف فيه قبل ذلك الشيخ الشعراوى وكان فاتحة خير عليه،للدرجة التى جعلتنى وقتها أطلق على المرحوم فراج «صانع الأساطير».

توقع الجميع أن السيناريو الذى حدث مع الشيخ الشعراوى سيحدث مرة ثانية مع زغلول النجار،وإذا كان إمام الدعاة إلى الله مات،فإن إماما جديدا ولد من رحم الغيب،وقدرت المقادير نفس الرجل وهو أحمد فراج ليقوم بهذه المهمة.

على عكس الجَميع كنت أرى أن زغلول النجار ظاهرة نفسها قصير لن يتحول إلى أسطورة،فهو رجل متخصص فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم،وبعد أن يفرغ مما لديه من بضاعة،فإنه سيجد نفسه مضطرا للصمت،وعندها سينزوى بعيدا عن الأضواء التى راحت إليه راكعة تطلب رضاه.

وبالفعل أقام زغلول النجار الدنيا وشغل الناس،تمت استضافته فى ندوات،وبدأ يكتب مقالات فى الصحف، وأصدرت له دار الشروق بعض الإصدارات تحمل ما سبق وقاله فى برامجه التليفزيونية، وتعاقدت معه جريدة

الأهرام لكتابة مقال أسبوعى.

بدأ المقال ولعدة سنوات بمساحة صفحة كاملة ثم تقلصت المساحة حتى أصبحت أقل من صفحة قليلا، لم تتعاقد الأهرام مع زغلول النجار اقتناعا منها بما يقوله أو إقرارا منها بصحته، فقد تعاملت مع ما يكتبه زغلول مثل التاجر الشاطر الذى يعرف جيدا أى بضاعة يمكن أن يكون لها رواج كبير.

قابلت أحمد فراج فى بيته فى الجيزة كان يشعر بمرارة مما فعله معه زغلول، لقد تنكر له بعد أن كان سببا فى شهرته، تعامل وكأنه هو الذى صنع شهرته وتواجده بنفسه، ولا فضل لأحد عليه، كان فراج يضحك ساخرا مما جرى، قال لى لقد حدثتك وأردت الكلام معك لأنك قلت ما أراه صحيحا فيما يخص زغلول فهو ليس مثل الشيخ الشعراوى، ليس لديه من العلم ما يجعله فترة طويلة يجذب إليه الناس ويجعلهم أسرى سماعه ولا أعرف ماذا سيفعل زغلول عندما تنطوى عن وجهه صفحة الأضواء؟

لقد ظهر زغلول النجار فجأة ليحدثنا عن معجزاته فى جعل عدد كبير من غير المسلمين يعلنون إسلامهم، وهو ما حدث مع زكريا بطرس الذى طرد شر طردة من مصر، بعد ان ارتكب أخطاء لاهوتية جعلت الكنيسة تغضب عليه وتستبعده ولما كانت غير قادرة عليه أجبرته على أن يقدم لها استقالته وهى الاستقالة التى تشكل لغزا غامضا حتى الآن.

إن الكنيسة عندما تغضب على أحد أولادها تشلحه تجرده من ملابسه الكهنوتية حتى لا يكون شيئًا مما يقوله محسوبا عليها، لكنها لم تفعل ذلك مع زكريا بطرس ولا تفسير لدى أو لدى الآخرين لهذا الموقف إلا أن الكنيسة راضية كل الرضا عما يفعله زكريا وأن البابا شنودة شخصيا معجب بدوره وما يقوله، ويلقى دعما مباشرا منه، وإلا لما استطاع أن يستمر كل هذه الفترة يردد أكاذيبه وإساءاته التى لا تنتهى للإسلام ورسوله ﷺ ، وهى إساءات تجعل من حق أى مسلم أن يقطع رقبة

هذا القمص الملعون دون أن يحاسبه أو يعاتبه أحد على ذلك.

الآن الرجلان يتصدران المشهد،يشكلان بما يقولان من أكاذيب وجدان المتطرفين من الطرفين الإسلامي والمسيحي،كلامهما مثل القرآن المنزل من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رغم أن ما يرددانه ليس إلا كغثاء السيل،أو الزبد الذى يذهب جفاء لأن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض.

لقد بحث الجميع فى جذور دوافع كل منهما ليعرفوا لماذا يقدم الرجلان على إشعال الفتنة فى ثياب المسلمين والأقباط،إن كلاً منهما ليس مقيما بشكل دائم فى مصر،زكريا مطرود ومنبوذ وزغلول مرتبط بأعماله فى الخارج وعندما يأتى إلى مصر يتفرغ للأحاديث الصحفية التى يفرغ فيها سمومه التى يلقيها بلا أدنى مسؤولية،وكأنه أوتى مجامع الحكمة ولابد أن نسمع له ولا نراجعه فيما يقول من كلام.

وزكريا بطرس من مقره فى قناة الحياة، وهى قناة سامة ومسمومة تنضح حقدا على الإسلام وعلى الرسول ﷺ وسلم دون أدنى مراعاة لمشاعر المسلمين،وقد يتخيل المعتوه زكريا بطرس أنه عندما يسيء للإسلام بهذه الطريقة التى تتجاوز كل حدود الأدب واللياقة أنه يمكن أن يجذب إليه قلوب المسلمين فيلتفوا حوله ويتركوا دينهم.

إن تفنيد كلام زكريا بطرس لا يحتاج إلى دارسين أشداء،لا يحتاج إلى باحثين من عيار ثقيل،فأصغر تلميذ يتلقى دروسا فى الثقافة الإسلامية يمكن أن يعرف أنه رجل لا يملك سوى الأكاذيب يرددها فى حلقات برنامجه الذى يبدو فيه وكأنه عالم،مع أنه ليس إلا حاقدا.

لقد قلت : إن خير علاج للسفيه إجتنابه،لكن المتطرفين يصرون على أن يصنعوا من زكريا أسطورة،وأن يرددوا كلامه بحجة أنهم يردون عليه،فما الذى جناه المسلمون عندما سمعوا شتائم هذا السفيه لرسولهم الكريم...لم يحدث

شيء.

لدى كل من الرجلين نقصٌ ما يريد أن يحققه، كل منهما أسير للشهرة وللمال وللنفوذ، وقد وجد كل منهما أن العمل الجاد والمستقيم لا يمكن أن يحقق لهما ما يريدان،ولذلك لجأ كل منهما إلى الطريق الأعوج.

إن طعن زغلول النجار فى الأقباط ودينهم أمر لا يأتى بخير،وطعن زكريا بطرس فى الإسلام ورسوله بكل هذه الوقاحة وكل هذا الجهل لن يفيد الأقباط بشيء، بل سيجعل من الأزمة أزمتين، إن الله هو الذى سيحاسب الجميع يوم القيامة، فلا داعى لأن نعلن الجهاد على بعضنا البعض، كل منا يريد أن يدخل الآخر فى دينه.

إننى هنا لا أرفض أن يدعو المسلمون إلى الإسلام، وهو بالنسبة لى دين رائع وراقٍ،ولا أرفض أن يقوم المسيحيون بالتبشير والدعوة إلى دينهم،لكن أن يتم ذلك بالحسنى،بدلا من أن يتم بالشتائم والجهل والسفه.

كل منا يقول ما لديه فى دينه من خير ونترك الحرية للآخرين.

لقد منح الله الإنسان الحرية، فلماذا يأتى من يريد أن يغتصبها ويصادرها لنفسه؟

إن زغلول النجار وزكريا بطرس عندى فى مساحة واحدة، ليسوا إلا شياطين تعمل من أجل التخريب والدمار، والثمن يدفعه الضعفاء والجهلاء الذين يسيرون خلفهم يرددون كلامهم بلا عقل ولا منطق ولا لحظة تدبر واحدة.

إن كلا من الرجلين كان يمكن له أن يوجه طاقته فى البحث والكلام إلى خدمة دينه،بدلا من حالة التهافت التى يبدوان عليها، لكن ما الذى يجعلهما يتعبان أنفسهما طالما أن طريق الشهرة سهل، يلقى كل منهما ما لديه دون تمحيص أو تدقيق ويمضى إلى حال سبيله، بصرف النظر عن الحرائق التى تشتعل فى ثياب الجميع.

إن لدينا مريضين نفسيين يجب أن يخضعا للعلاج النفسى، والمرض أعتقد أنه شهوة الشهرة،إن البضاعة التى يملكها زغلول النجار وهى حديثه عن الإعجاز العلمى فى القرآن بضاعة بارت لم يعد هناك من يشتريها أو يقبل عليها، فلماذا لا يبحث عن بضاعة أخرى، والبضاعة السهلة هى الهجوم على المسيحيين والكتاب المقدس عندهم، وتصويرهم على أنهم مجموعة من القتلة السفاحين الذين يقتلون من يحاول أن يعتنق الإسلام.

وزكريا بطرس رجل تافه يعرف أنه لو ظل واعظا فى الكنيسة يردد نفس الكلام فلن يسمع له أحد، فلماذا لا يبحث عن بضاعة أخرى؟،والبضاعة جاهزة وهى سب الإسلام وسب رسوله.

ولأن هناك من يسيرون على نفس الموجة فقد دفعوا له كثيرا من أجل أن تستمر برامجه وهو أمر معروف ولا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح أو الدلائل،وكلما زادت الأضواء من حوله كلما تعامل بسعار وهياج شديد ضد الإسلام، يتحدث بجهل وحقد شديدين، ودون وعى، وللأسف الشديد يجد هذا الرجل الجاهل من يروج له ويجعل منه بطلا.

إن العلاج الوحيد لما يقوله زكريا وزغلول هو تجاهلهما التام، التجاهل سينشف عودهما،سيسقطان دون مجهود، لكن ماذا نفعل والعالم من حولنا فقد عقله للدرجة التى يقوده فيها أمثال هؤلاء المجانين الجهلة ...فاللهم ارفع مقتك وغضبك وزغلول النجار وزكريا بطرس عنا.



من الكنيسة لأمن الدولة:

شكرا على حسن تعاونكم

9

على صفحات جريدة يومية خاصة نشر الإعلان التالى وبالنص: شكر وتقدير الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس، الأنبا بيمن ومجمع الآباء الكهنة والخدام والخادمات وكل الشعب القبطى بالإيبارشية يتقدمون بوافر الشكر والتقدير للسيد اللواء مجدى أيوب محافظ قنا، والسيد اللواء مدير أمن قنا، والسيد مفتش أمن الدولة بقنا، وجميع رجال الأمن والإدارة المحلية بالمحافظة على مجهوداتهم واستجابتهم لاحتياجات الإيبارشية على النحو التالى: ترخيص بإعادة بناء وتوسيع كنيسة القديسة دميانة بنقادة، مبنى خدمات كنيسة الشهيد إسطفانوس بقوص، الترميم الشامل لدير القديس اندراوس أبو

الليف بنقاده، بناء سور وأبراج حراسة وبوابات بدير الملاك ميخائيل بنقاده وذلك خلال عام ٢٠٠٩.

وعلى نفس الصفحة وبنفس المساحة نشر الإعلان التالى: شكر وتقدير، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، أيبارشية الأقصر وإسنا وأرمنت، دير الشهيد العظيم مارجرجس بالرزيقات، اللجنة البابوية ومجمع الرهبان بدير مارجرجس بالرزيقات ومجمع الآباء الكهنة واللجنة المالية والإدارية والخدام والخادمات وكل الشعب القبطى بالإيبارشية يتقدمون بوافر الشكر والتقدير لمعالى الوزير اللواء مجدى أيوب محافظ قنا، والسيد مفتش فرع جهاز مباحث أمن الدولة بالأقصر، والسيد اللواء مدير أمن قنا وجميع رجال الأمن والإدارة بالمحافظة على مجهوداتهم والموافقة على تلبية احتياجاتنا على النحو التالى، بناء استراحات وقاعات بدير الشهيد العظيم مارجرجس بالرزيقات، كنيسة الشهيد مارجرجس بأرمنت الوابورات، مبنى خدمات كنيسة الأم دولاجى بإسنا وذلك خلال عام ٢٠٠٩.

الإعلانان تتصدرهما صورتان للبابا شنودة ومحافظ قنا، ويبدو أن اختيار الصور كان مقصودا فكل منهما يبتسم.

لكن اسمحوا لى أن أضع بعض الهوامش على الإعلان بهذه الصورة،فهو غريب وغامض واسمحوا لى أن أقول مريبًا أيضا.

فلو أن ما تم فى كنائس قنا والأقصر كان حقا للأقباط لما كان الشكر مناسبا،فهم يحصلون على حقوقهم وواجب المحافظ أن ينفذ القانون،وساعتها فلا شكر على واجب.

لكن الشكر وبهذه الصورة يؤكد أن صراعا دار بين الكنيسة والمحافظ، وأن المحافظ كان يرفض ما يريده الأقباط وعندما رضخ ووافق تحولَ الهجوم المنظم عليه من أقباط الداخل والخارج إلى شكر ومديح مبالغ فيه بصورة مستفزة.

هذا ما حدث بالضبط، فقبل أيام قليلة من هذا الإعلان كانت الكنيسة

الأرثوذكسية وعلى رأسها البابا شنودة شخصيا يهددون بتقديم شكوى لرئاسة الجمهورية ضد مجدى أيوب إسكندر، وذلك لأنه رفض الموافقة على هدم كنيسة الأنبا أنطونيوس بقرية أبو شوشة وإعادة بنائها بعد أن تعرضت إلى حريق عام ٢٠٠٥م وأصبحت بفعل وتأثير الحريق معرضة للانهيار بشكل كامل.

. الواقعة ليست جديدة، فقد أشارت المطرانية أن لجنة هندسية من المحافظة زارت الكنيسة وأصدرت تقريرا بضرورة هدمها وإعادة بنائها لكن المحافظ أرسل لجنة أخرى برئاسة أحد أعضاء اللجنة الأولى لتعلن أنه يمكن ترميم الكنيسة بدلا من هدمها وإعادة بنائها،ثم كانت المصيبة أن طلب المحافظ من الكنيسة ٦٠ ألف جنيه لاستقدام لجنة هندسية من المجلس القومى للإسكان بالقاهرة لتعاين الكنيسة، ثم أعلن المحافظ أنه ليس ملزما بتنفيذ قرار اللجنة.

سار الأنبا كيرلس أسقف نجع حمادى على نهج البابا شنودة، وأعلن أنه سيقاطع المحافظ ولن يقابله لأنه متعنت مع الأقباط ويحاربهم، وكان التصعيد الأكبر الذى قام به كيرلس أن طالب بلجنة من خارج المحافظة لتحكم بين الكنيسة وبين ابنها المحافظ المسيحى، الذى يرى الأقباط جميعا أنه يعمل للمحافظة على منصبه بصرف النظر عن مصالحهم وحقوقهم.

. جرت فى النهر مياه كثيرة.

. استجاب مجدى أيوب لما طلبه أقباط قنا والأقصر، ليتحول الهجوم إلى مدح،وتتحول الكراهية إلى محبة، وتتحول المقاطعة التى أعلنها كيرلس إلى اعتذار وتصحيح وأنه لم يكن يقصد الإساءة إلى السيد المحافظ.

واقعة المحافظ القبطى تفتح لنا باب ملف حرج،لكن لابد أن ندخله دون تردد أو قلق،وهو تعامل البابا شنودة مع المحافظين،وهناك أكثر من محافظ دخل البابا معه فى خلاف حاد وواضح.

الخلافات مع المحافظين لا تخرج عن سببين..

السبب الأول: هو الصراع على أراضى الدولـة، حيـث تبنـى الكنيسـة أسـوارًا وبعض الأبنية على أراضٍ تملكهـا الدولة،وعنـدما يقـرر المحـافظ أن يزيـل هـذه الأسوار لأنها تمثل اعتداءً على أملاك الدولة يثور البابا شنودة لأن الأرض تملكهـا الكنيسة.

حدث هذا مرتين،الأولى مع محافظ البحر الأحمـر وكـان وقتهـا سـعد أبوريـدة الذى أزال سور الأنبا أنطونيوس واستخدم قوات أمن فى الإزالة، وهو ما استخدمه الأقباط فى التصعيد الخارجى ضد المحافظ على أساس أنه يضطهد الأقباط ويهدم عليهم أديرتهم.

وقتها غضب البابا شنودة من المحافظ رغم أن الوثائق كانـت تؤيـد كـلام أبـي ريدة،وبدأ يشـرح أن المنطقـة جبـل وصـحراء وأن الـدير لم يخطـئ فى شـيء،ولم أتعجب من كلام البابا، فله تسـجيل صـوتى عـلى اليوتويـب مـأخوذ مـن إحـدى مواعظه يشـرح للأقبـاط كيـف تحصـل الكنيسـة عـلى أراضـى الدولـة مـن وراء المسؤولين التنفيذين، فهو يقول لأبنائه أن يبنوا عـلى الأراضـى الصـحراوية التـى أمامهم.

وبعد أن تنتبـه الإدارات المحليـة كمـا يقـول البابـا، فـإن الكنيسـة تكـون قـد استطاعت أن تبنى ووقتها لا يمكن لأحد أن يهدم ما بنـاه الأقبـاط، وسـاعتها مـن السهل أن تقوم الكنيسة بالشراء بالسعر الذى يناسبها دون أن يعترض أحد، الخطة قديمة وضعها البابا شنودة ببراعة ويبدو أن تنفيذها تم بطريقة أبرع.

المرة الثانية التى ثار فيها خلاف بين البابا وأحد المحافظين كانت على أراضـى دير «أبو فانا»، التى تصارع عليها الرهبان والعربان،واتضـح فى النهايـة أنهـا أراض من أملاك الدولة.

حاول محافظ المنيا التى وقعت فيها أحداث أبوفانـا أن يتـدخل ويصـلح،لكن البابا الذى كان يعالج وقتها فى مستشفى كليفيلاند بأمريكـا أبـدى للأقبـاط أنـه لا

يستريح لأحمد ضياء الدين محافظ المنيا،وصفه البابا وقتها بأنه مخادع وأنه نصب كمينا للأقباط كى يخدعهم لصالح العرب.

أمر البابا من المستشفى ألا يتعامل الأقباط مع محافظ المنيا وأن يقاطعوه وامتثل الجميع له دون مناقشة رغم أن البابا لم تكن لديه تفاصيل القضية، لكنه كان يتعامل مع المحافظين بالمبدأ الذى وضعه لنفسه منذ البداية وهى أن يصعد ضد من يعترض طريقه أو يقول له لا،حتى يخضع له وإلا فإنه يعلن مقاطعته التامة له.

إن البابا يمنح البركات لمن يطيعه من المحافظين ويمنعها عمن يسير عكس طريقه دون أدنى مناقشة.

كان غريبا مثلا أن يشكو البابا أنه وعندما عاد من إحدى رحلات العلاج قال لوسائل الإعلام إن معظم المحافظين زاروه، وأرسلوا له برقيات تهنئة إلا محافظ واحد هو مجدى أيوب وهو المحافظ القبطى الوحيد.

هل كان يقول البابا هذا عفو الخاطر؟

لا بالطبع فالبابا شنودة لا يفعلها أبدا،لا يقول شيئًا دون أن يقصده،لقد كان يريد أن يذبح القطة للمحافظ القبطى من اليوم الأول،لقد عرف بخبرته أن المحافظ القبطى سيعمل جاهدا على ألا يجامل الأقباط، لئلا يقول أحد : إنه مسيحى يجامل أهله،بل إنه يمكن أن يأتى عليهم ويظلمهم ليقولوا عنه إنه موضوعى.

حشد البابا رأيًا عامًا قبطيًا ضد المحافظ القبطى منذ البداية، وأعتقد أن استجابة المحافظ الأخيرة التى حصد الشكر عليها لم تكن إلا استجابة لضغوط أكثر منها تنفيذا لقانون يمنح الأقباط حقوقهم.

الخطة نفسها مارسها البابا مع واحد من أهم وأقوى المحافظين فى مصر، وهو عادل لبيب محافظ الإسكندرية.

الأزمة بينهما متواصلة حتى أن البابا قاطع الإسكندرية وامتنع عن إلقاء عظته الأسبوعية لشهور عديدة، هناك احتجاجا على تعامل المحافظ مع الأقباط،وهو

التعامل الذى أشار البابا إلى أنه يصل إلى درجة الاضطهاد.

حاول عادل لبيب أن يستوعب الموقف قال: إنه لا خلاف مع البابا وأن الجميع عنده أمام القانون سواسية لافرق بين مسلم ومسيحى.

حاول أن يشير ولو من طرف خفى إلى أن الأقباط يريدون أن يخرجوا على القانون لكنه، يقف ضدهم، ولن يسمح لهم بذلك،إنه سياسى محنك حاول أن تصل الرسالة إلى الجميع دون أن يصرح بها.

لقد هدمت الجهات التنفيذية بعض المبانى الملحقة بثلاثة كنائس فى الإسكندرية،وكانت هناك قرارات إزالة بذلك،لكن الكنيسة رفضت أن يتم الهدم.

مقاطعة البابا للمحافظين الذين يعارضونه هى وسيلته الوحيدة لإدارة أزماته فى المحافظات،ولذلك أعلن أنه لن يذهب إلى الإسكندرية قبل أن تحل مشاكل الأقباط.

نفى المحيطون بالبابا بطريقة ناعمة أن تكون هناك خلافات بين البابا والمحافظ،دون أن يلتفت الجميع إلى ما فعله البابا شنودة.

أصدر البابا شنودة قرارا باستبعاد شاروبيم الباخومى وكيل البابا فى الإسكندرية بعد أن ظل فى هذا المنصب ١٣ عاما كاملة وأمر بإعادته مرة أخرى إلى دير الباخومى بالصعيد كراهب.

السبب الذى يعرفه الجميع أن شاروبيم الباخومى استقبل عادل لبيب أثناء الاحتفال بعيد القيامة فى الكنيسة، وأنه أنشد قصيدة مدح فى المحافظ وأثنى عليه،لم يتصور البابا أن يعلن مقاطعته للمحافظ ثم يأتى وكيله ليقول فيه شعرا فأبعده على الفور.

كانت هناك مفاوضات دارت فى الكواليس يمكن أن يصل من خلالها الأقباط إلى حل وسط مع المحافظ،بل كانت هناك أخبار بالفعل تؤكد أن المحافظ استجاب لبعض مطالب الأقباط وأنه عاقب المسؤولين التنفيذيين الذين هدموا المبانى الخدمية الملحقة بالكنائس.

لكن يبدو أن ما فعله المحافظ لم ينل رضا البابا فظل الرجل غاضبا،ولو جرب عادل لبيب وأعطى للأقباط كل ما يريدون فلن يكون أقل حظا من زميله مجدى أيوب حيث سيسارع أقباط الإسكندرية وينشرون إعلانات شكر وتهنئة له، بل ليس بعيدا أن تعيد الكنيسة نشر قصيدة الشكر التى كتبها شاروبيم الباخومى فى حق السيد المحافظ.

الغريب فى الأمر أنه وأثناء أزمة البابا شنودة مع عادل لبيب استضافت الكنيسة المصرية رئيس مباحث أمن الدولة فى الإسكندرية،ويبدو أن اللقاء كان طيبا ساده جو من التفاهم الكبير بين طرفيه،ويبدو أن البابا أراد أن يؤكد على أن الأمن يقف إلى جواره ويسانده فى أزمته،فعمد إلى نشر صورة اللقاء مع رجل الأمن فى مجلة الكرازة التى يرأس تحريرها،وكأن هذه رسالة واضحة للمحافظ أن مباحث أمن الدولة توافقه هو وتقف فى صفه.

ولا أدرى هل كان هذا كارت إرهاب من البابا للمحافظ،أم أن اللقاء والصورة ونشرها بهذه الصورة كانت مصادفة؟

والإجابة أن من يعرف البابا شنودة جيدا يعرف أنه لا شيء يتم عنده بالمصادفة على الإطلاق.

أعرف أن ملف البابا والمحافظين يمكن أن يغضب الكثيرين،أن يزعجهم، لكن الحقيقى والواقعى الذى يجب أن يعترف به الجميع أن البابا يتعامل مع المحافظين تعاملا سياسيا بحتا،لا مكان فيه للروح ولا للعبادة،إنه يريد أن يحصل على كل ما يريده حتى لو كان ذلك مخالفا للقانون.

لقد تدرب البابا فى دهاليز السياسة جيدا، يعرف كيف يحصل على كل ما يريده، دخل فى معارك كثيرة مع السلطة السياسية وحصل على الكثير من المكاسب، وإن كان خسر أكثر فقد تعرض للنقد القاسى على أرضية أنه زعيم سياسى وليس أبًا روحيًّا.



أسرار المطران
وقائع حوار الساعات الست مع الأنبا بيشوى

10

لم يكن من المفروض أن أجرى هذا الحوار،لكن المقادير وحدها هى التى قادتنا إليه،فالأنبا بيشوى أسقف دمياط وكفر الشيخ والبرارى وسكرتير المجمع المقدس والرجل الذى يشار إليه على أنه الرجل القوى والحديدى فى الكنيسة المصرية، رجل يحاول أن يعتصم بالصمت.

لا يتحدث كثيرا، يثير حالة من الصخب والغبار من حوله، تتشابك حوله خيوط كثيرة لا يمكن أن يفصل فيها أحد بسهولة، فهو رجل متهم على طول الخط، الذين يحبونه يخشون بأسه وسطوته والذين يكرهونه – والكلمة دقيقة ومعبرة– يلصقون به كل ما يخطر وما لا يخطر على باله من اتهامات.

ومع ذلك لم أفكر فى محاورته ربما لأنه عندما يجرى حوارات مع الآخرين يقول ما يريده هو، لا ما يجب أن يتحدث فيه ويريد أن يعرفه الناس منه وعنه، ولذلك كنت أزهد فيه.

وللحق فقد كانت هناك بعض المحاولات لترتيب لقاء معه،عندما قابلت الأنبا موسى أسقف الشباب مقابلة ودية للتعارف، قال لى: أن الأنبا بيشوى تظلمه الصحافة لأنها لا تعرفه جيدا، وأننى لو تحدثت معه فسوف تتغير فيه وجهة نظرى، واقترح الأنبا موسى أن يرتب لقاء بينى وبينه، لكنه ذهب ولم يعد.

لكن حدث ما قادنى إلى أن أجلس معه على مائدة واحدة فى دير الملاك وتحديدا فى مكتب الأنبا موسى، بعد أن طلب هو أن نجلس ونتحاور.

كان قد جاءنى شاب مسيحى يحمل أوراقا وصورا ومستندات، قال لى: إنه قضى عاما ونصف إلى جوار الأنبا بيشوى فى دير القديسة دميانة وأنه كان مقربا منه وقدم لى صورا عديدة تؤكد هذه العلاقة.

لم أعط أذنى لهذا الشاب ومن مصادر عديدة بعضها قريب من الأنبا بيشوى عرفت أنه كان فى الدير، وكان يقوم بمهام عديدة منها توزيع كتب البابا والأنبا بيشوى على مكتبات الكنائس من الإسكندرية إلى أسوان، وهو ما اعترف به الأنبا بيشوى ولم ينكره.

كان الشاب متحمسا جدا وعرفت أنه تحدث قبل ذلك مع صحف أخرى واتهم الأنبا بيشوى باتهامات عديدة، حاول أن يقنعنى أنه يعمل من أجل المسيحية ومن أجل الأقباط، ولما رفضت أن أقتنع بذلك قال لى: إنه طلب من الأنبا بيشوى أن يعينه فى صحيفة قبطية وقناة فضائية تابعة للكنيسة لكنه رفض، فما كان من الشاب إلا أن ترك الدير دون أن يخبر الأنبا بيشوى بذلك.

سألت الأنبا موسى مباشرة عن هذا الشاب فأخبرنى أنه طلب وساطته لدى الأنبا بيشوى، وقال: إنه عندما خاطب الأنبا بيشوى بشأنه ،قال له: كيف أتوسط له

فى أى عمل صحفى أو إعلامى، والولد لا يعرف كيف يكتب جملتين على بعض.

ألقيت بحكايات الشاب القبطى بشأن خلافاته مع الأنبا بيشوى جانبا وبدأت أجرى معه حوارا مطولا ومسجلا عن يوميات الأنبا بيشوى فى الدير،كيف يعمل وكيف يدير الأمور؟

كان الشاب مريبا أثناء التسجيل معه، فقد كان يجرى اتصالات مع شخصيات قبطية عديدة لتتوسط له عند الأنبا بيشوى،وقد اتضح لى أن أحدا لم يستجب له ربما خشية من الأنبا بيشوى أو اعتقادا منهم أن ما فعله الشاب لا يليق.

بل إنه وكما ثبت بعد ذلك كان يرسل رسائل عديدة للأنبا بيشوى شخصيا كى يسامحه ويعفو عنه ويعيده إلى رحمته، وقد أطلعنا الأنبا بيشوى على هذه الرسائل على تليفونه المحمول.

بعد أن تجمعت لدى خيوط كثيرة قررت أن أكتب حلقات عن الأنبا بيشوى من واقع يوميات شاهد عيان لتنشر فى جريدة الفجر التى أشغل منصب نائب رئيس التحرير بها.

ما أن نشرنا تنويها عن الحلقات حتى قامت الدنيا ولم تقعد،تلقيت تليفونات عديدة ممن أعرف جيدا أنهم يدورون فى فلك الأنبا بيشوى، لقد اعتقدوا أن هذه الحلقات ستكون ضده ولا أعرف من أين أتاهم هذا الإحساس؟

قالوا لى : إن مصدرك غير صادق وأنه موتور، فقلت لهم: إن لدى ما أقوله وفى النهاية نحن لسنا ضد أحد ولا مع أحد.

بدا أن الأنبا بيشوى قد انزعج مما نشر وقد أدركت مدى انزعاجه بعد أن دخل على الخط المستشار لبيب حليم نائب رئيس مجلس الدولة،تعجبت فى البداية من وساطته ، فالمستشار لا تربطه علاقة مباشرة بالأنبا بيشوى فما الذى يجعله يتدخل وبهذا الإلحاح؟

فى مكتب رئيس التحرير عادل حمودة عرفت الإجابة، سألت المستشار لبيب

الذى زارنا فى الجريدة مباشرة عن هـذه الوسـاطة ،فقـال: إن زمـلاءه فى مجلـس الدولة وهم فى الوقت نفسه أعضاء فى المجلس الملى تحدثوا معـه وقـالوا لـه: إنـه على علاقة جيدة بالصحافة، وطلبوا منه أن يتحدث معنـا حتـى نجلـس مـع الأنبـا بيشوى حتى يوضح لنا الأمور.

دعا المستشار لبيب رئيس التحريـر، ودعـانى للحوار،اعترضـت فى البدايـة أن نذهب إلى الأنبا بيشوى، فإذا كان يريد أن يوضح بعض الأمـور فعليـه أن يـأتى إلى مقـر الجريـدة، فـنحن نسـتقبل فيهـا وزراء وشخصـيات عامـة لهـا وزنهـا، لكـن المستشار لبيب قال: إن الرجل يدعوكم إلى لقائه فى دير الملاك ويلح فى ذلك، ولا أرى مشكلة فى الاستجابة لرغبته.

انحاز رئيس التحرير إلى أننا يمكن أن نتغاضى عن الشكل البروتوكولى فى اللقاء بشرط أن يتحدث الأنبا بيشوى بصراحة عن كل شـيء، وأن يجيـب عـلى أسـئلتنا كلها دون أن يتحفظ على أى سؤال منها، تعهد المستشار لبيب أن يفعل ذلك.

وفى اليوم التالى عندما التقيتُ بالمستشار لبيب فى بيته قلت له: إننا وافقنـا عـلى مقابلـة الأنبا بيشوى بشرط أن يلتزم باللقاء، سنذهب إليه فى الموعد - الذى كان فى الثامنة مساء - المحدد، ولن يكون مقبولا أن يقال لنا :إنه فى الطريق أو إنه فى مكتبه وعلينا أن ننتظـر، فهو الذى يريد اللقاء وعليه أن ينتظرنا، وبالفعل وصـلنا إلى مكـان اللقـاء فوجـدنا الأنبـا بيشوى ينتظرنا وبعد دقائق من التعارف بدأنا فى الحديث.

تطرقنا إلى كثير مما قاله الشاب القبطى لنا وأجاب الأنبـا بيشـوى،لكنها كانـت مناسبة لأن نفتح أخطر ملفات الكنيسة مع الرجـل القـوى الـذى مـن المنتظـر أن يكون هو الرجل القادم فى الكنيسة المصرية.

هذه مقدمة لازمة ليعرف من يقرأ كواليس ما جرى فى الغـرف المغلقـة ، فقـد كان القراء ينتظرون حلقات عن الأنبا بيشوى فإذا هو نفسـه يـتكلم والفـارق كبيـر ....والآن نبدأ

يمكن أن توجه إلى الأنبا بيشوى بحكم مناصبه الكثيرة فى الكنيسة المصرية مليون سؤال،وتأكد أنه يمتلك عليها كلها إجابات لا توجد عند أحد غيره،وإذا لم تكن لديه معلومة فإنه يحيلك مباشرة إلى من لديه المعلومة.

حدث هذا أكثر من مرة ونحن نحاوره،تحدث الأنبا بيشوى كما لم يتحدث من قبل،ولا أخفكيم سرا أننى فى لحظات كثيرة كنت أشعر أنه يرغب فى أن يتحدث ولأطول فترة ممكنة، قد يكون ذلك لأن هناك سوء تفاهم كبير بينه وبين الشارع القبطى ويحتاج إلى أن يزيله.

وقد يكون السبب أنه يشعر أنه مقدم على فترة جديدة ولابد أن يسوق نفسه للناس بشكل مختلف، فيصبح شخصا آخر غير الذى عرفه المسيحيون خلال السنوات الماضية.

لم ينكر الأنبا بيشوى أنه رجل حديدى، وأنه قوى بل قال باسما:إنه يعرف أن كثيرا من الأقباط يطلقون عليه الأنبا «بيشوى» من الشواء فهو يشوى معارضيه.

ولم يقل لنا أن هناك من الأقباط من يطلق عليه كذلك الأنبا «بشوك» فأشواكه أكثر من وروده، وإذا اقتربت منه ولو بالمصادفة فلابد أن يصيبك أذاه،قال : إن الخوف منه طبيعى فهو رجل المحاكمات الكنيسة الأول،ثم أن أى مؤسسة لابد أن يكون فيها شخص مرهوب الجانب حتى تستقر لها الأحوال.

أعتقد أن الأنبا بيشوى كان يستعد لنفتح معه ملفات هو طرف فيها بشكل شخصى،لكننا فضلنا أن نفتح معه ملفات الكنيسة الكبيرة،التى لم أجد لها جوابا شافيا عند كثيرين غيره،وبعضهم أساقفة لكنهم لا يعرفون شئيا خارج دوائرهم وكم هى ضيقة هذه الدوائر.

قد يكون كل ما يقوله الآخرون عن الأنبا بيشوى وكل ما يظنونه فيه صحيح، بل قد يكون هناك ما هو أكثر، فالملفات التى يديرها الرجل أكبر من أن تحصى ، لكن ما لم يلتفت له أحد من قبل أن الأنبا بيشوى فى الكنيسة هو أمين سرها، الرجل

الذى تتجمع لديه كل الوثائق والأوراق الخاصة، لدرجة أن البابا شنودة عندما يريد أن يكتب شيئًا موثقا يطلب الوثائق من الأنبا بيشوى.

نحن إذن أمام الرجل الذى يعرف كل شيء ولذلك لم نضيع وقتنا معه فى مناقشة قضايا فرعية دخلنا إلى قلب ما يجرى خلف الأبواب المغلقة.

***

يقف الأنبا بيشوى فى مرمى السهام كثيرا لأنه المسؤول عن ملفات المحاكمات فى الكنيسة.

قلنا له:أنت متهم دائما أنك تنفرد بالمحاكمات الكنسية وتصدر لأحكام القاسية بمفردك ..فلا أحد يعرف ماذا يدور ولا كيف تتم المحاكمات؟

قال: أنا لا أجرى المحاكمات الكنسية بمفردى بل معى آخرون.

قلت له:لا أحد يعرف عنهم شيئًا ...قل لنا إذن من هؤلاء ؟

قال:المحكمة تتكون من ٤ كهنة من أكبر كهنة القاهرة ويرأسهم البابا شنودة أو البابا عموما أو من ينيبه عنه فى رئاسة المجلس،والمحكمة الكنسية لها فرعان الأول خاص بالأحوال الشخصية والثانى بالمحاكمات،وكنت مسؤولاً عن الاثنين حتى شعرت بضغط العمل فاعتذرت عن قسم الأحوال الشخصية سنة ١٩٨٩ وكان الأنبا بولا مساعدى فطلبت من البابا أن يوليه المجلس الأكليريكى للأحوال الشخصية وسلمته الملفات..واقتصر عملى على ملف المحاكمات فقط.

- قلت له:ومتى بدأ عملك فى ملف المحاكمات؟

قال:أنا مسكت المجلس من ١٩٨٦، وكان فيه وقتها ٤ آباء كهنة، وأحيانا كان بيتوفى واحد فيتم تعيين واحد غيره،والآن أنا معى فى المحكمة القمص ميخائيل فهمى، وهو كبير كهنة الكنيسة البطرسية، والقمص بولس عبد المسيح أستاذ القانون الكنسى فى الكليات الإكليريكية وقد عمل بالمحاماة فترة طويلة،ولما توفى القمص بطرس جيد ابن شقيق البابا تم تعيين القمص داود تادرس مكانه،ولما

توفى داود تادرس واستقال من المجلس سريال فهمى طلبت من البابا أن يعين الأنبا أرميا سكرتير البابا فى المجلس لأننى أشعر الآن أن العبء أصبح على كثيرا فلدى شؤون كثيرة .

قلت له: طلبت تعيين الأنبا أرميا لتخفيف العبء أم ليحمل معك الهجوم الطاغى عليك وعلى أحكامك التى تصدرها؟

قال: فى الحقيقة لقد شعرت أنه لابد أن يكون هناك صف تانى،يعنى أنا دربت الأنبا بولا معايا وهو الآن يتولى ملف الأحوال الشخصية،وعندما طلبت تعيين الأنبا أرميا ليسد مكانى عندما أكون مشغولا فذلك من أجل تخفيف العبء عنى،ثم أنا لن أعينه،لقد التمست من البابا فقط وهو الذى يعين.

قلت: لماذا لا تترك ملف المحاكمات إذن إذا كان يشكل عبءًا عليك وتتركه كله للأنبا أرميا؟

قال: لقد طلبت تعيين الأنبا أرميا إلى جوارى ليساعدنى ،ففى حالة غيابى لأى سبب هو الذى يرأس جلسة المحاكمة لأنه عضو رسمى وأسقف، فقد يكون لدى موعد مهم.

قلت: وهل يمنعك الموعد المهم عن جلسة محاكمة يتحدد فيها مصير أحد الكهنة؟

قال: هذا نادرا ما يحدث..لكن يمكن أن تمتد الجلسة إلى أكثر من ٣ ساعات فاضطر إلى مغادرة القاعة بعد ٣ ساعات لارتباطى بموعد مهم، والآن نحن أربعة فى المجلس وفى انتظار أن يعين البابا أحدًا مكان سريال فهمى فقد عين الأنبا أرميا مكان داود تادرس ولا يزال مكان سريال شاغرا.

قلت له: كثير من المحاكمات تكون قاسية وتتم فى ظروف قاسية يصفها من خضعوا لها بأنها تهدر آدميتهم؟

قال: لم نخترع المحاكمات الكنسية فهى موجودة فى الكنيسة طول

عمرها،ولست وحدى الذى أحاكم فهناك محاكمات تتم فى المجالس الإكليريكية الفرعية فى الأبراشيات ،ومن حق أسقف الإبراشية أن يوقف كاهنًا لديه، لكن لو استأنف الكاهن الحكم يأتى إلينا هنا فى القاهرة ،وبالفعل حكم على كهنة كثيرين فى أبراشيتهم وعندما لجؤوا إلينا أعدناهم مرة ثانية إلى عملهم.

قلت:لكن لماذا توصف محاكماتك دائما بأنها ظالمة؟

قال:قليلون جدا من ندينهم وكثيرون من يحصلون على البراءة،والفارق بين محاكمات زمان والآن أن الإعلام أصبح أكثر اهتماما بما يجرى فى الكنيسة ومن يعاقب يكون صوته أعلى ويصور الأمر على أنه ظلم ...وهذا ليس صحيحا..فهو يحاكم أمام محكمة من أعضاء وليس من فرد ولا يصدر الحكم إلا بعد أن يصدق البابا عليه.

***

قلت للأنبا بيشوى: لماذا يشكو الكهنة من سوء أحوالهم المادية؟

قال:لا يشكو أحد فى أبرشيتى من المسألة المادية ..فأنا بعد ما اترسمت مباشرة عملت تأمين على الحياة داخل المطرانية لجميع الآباء،وعندى الوثائق التى تؤكد ذلك.

سألته:وهل هذه مبادرة شخصية منك أم أنها سياسة عامة تحكم الكنيسة كلها؟

قال:أنا أتحدث عما حدث فى إبراشيتى ..أما عن مرتبات الكهنة فقد عقدنا مؤتمرين فى الفيوم وطلبنا من الكهنة أن يحضروا ومعهم زوجاتهم،والمحاضرات التى ألقيت عليهم موجودة ومسجلة وهى عن المعاشات والمرتبات،وهذا موضوع تحت البحث ومحضرين توصيات للجنة رعاية الخدمة ولجنة شؤون الأبراشيات.

قلت :هل زودتم مرتبات الكهنة فى الفترة الأخيرة بعد الزيادة الرهيبة فى الأسعار؟

قال: إلى جوار الزيادة السنوية التى تتراوح من ١٠ إلى ٢٠ ٪ زودنا المرتبات ٢٠٠ جنيه مرة واحدة لكل واحد، ثم أن الشعب يقول مثلا دارجا وهو :يوم فى الفروجية ولا سنة فى السعودية، والفروجية هى عباءة الكاهن وهو مثل يؤكد أن دخول الكهنة كبيرة،فالكاهن يحصل على ١٥٪ من التبرعات التى يجمعها من الشعب،والناس بالفعل تحسد الكهنة على الدخل بتاعهم.

ويضيف الأنبا بيشوى: قبل أن تحدث المظاهرات فى المحلة يوم ٦ إبريل وأنا الآن النائب البابوى هناك ،كنت يوم ٤ من إبريل ألقى محاضرة فى الكلية الإكليريكية وعملت مبادرة من عندى حيث رفعت جميع المرتبات ١٠٠ جنيه ورجعت رفعتها تانى ١٠٠ جنيه، وضربت مساعدات الأسر الفقيرة فى مرة ونصف،فالأسرة التى كانت تحصل على ٦٠٠ جنيه تأخذ ٩٠٠ جنيه،وهو كلام مسجل.

قلنا له:من أين تدفعون كل هذه المرتبات والزيادات؟

قال:من إيرادات الكنيسة.

قلنا:وهل هذه الإيرادات سرية؟

قال: بالعكس..الإيرادات عبارة عن تبرعات من الشعب، وكل تبرع يحصل صاحبه على إيصال، هذا غير التبرعات عن طريق الصناديق وهناك لجنة فى كل كنيسة تقوم بعمل محضر لفتح الصندوق الموجود فيها لإثبات الإيراد.

قلت:وتبرعات الخارج...وأموال أقباط المهجر؟

قال:أقباط المهجر يرسلون شيكات للكنيسة ويحصلون مقابلها على خصم ضريبى .

قلت له:أى مؤسسة فى الدنيا نستطيع أن نسأل عن إيراداتها ومصروفاتها ..فهل نستطيع أن نعرف رقما محددا لإيرادات الكنيسة ومصروفاتها مثل بقية مؤسسات المجتمع العامة والخاصة؟

قال:كل كنيسة لها مجلس كنيسة يكون فيه محامون،وهذا المجلس يراجع

الوارد والمنصرف،ولما جيت مثلا أبنى كنيسة العذراء بدمياط فتحت لها حسابًا خاصًا فى البنك باسم مجلس إدارة الكنيسة وهو موجود حتى الآن،وقلت لهم لا أريد أن يقول أحد أنى أخذت فلوسًا من شعب دمياط لأعمر بها دير القديسة دميانة.

وعملت نفس الشيء فى كنيسة الشهيدة دميانة الجديدة فى كفر الشيخ والمجلس بتاع الكنيسة ماسك الحسابات،وعندى حساب المطرانية منفصل وأقول لمجلس الكنيسة كعوب الشيكات عندكم اطلعوا عليها أول بأول حتى تطمئنوا أن كل التبرعات توضع فى الرصيد.

قلت:لكن هذا الكلام لا يعنى أن هناك رقابة على أموال الكنيسة ...وعلى سبيل المثال فلائحة إنشاء المجلس الملى تقول: إن للمجلس سلطة المراقبة المالية على الكنائس وحتى الآن المجلس الملى ومنذ تولى البابا شنودة مسؤوليته لم يراجع أى مستند مالى؟

قال:المجلس الملى ألغى فى عهد البابا كيرلس، وكان لديه حق لأنه كان بيعاكسه،وعندما جاء البابا شنودة طلبت الدولة عودته، فأعاده البابا وأصدر قرارا بترسيمهم شمامسة حتى يكونوا وهم يؤدون عملهم الكنسى مؤيدين من الرئاسة الكنسية، وقد اعترض على ذلك الأنبا غريغوريس أسقف البحث العلمى وقتها ونشر هجومه فى جريدة وطنى وغضب منه البابا فاعتذر له على صفحات وطنى أيضا .

والمجلس الملى العام يراقب جميع أملاك البطريركية وهيئة الأوقاف القبطية تشرف على حسابات جميع الأوقاف القبطية فى جميع الأويرشيات ما عدا أبراشية البابا شنودة، فهيئة الأوقاف لا تعين نظارًا على أبراشية القاهرة، ويشرف الجهاز المركزى للمحاسبات على عمل هيئة الأوقاف القبطية.

قلنا:وهل تستثمر الكنيسة أموالها؟

قال:أنا شخصيا عملت عندى فى الأبراشية مصنعًا للموبيليا ينتج حاجات رخيصة للفقراء عشان العرسان ويمكن أنْ نمنحها لهم مجانا.

قلت:لا نتحدث عن المشروعات الخيرية التى تقوم بها الكنائس ولكن نتحدث عن الاستثمار والمشروعات الكبيرة التى تدر مكسبا وربحا هائلا على الكنيسة؟

قال: طبعا كل إنتاج الأديرة الذى يزيد على حاجة الرهبان يباع وتعمر به الأديرة ويساعدوا الأبراشيات الفقيرة أو العائلات الفقيرة ...يعنى الرهبان هيعملوا إيه بالفلوس..

قلت:وهل تصدر الكنيسة بعض إنتاجها للخارج؟

قال: أنا مش متأكد لأن التصدير صعب وأعتقد إن لو فيه تصدير هيكون من خلال شركات خارجية وليس من خلال الكنيسة.

***

يظل مستقبل الكنيسة هو الملف الأكثر حساسية الآن،لكن هذا لم يمنعنا أن نقتحمه بصحبة الأنبا بيشوى.

قلت له: لا نسمع الآن عن الكنيسة إلا ما يدور حول الصراع عمن يخلف البابا ... والصراع حول تعديل اللائحة التى يتم على أساسها اختيار البابا..لن أسالك عما يدور خلف الكواليس،لكن وبعد عمر طويل إن شاء الله للبابا شنودة سيكون من حقك كما من حق بقية الأساقفة والمطرانة أن يرشحوا أنفسهم للمنصب...فهل سترشح نفسك ،وهل هناك توجه لتعديل لائحة اختيار البابا؟

قال:أنا تناقشت مع البابا فى هذا الموضوع.

قلت:الترشيح ولا اللائحة.

قال:فيمن يمكن أن يرشح نفسه للمنصب...وكانت هذه المناقشة تقريبا بعد أن عاد من رحلة علاج فى أمريكا استمرت ٤ شهور،فتح هو الموضوع وكان الأنبا

أرميا سكرتيره موجودا فى هذه الجلسة، وقال: إنه يسمع كلاما كثيرا يتردد فى الصحف عن خلافة البابا ومن سيأتى ومن سيرشح نفسه ومن يتصارع مع من حتى يحظى بالمنصب،وقلت له إننى أعلنت رأيى قبل ذلك فى الأهرام العربى.

ويعود الأنبا بيشوى بالذاكرة إلى أكثر من ٨ سنوات،حيث نشرت مجلة الأهرام العربى تحقيقا عن خلافة البابا وغضب البابا وقتها بشدة لأنهم قالوا : إنه مريض وكان هذا الكلام قبل أن يجرى العملية التى أجراها فى العمود الفقرى.

يقول الأنبا بيشوى: ولما غضب البابا كلمت أنا أسامة سرايا الذى كان رئيسا للتحرير وقتها ونقلت له غضب البابا ،فقال: إن هذا الكلام لا يرضيه فهو صديق للبابا ،وأرسل من أجرى تحقيقا آخر عن هذه القضية وتحدثت فيه أنا والأنبا موسى الذى قال: إن مجرد التفكير فى هذا الكلام يعتبر خطيئة.

أما أنا فقلت: إن مطران الأبروشية يعتبر متزوجا من أبراشيته وهو على كرسيه يمنع أن يجلس على كرسى آخر ،ولما سئلت مؤخرا:هل تمنع اللائحة الحالية ترشيح الأسقف أو المطران على الكرسى فقلت: إن اللائحة لا تمنع لكن قوانين مجمع نيقيا المسكونى تمنع ترشيح أسقف الأبراشية لنفسه وأنا ملتزم بقوانين مجمع نيقيا.

قلت:وهل لا تزال ملتزما بقوانين نيقيا حتى الآن؟

قال: نعم أنا ملتزم بها...لكن البابا عندما فتح الموضوع مؤخرا وناقشنا الموضوع طلب رأيى فقلت له: لقد سبق وأعلنت رأيى يا قداسة البابا...وأنا بره الموضوع، ففوجئت بالبابا يقول لى: إزاى تقول الكلام ده...كل بطاركة الكنائس الأرثوذكسية فى العالم سواء البيزنطية أو العائلة بتاعتنا كان لديهم أبراشيات أو كانوا مطرانة وأساقفة.

قلت له يا سيدنا قانون مجمع نيقيا رقم ٢٠ يقول: إن الأسقف أو القس أو الشماس لا يترك مذبحه الذى رسم عليه، فقال لى البابا: قوانين مجمع نيقيا

ليست كلها حقيقية ففيها قوانين أصلية وقوانين أضيفت إليها بعد ذلك والقانون الذى تقول عليه ليس من قوانين مجمع نيقيا الأصلية، فالمطران من حقه أن يرشح نفسه،وبعد هذا الحوار الذى دار بينى وبينه كان البابا فى لقاء تليفزيونى، وعرفت أنه – حيث إننى لم أشاهد البرنامج بنفسى – دافع بشدة عن المحاكمات الكنسية، وقال: إن الأنبا بيشوى لا يفعل أى شيء دون أن يرجع لى، وقال أيضا : إن المطران أو أسقف الأبراشية من حقه أن يرشح نفسه.

قلت:معنى ذلك أنك غيرت رأيك؟

قال: أى رأى أقوله الآن يبقى وكأنى بأغلط البابا ..أنا الآن فى موقف حرج عندما كان يسألنى أحد عن موقفى كنت أقول رأيى الواضح والصريح أما الآن فماذا أقول بعد رأى البابا.

قلت له: ولائحة انتخاب البطرك؟

قال:أنا أقول دائما : إن هذه اللائحة هى التى أتت لنا بالبابا كيرلس والبابا شنودة ...وهذا يكفى فلماذا تريدون تغييرها.

***

إذا كنت تعرف الأنبا بيشوى جيدا فلن تتعجب من طريقته الصادمة فى الكلام،فهو رجل يشغل ما يمكن أن نطلق عليه منصب قاضى القضاة فى الكنيسة،ولذلك فهو لا يتحرج من قول الصراحة المطلقة التى يمكن أن تجرح وفى كثير من الأحيان تذبح.

لكن إذا كنت لا تعرف الرجل القوى فى الكنيسة الذى يلقبه الجميع من يحبه ومن لا يفعل ذلك بالرجل الحديدى،فسوف تتعجب كثيرا من هجومه المباشر على خصومه،للدرجة التى يمكن أن تقول معها: إن هذا رجل لا مكان للتسامح فى قلبه.

لكن عندما تنصت جيدا إلى وجهة نظره ستعرف أنه يفعل ما يفعله ويقول ما

يقول من أرضية أنه يحمى الكنيسة مما يراد بها ويحمى الأرثوذكسية مما يخطط لها من الجميع، ولذلك كان طبيعيا أن يطلق عليه المقربون منه والمروجون له أنه جارس بوابة مدينة الإيمان الأرثوذكسى.

وهذه ملفات شخصيات اشتبك معها وهاجمها وانتقد مواقفها وآراءها،والغريب أن الخلافات ليست فكرية فقط ولكنها وصلت إلى درجة الخصومة الشخصية،ولأن الملفات حرجة وساخنة، فقد آثرت أنا أترك كلام الأنبا بيشوى كما هو بعاميته وتعبيراته التى يمكن أن يستنكرها البعض،من باب الأمانة فى العرض من ناحية ،ومن ناحية ثانية وهذا مهم أيضا لنعرف إلى أى مدى وصلت الخلافات بين الرجل الثانى فى الكنيسة وبين شخصيات لها أثر بالسلب أو بالإيجاب على الملف القبطى فى مصر.

زكريا بطرس

لا يعرف الأنبا بيشوى شيئًا عن الأب يوتا وأنا أصدقه فى ذلك،لكنه يعرف أشياء عن زكريا بطرس،قلت له:الكنيسة أعلنت أنها تحقق فى موضوع الأب يوتا، لكنها لم تفعل شيئًا فى إساءات وبذاءات وافتراءات زكريا بطرس على الإسلام... هل لديك تفسير لذلك؟

قال:مشكلة زكريا بطرس بدأت عندما جاءتنا شكاوى من كنيسة بإنجلترا كان يخدم فيها ،وكان عمل انشقاقًا عنيفًا قبل كده فى كنيسة مار جرجس بأستراليا للدرجة اللى إتدخل فيها الأمن الأسترالى،وكانت النتيجة إنه أخد شنطته ورحل.

ومايجب أن يعرفه الجميع أن زكريا ليس أرثوذكسيًا ولكنه خمسينى،والخمسينيون يعتقدون أنهم يعملون معجزات ويتحدثون بلغات غير مفهومة وأنهم يستطيعون تغيير العالم،ولذلك فهم يخططون لغزو الكنائس الأرثوذكسية وغير الأرثوذكسية...أى أنهم يمثلون خطرا على الجميع.

سألته:وهل أخرجتموه من الكنيسة لأنه خمسينى؟

قال: قصة زكريا طويلة،فقد تم إيقافه عن الخدمة فى عهد البابا كيرلس لمدة سنة،وانتقل من طنطا إلى مصر الجديدة لأنه كان عامل شوشرة،وفى مصر الجديدة بدأ يزيد حتى وصل للقمة،فعقد له البابا شنودة مجلس إكليريكى لمحاكمته ودخلت أنا فى هذه المحاكمة كعضو منتدب،وتوقف عن الخدمة حوالى ٨ سنوات من ٧٨ إلى ٨٦،وكان سبب إيقافه أنه خمسينى، ويدعى أنه يخرج الشياطين من الجسد وكان يصرخ وهو يعظ ويوبخ الناس توبيخات عنيفة،حتى اعتقد الناس أن هذا ما سيجعلهم يتوبون عن الخطايا.

وحتى يعود مرة أخرى بعد الإيقاف أصدر كتابين عن العقائد الخمسينية واحدًا تحت إرشادى ضد التحدث بالألسنة واللغات غير المفهومة ،والثانى ضد فكرة الخلاص فى لحظة،وكان البابا أصدر كتابًا عن نفس الموضوع وقال بعد ما أطلع كتابى هو يطلع كتابه، وهو ما حدث فعلا،ولما أصدر الكتابين المجلس الإكليريكى – وأنا كنت فى الوقت ده مسؤول فيه – قدم تقريرا للبابا وقال فيه: إن زكريا خلاص تراجع عن أفكاره الخمسينية،وبالفعل رجع إلى الكنيسة،بعد أن خاض صراعا معى، فقد كنا على خلاف، ورغم ذلك وقعت على التقرير الذى أرجعه.

سألته:وما هو نوع الخلاف بينك وبينه؟

قال:أنا كنت ضده وتصديت له أكثر من مرة داخل القاعة التى يعظ فيها فى مار مرقس قبل إيقافه،وهناك اشتبك معى أمام الشعب وقال لى : إنت جى تعارضنى هنا فى المكان بتاعى،وكان موقفًا سيئًا جدا منه.

قلت:ولماذا خرج من الكنيسة مرة أخرى بعد أن عاد إليها؟

قال:وجدوا عنده فى البيت شريطًا يقول فيه: إن البابا شنودة ينتمى إلى المذهب الخمسينى، فلما سمع البابا هذه الكلام قال: إن زكريا بطرس بيعض الإيد اللى اتمدت له بالخير،وقدمه للمجلس الإكليريكى، وتم إيقافه مرة ثانية،لكن عندما تم

اعتقالنا فى اعتقالات سبتمبر وكان هو معانا تقرب منا لأنى كنت موجودًا معه فى نفس العنبر،ولما خرجنا قابل البابا وبدأ يعتذر عن الأخطاء التى وقع فيها،فطلب البابا أن نعمل له مجلسًا إكليريكيًا لنفحص أموره،وعاد بعدها.

قلت:لكنه هذه المرة لم يعد إلى الخدمة فى مصر.

قال:تم انتدابه إلى أستراليا وعمل انشقاقًا فى الكنيسة فسافر إلى إنجلترا،وجاءتنا من كنيسة إنجلترا ١٤ شكوى فى حقه وكانت أهم نقطة فى هذه الشكاوى أنه يهاجم الإسلام من على المنبر،والخطر أنه بذلك يعرض الكنيسة والموجودين فيها للخطر من الجماعات الإسلامية هناك،فيمكن جدا أن يفجروا الكنيسة،ثم أنه ضرب واحدًا من رعيته بالشلوت جاب له عاهة مستديمة،فالبابا قرر ينقله،وقال لى اتصل به وقل له:إن البابا يطلب منك أن تترك إنجلترا وتذهب إلى الدنمارك،لكنه رفض وقال لى : أنا عديت الستين وعاوز أطلع معاش وصحتى لا تساعدنى لأخدم فى دولة أخرى وأنا استقريت هنا خلاص.

قلنا :يمكن لما يستقيل يريحنا من وجع القلب اللى سببه لنا،طلبت منه أن يرسل إلينا باستقالة مكتوبة،فأرسلها وطلب منا معاشًا مثل بقية الكهنة،وكنا نتصور أنه سيجلس فى البيت ويهدى وخلاص،لكننا فوجئنا أنه ذهب إلى أمريكا ودار فيها وبدأ يعمل اجتماعات فى كنائس غير أرثوذكسية.

سألته:وهل مُنحتم معاشه بعد أن خرج عن طاعة الكنيسة؟

قال:مش ممكن ياخد معاشًا،هو إحنا نعرف له طريقًا.

قلت:يعنى إيه تعرفوا له طريق،إنتم متعرفوش زكريا بطرس فين؟!!!

قال:هو لو معروف له مكانًا كانوا قطعوه وهو نفسه قال كده،هو مختفى تماما ولا نعرف له مكان،وما نعرفه عنه أن له ابنا اسمه بيتر عمل كنيسة مستقلة فى إنجلترا وبيطلع على التليفزيون ويتكلم ضد العقائد الأرثوذكسية.

قلت له:نرجع إلى زيارته إلى أمريكا مرة ثانية...ماذا حدث فيها؟

قال:فى أمريكا عمل اجتماعات وبدون إذن الأساقفة هناك وفى واحد من الاجتماعات وقفت له إحدى السيدات وقالت له:إنت بتقول إنك جى تكرز بالمسيحية والحقيقة إنك جى تلم فلوسًا،لأنه كان يقول لهم:تبرعوا من أجل تدعيم الكرازة بالمسيحية للمسلمين،اعتقدوا أنه سيتكلم عن الإنجيل والمسيح، لكنه تحدث عن الإسلام،وبعد ذلك تلقفته قناة الحياة ولما بدأ هجومه على الإسلام قرر المجمع المقدس إيقافه نهائيا،وفى هذه الجلسة شرحت أخطاءه التى كانت مسجلة على شرائط،وهذه الشرائط واجهته بها بعد خروجنا من السجن فقال لى: أرجوك كفاية أنا مش مستحمل أسمع الكلام ده،ثم قال: أنا مستعد أعمل كل اللى إنتم عايزينه،لكنه لم يمتثل لما قاله.

سألته:وما رأيك فيما يفعله فى قناة الحياة وتحديدا فى هجومه على الإسلام؟

قال:قناة الحياة هذه التى تملكها واحدة خمسينية مثله،ومعهم راهب مشلوح اسمه إدوارد وكان هنا اسمه دانيال البراموسى ومعاهم مرنم خمسينى،ويبدو أنهم إتلموا على بعض،وقال زكريا إنه يحصد شعبية الأول فهاجم الإسلام،وإستغل إن فيه حالة من الهجوم على الأقباط، والنفوس تعبانة،وبعدين بدأ يهاجمنا، ويقول كلامًا ضد الكتاب المقدس وكأنه يريد أن يصفى حساباته معنا.

قلت :لقد قلت : إن زكريا بطرس يهاجم الكتاب المقدس...وهذا كلام غريب بعض الشيء؟

قال:الكتاب المقدس يأمرنا ألا نهاجم أحدا...والمسيح ولد فى عصر كانت فيه ديانات أخرى لكنه لم يهاجم البوذية أو الهندوسية مثلا، وكانت موجودة،وعندما فعلها المسيح هاجم من يخالفون تعاليم دينهم،لكنه لم يهاجم شخصا بعينه أو باسمه.

قلت له:هناك إحساس أن الأقباط فى مصر ورجال الدين المسيحى يخفون إعجابا بما يفعله زكريا بطرس فى الإسلام ونبى الإسلام؛ لأنه يفعل شيئًا لا

يقدرون هم عليه؟

قال:سألونى أكثر من مرة، لماذا لا تأخذون موقفا ضد زكريا بطرس؟أقول: نحن أوقفناه عن الخدمة لأنه خرج عن تعاليم الأرثوذكسية،لكنه الآن خرج عن التعليم المسيحى كمان،فالتجريح والأسلوب غير اللائق اللى بيستعمله يحتم أن نفكر فى عمل مجلس حكماء ومن يخطئ يحاسب، فليس معقولا أن أحاكم زكريا بطرس وأترك آخرين يسيئون للمسيحية هنا فى مصر، ويتهمون أهلها بالكفر دون عقاب.

الأب يوتا :

قبل ساعات من الجلوس مع الأنبا بيشوى كنت قد شاهدت نسخة كاملة من فيلم «فتنة محمد» الذى وقف وراءه بعناد وطائفية من يطلق على نفسه الأب يوتا، حمل الفيلم إساءات بالغة للرسول ﷺ ،إتهمه بأنه اغتصب السيدة عائشة وهى طفلة صغيرة وأنه ذبح ٦٠٠ يهودى بيده وأن القرآن يحرض المسلمين على ذبح الآخرين،سألته عن هذه الشخصية الغامضة،وقلت له : إن الكنيسة أعلنت أنها تحقق فى هذا الملف،لكن لا حس ولا خبر عن التحقيق ولا عن يوتا.

قال:عن نفسى لم أقرأ للأب يوتا هذا أى شيء،وعرفت أنه أصدر كتابا لا أستطيع أن أتلفظ باسمه(يقصد كتاب تيس عزازيل فى مكة)،وأعتقد البعض أننى الذى كتبت هذه الرواية ردا على رواية يوسف زيدان «عزازيل»، وهو خطأ مطلق،لأننى بعد أن أنتهى من الرد على «عزازيل» سأصدر الرد فى كتاب عليه اسمى وبصراحة دون مواربة.

قلت: هناك أسماء بعينها فى الكنيسة أشير إليها على أنها الأب يوتا،لكن الكنيسة لم تجتهد فى الكشف عن هذه الشخصية التى لا تتوقف عن الإساءة للإسلام.

قال:وأنا فى مؤتمر الفيوم جاءنى سؤال عما يفعله الأب يوتا،وقلت: إن الأسلوب الذى يتبعه يوتا ضد المسيحية وضد الكتاب المقدس ولا نقبل هذا

الأسلوب مطلقا،وقلت إننا لا نعرف هذا الشخص،وقد يكون اسمًا حركيًا لشخصية معينة،وأضيف لك الآن أن كلمة الأب نفسها يمكن أن تكون كلمة مستعارة ليوحى أنه رجل دين مسيحى.

سألته:هل أجرت الكنيسة تحقيقا فعلا للكشف عن يوتا، أم أن تصريحها كان لمجرد الاستهلاك الإعلامى وتهدئة الشارع؟

قال: لم أجر هذا التحقيق بنفسى،لكنى حاولت أن أتقصى عنه،وهل هو أبونا فلوباتير كاهن كنيسة الطوابق بفيصل،وكانت له مشكلة سابقة عندما كتب مقالا فى إحدى الصحف بدا منه أنه يستخف ببيان النائب العام، الذى صدر بعد أحداث كنيسة محرم بك فى الإسكندرية،حققنا معه وصدر حكم بإيقافه ٣ سنوات عن الخدمة لكن العقوبة تم تخفيفها وقد تدخلت من أجل ذلك،وقضى منها فعليا سنة ونصف فقط،لكن ليس هو الأب يوتا.

قلت:أنت تحريت عن فلوباتير فقط لكن هناك أسماء أخرى فى هذا الملف منها مثلا القمص مرقص عزيز الذى خرج من مصر إلى أمريكا ولم يعد،ومنها الكاهن متياس نصر منقريوس كاهن كنيسة المرج،فلماذا لم تتحر عنها.

قال:أنا سمعت إن متياس أنكر أن تكون له علاقة بهذا الموضوع.

قلت:وهل لديك تفسير لتوقف تحقيق الكنيسة فى هذا الموضوع؟

قال: منذ أن عرفت بهذا الموضوع وأنا أبحث لكن أنا لا حققت مع أحد ولا عملت جلسة،فإذا كان هناك فى الكنيسة من قام بالتحقيق فأنا لا أستطيع أن أنفى،فأنا يمكن أن أقول: إنه لم يحدث تحقيق ويكون حدث فعلا،ويكون البابا كلف أحدا من الأساقفة والسكرتارية بتاعته بالتحقيق،لكن أنا كمجلس إكليريكى لم أحقق فى الموضوع لا بمفردى ولا فى هيئة المجلس.

زغلول النجار

- على خط الهجوم على زكريا بطرس يقف الأنبا بيشوى ضد الدكتور زغلول

النجار،بل إنه يكاد أن يكون الرجل الأول فى الكنيسة الذى يكتب ردودا على ما ينشره زغلول النجار فى الأهرام ضد المسيحية والكتاب المقدس.

. يقول الأنبابيشوى:زغلول النجار يقول: إن موسى لم يكتب العهد القديم،رغم أن القرآن يقول«وآتينا موسى الكتاب»،فالقرآن لم يقل فقط التوراة ولكنه قال الكتاب كله،ثم أنه قال: إن اليهود باعوا أسفار العهد القديم «قراطيس»، وحرقوها كلها ودسوا أشياء فى الإنجيل،والرد على ذلك بسيط ، فالقرآن يقول فى سورة يونس الآية رقم ٩٤ «﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾»،فإذا كانت الكتب التى نزلت قبل نبى الإسلام أحرقت وحرفت فكيف يطلب منه القرآن أن يسأل أهل هذه الكتب،ثم إن القرآن طالب أهل التوراة والإنجيل أن يقيموا كتبهم،فكيف نقيم الكتب وهى محرفة أو احترقت أو أن موسى لم يكتبها.

قلت له:أنت ترد على زغلول النجار بآيات من القرآن،وهو أصلا يستخدم آيات من القرآن للهجوم على المسيحية والإنجيل؟

قال:لا ...هو لا يفعل ذلك،إنه يقول الشيء وعكسه طوال الوقت ، فمرة يقول: إن التوراة لم تكتب من الأصل ومرة ثانية يقول: إنها فقدت، ومادامت فقدت، فالمعنى أنها موجودة،ثم أنه لا يعود إلى النصوص القرآنية فيما يقوله:بمعنى أنه نشر هجومه على المسيحية دون أن تكون لديه أية مرجعية ولا إثبات لا نقلى ولا عقلى،أى أن كل كلامه مرسل.

قلت له:لكن هجومك على زغلول النجار أغضب كثيرا من المسلمين؟

قال:أنا لم أهاجم زغلول النجار كشخص ولم أتعرض للعقيدة الإسلامية أو القرآن أو السنة لأن هذا ليس من أخلاقى، وليس من آداب المسيحية كذلك ولكنى كتبت ردا على ما كتبه فى الأهرام.

قلت:الرد الذى قلت أنك أرسلته لجريدة الأهرام ولم تنشره لك؟

قال: لم أقل هذا الكلام بالضبط، فلم أرسل للأهرام ردا، فالرد على ما قاله سيكون كبيرا جدا؛ لأن كل جملة يقولها بشكل عابر، ويمضى تحتاج إلى بحث، فهو يرمى القنبلة وراءه، ولا يلقى لها بالا، كأن يقول أن موسى لم يكتب التوراة، هذه جملة تستحق مقالا كاملا للرد عليها، فلم أرسل الرد لأنى قلت أنهم سيعطون مساحة موازية لما كتبه وهى مساحة لن تكفى لأبين الحقيقة.

قلت: وهذا ما دفعك لأن تغضب من الأهرام؟

قال: فى الحقيقة أنا غضبت من الأهرام لأنها تنشر هجوم زغلول النجار على الكتاب المقدس والمسيحية، قلت: إن الأهرام فى الأساس أسسه أولاد تكلا، وكانوا ناسًا مسيحيين، وأغلب المسيحيين ينشرون نعيهم فى الأهرام، وهى جريدة قومية يملكها المسلم والمسيحى فى مصر، ولذلك لا يليق أن يتم التجريح فى الكتاب المقدس بهذا الشكل.

يوسف زيدان

يمثل هذا الرجل لغزا فى حياة الأنبا بيشوى، فقد كان صديقه، استضاف الأنبا بيشوى فى مكتبة الإسكندرية حيث يرأس مركز الوثائق بها، واستضافه الأنبا بيشوى فى دير القديسة دميانة ليلقى محاضرة فى مبنى الراهبات عن الصوفية، لكن وبعد أن أصدر زيدان روايته «عزازيل» حتى قامت القيامة، ولم يتنه يوم الحساب بعد، ولأن القصة طويلة فقد تركت الأنبا بيشوى يرويها فقط سألته.

قلت: طلب منك يوسف زيدان أن تجلسا سويا حتى تتم تهدئة الموقف الذى سببته «عزازيل» لكنك رفضت مجرد أن تستقبله.. ما الذى عكر الجو بينكما هكذا؟

قال: بعد أن أصدر يوسف زيدان روايته «عزازيل» وحدثت مشكلة، كان بعدها عندنا مؤتمر القبطيات فى الكاتدرائية، وتمت دعوته من منظمى المؤتمر، وليس من الكنيسة، وأنا ألقى كلمة الافتتاح نيابة عن البابا كان هو جالسا فى الصف الأول إلى جوار أحد الأساقفة الضيوف وقال له: على فكرة الأنبا بيشوى بيرد على، رغم أنى لم أذكر اسمه.

قدمت وثائق على ما قلته ووزعت كلمتى التى كانت مكتوبة بالإنجليزية على الحاضرين،فى اليوم التالى ألقى يوسف كلمته بالعربية وفيها«شحور الدنيا خالص»وعندما وقف هانى فايز الذى يدرس اللغة السريانية فى جامعة القاهرة ليرد على زيدان لم يمكنه من ذلك وظل يتحدث حتى انتهى وقت المحاضرة ولم يسمح لأحد بأن يرد عليه من الحاضرين.

محاضرة يوسف زيدان كانت فى منتهى السوء،بل كانت أسوء من روايته «عزازيل»،وبعد كده قال جى عايز يصطلح،قلت له لما أطلع الكتاب بتاعى للرد عليك الأول نبقى نصطلح،وبعدين نصطلح إزاى وهو جاب المسيحية من أصولها فى الأرض ،أساء للجميع، وبعد كده جاب راهبًا خياليًا قال أنه بيزنى مع وثنيات وقعد ٥١ صفحة من روايته يصف الليالى الحمراء التى قضاها الراهب مع الوثنيات.

عن نفسى لم أقرأ هذه الصفحات،ومن قرؤوها قالوا لى: إننى لن أستطيع أن أتحملها،قالوا لى:مش هتقدر تستحمل الوصف الجنسى فيها والأسلوب الخارج فى وصف علاقة الراهب بالوثنيات،وهذه الصفحات فقط هى التى لن أقراها ولن أرد عليها،لكن الأشياء العقائدية والتاريخية والوثائقية هى التى سأرد عليها.

عندك مثلا ما زعمه من أنه جاء بوثيقة سريانية وقال: إنه ترجمها ليوحى للقارئ أنه يعرف السريانية،فأنا طلبت من هانى فايز وهو يعرف سريانى كويس ومتخصص فيه،أن يعمل مداخلة على الهواء، مع يوسف زيدان فى أحد البرامج وقال له ٣ جمل سريانى على الهواء فضحك يوسف زيدان وقالت المذيعة إن هذا يبدو أنه اختبار على الهواء مباشرة.

وماحدث أن يوسف زيدان لم يفهم ولا كلمة واحدة من الجمل السريانية التى قالها له هانى فايز،ثم ادعى بعد ذلك أنه استعان براهب قبرصى اسمه جوزيف، ليراجع له الترجمة التى قام بها للمخطوطة السريانية التى قال إنه إستعان بها فى الرواية،للدرجة أن البعض اعتقد أن هناك وثيقة بالفعل رغم أن الأمر كله من خياله لا أكثر.

لقد تجرأ يوسف زيدان على تاريخ الكنيسة ولخبطه جدا،وأكثر اللخبطة حدثت فى تاريخ البابا كيرلس عمود النور البابا رقم ٢٤ فى تاريخ الكنيسة،والبابا أليكسندر رقم ١٩ فى تاريخ الكنيسة،ذكرهم بالاسم وذكر وقائع وأحداث،يوسف خبط فى العقيدة المسيحية بالكتاب بتاعه،ولو هو عامل الرواية عن راهب بيزنى مع وثنيات كنا قلنا :إنها رواية وعيب يكتب مثل هذا الكلام، وينتهى الموضوع،فهى رواية خارجة عن اللياقة والأدب،لكنه خبط فى العقيدة المسيحية مباشرة ولذلك فأنا لم أقبل أن أجلس معه...وسأرد عليه.

ولن يكون ردى عليه سريعا،فمنذ صدرت الرواية وأنا أعمل ولن يكون الرد مهاترات.

استوقفت الأنبا بيشوى وقلت: لكن هل يستدعى كل هذا ألا تقابله وأن تسمع له حتى تصلا إلى كلمة سواء كما يقولون؟

قال:لو كان يوسف يريد الصلح لما قال للأسقف، وهو فى مؤتمر القبطيات أننى أرد عليه الآن،لقد كنت مندوب البابا وكان يمكن أن أقول لهم طلعوا الرجل ده بره لكننى لم أفعل ذلك،أنا لم أشرف على المؤتمر صحيح لكننى لو صممت على ذلك كانوا طلعوه بره،وكان يجلس على يمينه ويساره أساقفة لم أقل لهم قوموا من مكانكم وسيبوا الراجل ده يقعد لوحده،أنا أخذت موقفًا محايدًا، ولم أطلب شطب اسمه من برنامج المؤتمر،وكان فيه سابقة، فمنظمو المؤتمر الألمان كان جايبين واحد يهودى، ولما اتعرفت الدعوة دى قالوا: آسفين، ولم يتمكن من الحضور،كان يمكن أن نفعل ذلك مع زيدان لكن هذا لم يحدث.

زيدان لم يحترم أنه يتحدث فى بيتنا، وتسجيل محاضرته موجود،لقد كرر ما سبق وقاله فى الرواية التى أغضبت الكنيسة،لقد وقف فى الكاتدرائية ومسح بنا الأرض ولم يعط فرصة لأحد كى يرد عليه، فهل هذا أسلوب،وهل بعد ذلك يمكن أن نجلس ونصطلح معه؟

رعاياك يا أنبا بيشوى

الآن أصل بالرجل القوى الذى يشغل مناصب عديدة فى الكنيسة، فهو مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى وسكرتير المجمع المقدس و المسؤول الأول عن ملف المحاكمات الكنسية والمسؤول عن الحوار مع الطوائف الأخرى إلى ملفات جديدة وقضايا لم يعتد على الحديث فيها.

ورغم أن هذه الملفات الكثيرة لا تترك له وقتا، ولو ليلتفت وراءه،فإنه لا يسلم من اتهامات صغيرة على ذمة قضايا من يرعاهم ويتولى رعايتهم الروحية.

وكالعادة كانت لديه آراء وأفكار وأخبار لم تكن لدى غيره،راوغنا فى الحديث عن ملف أعداد الأقباط فى مصر واستعصم بحجة أعتقد أنها لا تشفى غليل أحد،وبنفس الطريقة حصن نفسه من الكلام عن مسؤوليته فى التصدى للمعارضة الكنسية،وإبعاد من يحاول أن يقترب من البابا عن طريقه،كما أنه رفض بشدة ما يقال عن التطرف القبطى والعنف الذى يلجأ إليه شباب الأقباط فى المظاهرات،بل تساءل مستنكرا عن أى عنف تتحدثون؟

أما الملف الذى كان حادا وساخنا فقد كان ملف ابنة كاهن كفر الشيخ التى تطارد الأنبا بيشوى فى الصحف والأديرة والطرقات وتتهمه اتهامات واضحة،وقد خرجنا من قصة ماجدة عبده القمص بيمن إلى ملف الطلاق فى الكنيسة الذى عالجه الرجل كما يعالجه البابا فهو من التابوهات والمحرمات التى لا يجب أن يقترب منها أحد وإلا احترقت أصابعه.

كان الأنبا بيشوى واضحا وصريحا عندما عرض لنا القصة الكاملة لزكريا بطرس الذى خرج عن تعاليم الأرثوذكسية والمسيحية جميعا،سألته عن موقفه منه فتحدث بصراحة،لكن كان هناك سؤال أهم وهو:هل تعرضت لهجوم بسبب انتقادك لزكريا بطرس؟

قال:أنا كنت فى زيارة إلى الخارج والتقيت ببعض أبنائنا هناك،وتحدث البعض منهم

عن زكريا بطرس وما يقوله و يفعله،واعترض بعضهم على انتقادى له،لكننى كنت واضحا معهم،قلت لهم:نحن نعيش فى مصر ولابد أن نحافظ على السلام الاجتماعى الذى نحيا فيه،أنتم تحكمون على ما يحدث فى مصر وأنتم جالسون هنا فى الكنيسة،وبصراحة اللى جدع فيكم ينزل مصر ويقول الكلام الذى يردده زكريا بطرس،فسكتوا جميعا.

وأكملت أن زكريا بطرس عامل حالة لم تعد موجودة فى مصر الآن،إنه يضر الأقباط بما يفعل؛ لأن المسلمين ينظرون إلينا نظرة فيها غضب.

قلت له: أنت لا تعارض زكريا بطرس وحده،ولكنك تقف أمام كل من يخالفك الرأى والمذهب،بل إنك تكفر الطوائف الأخرى وهذا مثبت فى عظاتك التى يتم تداولها على سيديهات.

قال:أنا ضد الهجوم على الإسلام،لأن المسلم يقول: أنا مسلم والمسيحى يقول أنا مسيحى،الحدود تكون معروفة والأديان أيضا،وكل منهما لابد أن يحترم الآخر،لكن المشكلة فى الطوائف المسيحية الأخرى الذين يقولون لأبنائنا فى الأرثوذكسية نحن إخوة فى المسيح،وكل الطوائف مثل بعضها،فلماذا لا تنضموا إلينا وتأتوا إلى كنيستنا،وبذلك يأخذونهم إلى كنائسهم.

من هذه الطوائف من يحصل على أموال من الأمريكان ويقولون لهم :إننا نبشر بالمسيحية فى مصر،ويقصدون بذلك أنهم ينشرون المسيحية،لكن النتيجة أنهم يأتون إلى مصر لا ليبشروا المسلمين ولكن ليبشروا المسيحيين بأفكارهم،وأنا لدى حق عندما أقول لشعبى:خلى بالكم من أصحاب الطوائف الأخرى.

سألته:لكن هل وقوفك أمام الطوائف الأخرى يعنى أن تكفرهم وتحرمهم من دخول السماء فى الآخرة؟

قال:عمرى ما جبت سيرة الكفر أو جهنم،وأذكر إنى كنت أتحدث على الهواء فى برنامج على قناة أوربيت،وكنت أتحدث عن التحركات الصهيونية ضد

المسيحية وما قالوه عن قبر المسيح، وما رددوه عن مريم المجدلية، وإدعاءهم أنها كانت زوجته،واتصل مشاهد من المحلة الكبرى وقال أن هذه هى المسيحية الصهيونية وهى عقيدة عند البروتستنت فى مصر،لكن أنا قلت: إن البروتستنت يعارضون المسيحية الصهيونية،وقلت أيضا: أنها حتى فى الكنائس البروتستانية الأمريكية قليلة جدا،وهم ينادون بأن يبنى اليهود الهيكل وحتى يبنوا الهيكل لابد أن يهدموا المسجد الأقصى،وهو كلام لا يتفق مع صحيح الكتاب المقدس فالعهد الجديد يرفض إعادة بناء الهيكل،وقد أعددت بحثا فى ذلك أثبت من خلاله عدم أحقية اليهود فى بناء الهيكل،بل إنهم لا يجب أن يمسوا المسجد الأقصى من قريب أو بعيد.

فأنا دافعت عن البروتستنت على الهواء ، ودخل فى الحوار عبر التليفون القس رفعت فكرى وهو قس بروتستنتى وقال لى: إنى كفرت البروتستنت، وقلت: إنهم سيدخلون جهنم،فقلت له أنا عمرى ما جبت سيرة الكفر ولا سيرة جهنم فى كلامى،وعلى العموم إحنا عندنا مؤتمر فى الغردقة لرعاة الطوائف، وهناك يمكن أن نتحدث فى هذه الأمور،وإذا كان بيننا حوار فلايجب أن يكون على الهواء وأمام الناس طالما أننا يمكن أن نتقابل ونناقش خلافاتنا على مائدة المؤتمر.

قلت له:لماذا إذن يعتبرك أصحاب الطوائف الأخرى عدوا مباشرا لهم ؟

قال:لأننى أقف لهم ولأفكارهم،عندك مثلا طائفة تعمل فى مصر ولا داعى لذكر اسمها الآن تقول: إن الوثنيين الذين يعبدون الأصنام سيدخلون الجنة،وأنا أعترض على هذه الفكرة تماما وقلت أنهم بذلك لن يهدموا المسيحية وحدها، بل سيهدمون الأديان كلها،والمشكلة أنها ليست طائفة صغيرة بل طائفة كبيرة ومؤثرة ولها أتباع كثيرون.

قلت:المشكلة قد لا تكون فى تعبيرك عن رأيك أو اختلافك مع الطوائف الأخرى ولكن فى الطريقة التى تعبر بها عن هذه الخلافات،الأسلوب عنيف أكثر من اللازم وهذا ما يؤذى الآخرين؟

قال:أنا علاقتى بالطوائف الأخرى عادية فأنا مثلا لا أعاديهم أو أكرههم لأنى

لا أكره أحدا كما يوصينى الكتاب المقدس،ولأننى عندما كنت أقول رأيى بصراحة فى الطوائف الأخرى وكنت أجدهم يغضبون فقررت ألا أتحدث إلا على مستوى شرح العقيدة فقط دون أن أذكر أسماء أحد.

قلت:هل كان «سى دى» البروتستنت الذى كفرتهم فيه سبب تراجعك؟

قال:من ساعة ما حصل موضوع هذا «السى دى» الذى وأنا بقيت حريصًا جدا حتى لا يغضب منى أحد،كنت اعتبر فى البداية أننا نتحدث داخل إطار واحد ومن حقنا أن نناقش كل أمورنا فى مؤتمراتنا الداخلية ونقول رأينا بصراحة مطلقة،ولما وجدت أن هناك من يغضب وبشدة وهو ما يمكن أن يؤثر على الحوار بيننا قلت: على إيه فليستمر الحوار أفضل.

***

يظل عدد الأقباط فى مصر لغزا محيرا ليس للكنيسة فقط ولكن للمسلمين أيضا، الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء لا يعلن عدد الأقباط ولديه أسبابه،وإن كان هناك من يشير إلى أن إحصاءات الجهاز تشير إلى أن العدد يتأرجح بين الـ ٤ والـ٥ ملايين قبطى،وهو ما ترفضه الكنيسة تماما،حيث أعلنت عبر أكثر من مسؤول فيها أن أعداد الأقباط فى مصر يزيد عن ١٥ مليونًا وهو ما أكده البابا شنودة أيضا فى أكثر من حوار له.

على هامش هذه الأرقام المتضاربة تبقى للأنبا بيشوى رؤية وتجربة فيما يتعلق بأعداد الأقباط فى مصر.

سألناه:هل تقوم الكنيسة بتسجيل كل المواليد الأقباط فى دفاتر لديها...كما يحدث فى دفاتر مكاتب الصحة؟

قال:الأقباط يتم تسجيلهم فى دفاتر الكنيسة عند المعمودية وليس ساعة الولادة لأن الكنيسة لا تكون حاضرة أثناء الولادة.

قلت:الأمر محسوم إذن...فالتسجيل يتم إن لم يكن عند الميلاد فعند التعميد أى أنكم تعرفون العدد الحقيقى للأقباط.

قال:التعميد لا يتم بعد الولادة مباشرة،فساعات يأتونى بطفل عمره ١٠ سنوات ولم يتم تعميده بعد ولادته.

قلت:ليست لديكم طريقة إذن لإحصاء مواليد الأقباط.

قال:أنا لا أشغل نفسى بهذا الموضوع،ولكننى أقول فى كل مرة يسألنى أحد هذا السؤال أن ردى هو ما قاله الرئيس مبارك حيث صرح للصحف أن عدد الأقباط يمثل ١٠٪ من سكان مصر،وقد قال هذا الكلام عندما كان عددنا ٦٠ مليونًا والآن العدد يصل إلى ٨٠ مليونًا وطبقا لما يقوله الرئيس فنحن ٨ ملايين... أنا أرد دائما بما يقوله الرئيس.

سألته:ماذا تفعل فى أبراشيتك...هل تحصى أعداد الأقباط عندك؟

قال:أنا عملت العضوية الكنسية عندى منذ عام ١٩٧٧،قمت بحصر كل المسيحيين الموجودين فى الأوبرشية،وكان البابا شنودة وبعد أن تولى منصبه طلب أن نعمل عضوية كنسية على مستوى الأوبرشيات كلها،بعض الأويرشيات قامت بمجهود كبير وعملت المطلوب منها.

قلت:وإيه هى العضوية الكنسية؟

قال:يعنى لا نقوم بحصر من يتم تعميدهم فقط،ولكن نحصر البيت كله الأب والأم والأولاد وخدمتهم فى الكنسية،وكان هناك حرص على رصد من هو أرثوذكسى ومن هو غير أرثوذكسى،لكن الأهم بالطبع لنا أن نرصد الأرثوذكس، وقد وضعت ملفات هذا العمل كلها فى الكاتدرائية عند البابا شنودة منذ السبعينيات،ولم يستطع البابا شنودة أن يحصى أعداد الأقباط لأن هناك أبروشيات لم تؤدِ ما عليها ولم تنفذ ما طلبه منها البابا.

قلت:لا توجد لديكم إحصائية صحيحة لأعدادكم إذن؟

قال:كل ما يقال عن أعداد الأقباط فى مصر مجرد تخمين ولذلك عمرى ما قلت العدد كام بالضبط...لأنى لا أعرفه.

من بين الاتهامات التى تلاحق الأنبا بيشوى أنه يقف مثل حجرة العشرة أمام معارضى الكنيسة من أن يصلوا إلى البابا شنودة ويجلسوا معه ليعرضوا عليه أفكارهم وآراءهم،وحتى يكتمل الاتهام يتردد أن الأنبا بيشوى يفعل ذلك لأنه يخشى أن يمتد حبل الود بين البابا والمعارضة فيتبنى آراءهم وهى آراء فى الغالب ضد ما يفعله أسقف دمياط وكفر الشيخ والبرارى.

سألته مباشرة:لماذا تمنع المعارضين من الوصول إلى البابا شنودة؟

ابتسم قائلا:أنا مش سكرتير البابا ...أنا سكرتير المجمع المقدس...كيف أمنعهم وأنا لا شأن لى أو علاقة بمقابلات البابا...الأمر الثانى أن البابا لا يستطيع أن يحجبه أحد عن رعيته،فهو يعقد كل يوم أربعاء وعظة يحضرها الشعب وأنا نادرا ما أحضر هذا اللقاء ولا أعرف شيئًا عن الأسئلة، والبابا أثناء دخوله وخروجه إلى القاعة يتلقى رسائل من الشعب وفيها ما يريدونه منه.

قلت له: أنت لا تمنعهم بالمعنى المادى،لكنك تحرق المعارضين للكنيسة بأن تعلن أنهم ليسوا مسيحيين،هذا دون أن تحاكمهم حتى قيل: إنك تحاكم على الهواء مباشرة وتحرم بمجرد كلمة؟

قال:لا أريد أن أتحدث عن أسماء معينة لكن على سبيل المثال أنا قلت: إن جورج حبيب بباوى ليس أرثوذكسيًا لأنه نادى بتأليه الإنسان،وزعم أن البابا شنودة يقول نفس الفكرة، وانتشر هذا الكلام على الإنترنت ونشرت إحدى المجلات عنوانا منسوبا إلى بباوى تكفيرا للبابا شنودة.

وقال: أيها الأساقفة والكهنة والشعب انهضوا وحرروا الكنيسة من البابا شنودة لأنه خرج عن الإيمان المسيحى،وكل ما قلته أن جورج حبيب ليس أرثوذكسيا من الأصل،ولم أصدر بذلك حكما بل كنت أقول معلومة،فهو دخل الأرثوذكسية على كبر،فهو من أسرة غير أرثوذكسية ودخلها وهو عنده ١٩ سنة،ودخل سلك الإكليريكية ودرس فيها وطلع الأول وسافر إلى إنجلترا وحصل على الدكتوراه،ثم

انضم إلى الكنيسة الإنجليكانية وهى الكنيسة التى كانت تنتمى إليها أسرته وكان ينادى بتعاليمها أى أنه هو الذى فصل نفسه من الكنيسة.

قلت:لكنك فى حوارات كثيرة تعرض بأشخاص بعينهم وتطعن فى مسيحيتهم؟

قال: أنا لا ألقى بأحكام فى الهواء..كل حكم يصدر عنى له حيثيات وأسباب،ممكن واحد يظهر على قناة فضائية ويقول أى كلام على مرأى ومسمع من العالم،فإذا كان هو يعتز بعقيدة معينة وأنا قلت رأى مختلف بشأن ما قاله هل معنى ذلك أنى أخرجه من المسيحية،ثم هناك نقطة أخرى وهى أنه يمكن أن يقول شخص عبارات معينة تعكس موقفا معينا،وفى هذه الحالة أقول: إن من قال هذا الكلام لا يجب أن يخرج من واحد مسيحى،والمعنى واضح،فأنا لا أحرمه ولكن أستبعد أن يخرج الكلام الذى قاله من شخص مسيحى والفارق كبير جدا.

***

جملة عابرة قالها الأنبا بيشوى وهو يتحدث عن أعداد الأقباط ،قال أنتم تعرفون أن الأقباط فى مصر لا يميلون إلى العنف،فهم لا يحملون سلاح اللهم إلا بعض الموتورين فى أى مكان ولأسباب شخصية.

استوقفتنا الجملة العابرة وأدخلتنا إلى مساحة ساخنة وحادة من النقاش،قلنا له:لا نوافقكَ على أن الأقباط لا يميلون إلى العنف،فإذا كان كلامك صحيحا فكيف نفسر عنف شباب الأقباط فى المظاهرات التى جرت فى السنوات الأخيرة،العنف كان ملفتا؟

قال:العنف فى هذه الحالات كان فرديا...وكل ما حدث أن الشباب كان يهتف...ويهتف فقط دون أن يفعل شيئًا لأحد،ثم أن العنف الذى قام شباب الأقباط كان موجها لنا نحن قبل أن يكون موجها للآخرين.

قلت:هل اعتدى عليك أحد مثلا؟

قال:حدث وتحديدا فى مظاهرات شباب الأقباط فى الكاتدرائية فى قضية وفاء

قسطنطين،كنت داخلا إلى الكاتدرائية فأوقف الشباب سيارتى وخبطوا عليها وقلوا أدبهم جدا...قالوا ماذا فعلتم لنا؟

قلت:ألا تعتبر هذا عنفا وخطرا خاصة أنه موجه للكنيسة مباشرة؟

قال:سأكمل ما جرى أولا...نزلت من سيارتى وقلت لهم: هل يليق أنكم تتصرفون هكذا معنا ،حد فيكم دخل السجن أيام أنور السادات؟هل هذه مكافئتنا،لقد دافعنا ككنيسة عن الأقباط فى الجامعات أيام كانت الجماعات الإسلامية تعتدى عليهم بالجنازير فى كلياتهم ومدنهم الجامعية،وبسبب هذا الموقف وضعونا فى السجن لأننا قلنا لهم: ليس من حقكم أن تفعلوا هذا مع الأقباط.

قلت للشباب: وبعد كل هذا تقفون فى طريقى وترفعون صوتكم أمامى، وتركتهم وذهبت إلى محاضرتى فصعد إلى الشباب واعتذروا لى.

بعد ذلك نزل الشباب وهتفوا ورفعوا اللافتات،لم يبدؤوا بالعنف،بل بدأ رجال الشرطة وعندنا وثائق على ذلك،بتوع الأمن المركزى معاهم دروع ولابسين خوز، طلعوا على سطح الكنيسة البطرسية،كسروا بلاط الكنيسة اللى تحت التكييف وقذفوا بها الشباب وأصيب منهم عدد كبير،ولم نستطع أن نخرج بهم من باب الكاتدرائية فخرجنا بهم من الأبواب الخلفية حتى نصل بهم إلى المستشفيات ليتم علاجهم،وقد نشر البابا صور المصابين فى مجلة الكرازة ليؤكد أن الأمن هو الذى بدأ بالعنف.

قلت:وما حدث فى الإسكندرية؟

قال:وما الذى حدث فى الإسكندرية؟ تقصد أحداث محرم بك،ما حدث هناك أن الذين ضربوا بالسكاكين كانوا من الكنيسة وكان عندى مكرسة طعنت فى الرئة جنب القلب وظلت تنزف لمدة ٥ أيام،كانت خارجة من القداس هى و٣ بنات هجم عليها الولد ونزل فيها ضرب بالسكين وقطع أصابعها.

ومات مواطن قبطى وعندما خرجت جنازته اشتبك المسلمون مع من اشترك فى الجنازة،وحرقوا محلات الأقباط الموجودة فى الشارع،والغريب أن الدولة لم تدفع

تعويضات للأقباط المضارين رغم أن هذا واجبها،وهو ما قام به البابا شنودة حيث دفع تعويضات للأقباط المضارين ليس الأرثوذكس فقط ولكن البروتستنت أيضا.

ويكمل الأنبا بيشوى متسائلا:أين عنف الأقباط إذن؟هل لأنهم يهتفون ويقولون «بالروح بالدم نفديك يا صليب»،واحد قتل وخرجت جنازته يشتبكون معاهم ليه،ده لو فيه واحد فلسطينى مات بيعتبروه شهيدًا ويخرجوا يدفنوه فى زفة،نحن أيضا نعتبر أن من يقتل شهيدًا، وإن كنت أرى أن خروج الجنازة خطأ لأن السيطرة على المشاعر فى هذه الحالة تكون صعبة جدا من الطرفين.

ويضيف بأسى بدا فى صوته:أين عنف الأقباط؟الذين قتلوا فى الكشح كانوا ٢٠ قبطيا ولم يقتل مسلم واحد...فهل بعد ذلك يمكن أن نتحدث عن عنف الأقباط؟

****

على صفحة الأنبا بيشوى تتقاطع قصة أعتقد أنها لا تسعده،يعرفها جيدا وتصل إليه أصداؤها فى كل مكان ولذلك دخلت إليها مباشرة.

قلت له:هناك فاكس من ٢٠ صفحة أرسل إلى مكتب البابا شنودة بتوقيع ماجدة عبده القمص بيمن وهو كاهن بكفر الشيخ،فى هذا الفاكس وقائع عديدة لكن لفت نظرى أن هناك اتهامًا موجهًا لك وهو أنك أذعت اعترافها الخاص لتجبرها على أن تبقى مع زوجها...هل فعلت ذلك فعلا؟

قال:هذه نقطة سهلة جدا..فأنا لست أب اعترافها واسأل فى كفر الشيخ كلها،هذا أولا،وثانيا هذه السيدة بينها وبين زوجها اختلاف واتعمل لها مجلسًا إكليريكيا فى كفر الشيخ وكان من ضمن الحاضرين وكيل المطرانية وتم تحقيق تفصيلى انتهى باتفاق أن تغادر هى وزوجها كفر الشيخ وأن يسكنوا فى العامرية،وتم تنفيذ هذا الكلام ،لم أحضر هذه الجلسة والمعنى أنها لا جاءت لتعترف عندى ولا أنا أب اعترافها،وهناك تحقيق فإذا جرى بينها وبين أعضاء المجلس مناقشة فيما جرى فهل هذا إذاعة اعتراف،لقد جاءنى تقرير عن التحقيق

وهى مسألة أبعد ما تكون عن سر الاعتراف.

قلت له:لكنها تصر على أنك نشرت سرها وأكثر من مرة ولم تتردد أن تنشر هذا فى الصحف.

قال:لقد ذهبت إلى الصحف بالفعل..وتلاحظ أنى لم أرد على هذه الصحف لأننى حريص على ألا أمسها بسوء،رغم أنها لا زالت تتكلم وأنا لا أقول إلا العناوين فقط،والتفاصيل أحتفظ بها،لقد سألت الآباء الكهنة هل ناقشنا هذا الموضوع فى اجتماع الكهنة؟فقالوا لى لم يحدث،وحتى لو كان المجلس الإكليريكى ناقش وقدم تقريرًا أو ناقشنى فى الموضوع فهذا محفل كله كهنة،والمعلومات التى وصلتنى عن الموضوع لم تصلنى منها بل جاءتنى من المجلس.

قلت:لكنها طلبت منك أكثر من مرة أن تقابلك وتجلس معك لتعرض عليك مشكلتها مباشرة وأنت رفضت بل ونهرتها.

قال:ما تقوله كذب وإدعاء لقد جاءت بعد أن جلست مع وكيل المطرانية واتفق معها على رعايتها وبناتها لأنها بنت كاهن عندى والكاهن كتب احتجاجًا على ما فعلته إبنته وحاولنا أن ننشر هذا الاحتجاج فى الصحيفة التى نشرت لها لكننا لم نتمكن من ذلك.

قلت:تقول أن والدها قدم احتجاجا والحقيقة أنه اعتذار ولدى صورة منه ويقال: إنه كتبه تحت ضغط منك حتى لا تعاقبه بذنب إبنته؟

قال:لم يحدث وعندما سترى الفاكس ستجد أنه بتاريخ سابق لتاريخ نشر القصة فى الصحف فهو كان يحتج على ما فعلته معنا،وأنا لم أطلب منه الاعتذار مطلقا وهو حى يمكن أن تسأله،والحكاية أنى حاولت ألا أمس سمعتها..وحتى الآن وأنت تسألنى أتحدث عن الإطار الخارجى للموضوع دون الدخول فى تفاصيل،فكيف أكون مثلا أب اعترافها ثم تدعى أنى لا أريد أن أقابلها هذا هذا معقول.

قلت:وهل نهرتها وعنفتها أمام عدد من الأقباط؟

قال:لقد جاءت لتقابلنى فى الكنيسة بعد أن جلست مع وكيل المطرانيـة واتفقـا على تهدئة الأمور،لكنها شنت حملـة شـعواء عـلى القمـص كيـرلس منـذ سـنوات واتهمته بخيانة الأمانة وقد كسب هذه القضية،قالت لوكيـل المطرانيـة بعـدها لـن أفعل شيئًا آخر ونشرت اعتذارا على النت، واعتبرنا أنهـا اصـطلحت،لكننا فوجئنـا أنها جاءت الكنيسة لتهاجم أبونا مرة ثانية،كنت قاعدًا عـلى الكرسـى وهـى واقفـة جنبى بتهاجم أبونا،فأنا قلت لها : أنا لا أسمح لك، وإذا تصرفت بهـذا الأسـلوب، فلن أكون راضيا عنك،ولن أسمح لك أن تتصرفى بهذا الشكل مع كاهن عنـدى فى الأبروشية،و من حقى كواعظ وكرئيس دينى عندما أجد أحدا يهين أحد الكهنة أنا أقول له أنك أخطأت فيما تفعله.

قلت:ليس فيما تقوله إهانة لها.

قال:هى اعتبرت أنى عندما قلت لها: إنى لست راضيا عن أسلوبك الهجـومى على أبونا أنى بذلك أهنتها،يعنى واحدة تيجى تشتم واحدًا، ولما أقـول لهـا عيـب تبقى شتيمة،إنها تطاولت فى الكنيسة وتطاولت فيمـا كتبتـه فى الصـحف، وعليـك فقط أن تراجع الأسلوب الذى تتحدث به.

قلت له:لكن إنت قلت لها يا شرشوحة، ..هى قالت ذلك فى الفاكس واعتبرت أن هذا لا يليق من رجل دين.

قال:أعتقد أن مثل هذه الألفاظ من خيالها...لأننى لا أصف الشخص أبـدا بـل أصف كلامه، كأن أقول لها أن ما تقولينه عيب أو كلامك غلط ،لكن لا أصفها هى أبدا،وعندما يهين أحد شخصا آخر أمامى، يمكن أن أوبخـه فى حـدود أنـى أنتقـد كلامه دون أن أنتقد شخصه،وهى التى بدأت بالخطأ وخرجت عن اتفاقية الصـلح وأقامت علينا الدنيا دون أدنى مبرر.

قلت:لكنها ترى أنكم نصرتم زوجها عليها فقد أخذ شقتها وطردها فى الشـارع هى وبناتها.

قال:زوجها حتى هذه اللحظة يعتبر نفسه الطرف المجنى عليه، فقد أخذت منه البنات وهو يعيش الآن معلقًا والكنيسة فعليا لم تقدم له شيئًا يحقق له حياة عائلية مستقرة،وبعدين خلى أى محكمة تطلب منا وقائع جلسة التحقيق معها وسوف يظهر من الجانى ومن المجنى عليه فى هذه القضية.

قلت له:إن هذه القضية تفتح أمامنا ملف الطلاق،لماذا تتعاملون مع هذا الملف بكل هذه الحدة؟

قال:نحن نطبق تعاليم المسيح؟

قلنا:لكن أنتم سمحتم بزواج هالة صدقى مرة ثانية، ولم تسمحوا لزوجها بالمثل وهذه أغرب واقعة فى الدنيا.

قال:موضوع هالة صدقى لو أردت أن تناقشه عليك أن تقابل الأنبا بولا(أسقف طنطا والمسؤول عن ملف الأحوال الشخصية) وهو سيثبت لك أن موقف الكنيسة فى قضية هالة صدقى سليم مائة فى المائة ويطابق الإنجيل،أنا لم أتابع الموضوع جيدا لكن أنا متأكد أن الكنيسة فعلت الصواب، وأنا معترض أن يقال: إن الكنيسة ظلمت زوجها.

قلت:موضوع هالة صدقى مجرد مثال نحن نتحدث عن القضية الأشمل وهى الطلاق ومعاناة الأسر القبطية منها؟

قال:نحن ملتزمون بشريعة الإنجيل حسب تعاليم السيد المسيح.

قلنا له:وهل المسيحيون فى العالم كله الذين يقرون الطلاق لا يتبعون تعاليم المسيح؟

قال:مش ملتزمين...وعندك مثلا الرئيس بوش الذى كان يخرج من الصلاة ليأخذ قرار الحرب فهل كان يطبق الإنجيل؟

قلنا:لكن قضية الطلاق فيها اجتهادات كثيرة فلماذا لا تحاول الكنيسة أن تأخذ بها؟

قال وكأنه يريد أن يغلق هذه الصفحة: ملف الطلاق سواء حالة معينة مثل حالة صدقى أو بشكل عام ليس من اختصاصى وإذا كنتم تشعرون أن هناك شيئًا ليس دقيقا فى موضوع هالة صدقى فأنا أرفض ذلك...ثم إذا كان هناك شخص يشعر أنه ظلم فى حكم من أحكام المجلس الإكليريكى فى أى فترة من الفترات يأتى ليستأنف عندى ..فأنا لا أفترض أن هناك حكمًا غير قابل للاستئناف.

***

تحيط بالعلاقة بين البابا شنودة والأنبا بيشوى شائعات كثيرة،تفجرت فى فترات غياب البابا خلال رحلات علاجه الأخيرة التى أصبحت تمتد.

قالوا :إن الأنبا بيشوى استغل غياب البابا فى أمريكا وبدأ يعقد جلسات للمجمع المقدس ويصيغ فيها رسائل للرئيس وكأنه أصبح البطرك الفعلى.

وقيل : إن البابا عزل الأنبا بيشوى من منصبه كسكرتير للمجمع المقدس، للدرجة التى دفعت الأنبا بيشوى لأن ينشر على موقعه الرئيسى تكذيبا لهذه الشائعة.

كنت أعتقد أنا أيضا أن هناك توترا ما ينخر فى العلاقة بين الرجلين الكبيرين فى الكنيسة،كانت هناك شواهد كثيرة تقول ذلك وتؤكده،لكننى عندما جلست مع الأنبا بيشوى شعرت بعمق العلاقة بينهما،للدرجة التى يمكن أن تقول معها أن بيشوى هو أمين سر البابا شنودة،يمكن أن تسأله عن أى شيء يخص البابا ستجد عنده الإجابة.

كان مهما أن أسأله عما تردد عن كتابة البابا شنودة لمذكراته،كانت بعض الصحف قد نشرت خبرا قصيرا عن قيام البابا شنودة بكتابة مذكراته عن فترة الرئيس السادات،وهى المذكرات التى سيذكر فيها أسرار الصراع بينهما وهو الصراع الذى انتهى بعزل الأنبا شنودة من منصبه وتحديد إقامته فى دير وادى النطرون،وبدأت الصحف تنسج على هذا الخبر روايات وسيناريوهات عديدة للدرجة التى كتب فيها البعض ما الذى يمكن أن يقوله البابا.

سألت الأنبا بيشوى :هل يكتب البابا مذكراته عن فترة صراعه مع الرئيس

السادات؟

قال:لا... هذا كلام غير دقيق بالمرة،وأصل الحكاية أننا كنا فى اجتماع ويحضره بعض الأساقفة ،وقال أحدهم: إنه لابد من التأريخ لفترة السادات والعلاقة الصاخبة التى ربطت بينه وبين الكنيسة،فقال البابا شنودة على الفور :إن الأنبا بيشوى هو الذى يستطيع كتابة تاريخ هذه الفترة وبكفاءة عالية ،وقد قال البابا ذلك لأن عندى وثائق الكنيسة جميعها،لدرجة أن البابا عندما يكتب شيئا يطلب منى الوثائق التى تؤكد كلامه.

قلت:وهل ستنفذ هذه الرغبة وتكتب ماذا حدث بين السادات والكنيسة؟

قال:أنا قلت لهم أنا يمكن أن أقوم بهذا العمل لو إن البابا أعطانى إجازة شهر حتى أتفرغ لإنجاز كتابة تاريخ هذه الفترة،فنظر البابا إلى وضحك،فلا هو أعطانى الإجازة ولا أنا كتبت وانتهى الموضوع.

هذه الواقعة فتحت لنا مساحة مهمة نطل من خلالها على البابا شنودة فى مرآة الأنبا بيشوى بحكم قربه منه واتصاله به،بصرف النظر عما تأتى به الأقدار بعد ذلك، انتقلت بالحوار عن رجال الدين فدافع الأنبا بيشوى عن البابا بيشوى وبشراسة.

قلنا له:رجل الدين الآن وبشكل عام يعيش حالة من الرفاهية المبالغ فيها،كان رجال الدين المسيحى زمان يعيشون فى الأديرة حالة نادرة من التقشف،كانوا يتعمدون أن يحيوا حياة من الجفاف المادى حتى يخففوا الضغط على الجسد،كان طعامهم فقط الماء والزيت،الآن رجال الدين يأكلون الحمام ويعيشون فى حالة ثراء يمكن أن تدعهم إلى الانحراف وهو ماحدث فعلا من كثير من رجال الدين المسيحى فى السنوات الماضية.

اعترض الأنبا بيشوى على هذا الرأى....

قال:هناك فرق بين كرم الضيافة وأكل الرهبان الخاص،هذه نقطة أما النقطة الثانية فهى أن رصف الطرق المؤدية إلى الأديرة فى الصحراء أدى إلى زيادة

الرحلات إلى هذه الأديرة مما أدى إلى اختلاط الرهبان بالشعب العادى،لكن ليس معنى ذلك أنى ضد رصف الطرق،لأن الراهب كان يمشى أكثر من ٢٠ كيلو متر فى الرمال حتى يصل إلى ديره وهو أمر كان صعبا جدا.

قلنا له:دعك من الرهبان الصغار...ألست معنا أن ما يرتديه البطرك فى أحيان كثيرة وبعد أن كان بسيطا جدا تحول إلى ما يشبه ما يرتديه الملوك،البابا كيرلس كان بسيطا ورفض أن يرتدى الزى الذى أهداه إياه حاكم أثيوبيا...أما البابا شنودة فقد تحول إلى سوبر ستار وهو يتصرف على هذا الأساس...وهو ما جعل الأقباط يحنون إلى القديس فى شخصية البابا كيرلس...ويرهقهم البابا شنودة الذى أصبح رمزا للسلطة السياسية أكثر منه رمزا روحيا؟

لم يرق هذا الكلام للأنبا بيشوى الذى قال:لا هذا الكلام عليه رد.

ثم بدأ يتحدث:كل اللبس اللى بيلبسه البابا شنودة أثناء القداسات هو نفسه اللبس اللى كان بيلبسه البابا كيرلس فى هذه المناسبات،لكن الفارق أن أيام البابا كيرلس لم يكن هناك تليفزيونات أو فضائيات أو تصوير بهذه الكثافة،ثم أن الزى الذى قيل : إن حاكم أثيوبيا أهداه إلى البابا كيرلس لم يرتده أنا أقول لكم أنه ارتداه كثيرا ولدى صور تؤكد ذلك وتدل عليه.

ثم إن طعام البابا بسيط جدا،وهو ليس بسيطا فى الفترة الأخيرة خلال مرضه،لكن طوال عمره فهو مثلا لا يأكل اللحوم إلا فى يوم عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد القيامة،وتقريبا أسبوع واحد بعد عيد القيامة،وعندما كنت فى دير السريان كنت أزور البابا فى دير الأنبا بيشوى،كان فيه سور بين الديرين وكنت أعدى السور وأروح له،وأنا موجود هناك طبخوا للبابا خضارًا بمرقة الفراخ ومن غير فراخ خالص،وكانت النتيجة إن البابا زعل منهم جدا،ورفض ان يأكل من الطعام،وتعجبت جدا لأننا كنا فى وقت فطار وليس صيامًا،البابا غضب لدرجة أنه امتنع عن الكلام مع اللى عملوا العملة دى،وهذه الواقعة حضرها معى أسقف

حلوان الآن الأنبا بسنتى،فرغم أن البابا مريض ويعانى من أمراض عديدة إلا أنه لا يذوق اللحم إطلاقا بكافة أنواعه.

قلنا له:لكن يبدو أن هذه المعلومة ليست دقيقة، فقد شوهد البابا فى عزومة لدى الدكتور الراحل خيرى السمرة وكان يأكل فى العزومة حمامًا محشوًا؟

قال:إذا كان هذا حصل عند الدكتور خيرى السمرة فربما كان اللى موضوع على المائدة حمامًا محشوًا لكن أكيد كان فيه شيء آخر موضوع للبابا ليأكل منه،أو تكون هذه العزومة فى الأيام التى يأكل فيها البابا اللحم،و يمكن أن يكون الدكتور السمرة دعا البابا فيها كنوع من الاحتفاء به،وأنا أعرف أن البابا شنودة كان يزور الدكتور السمرة لأننى ذهبت معه إلى بيته أكثر من مرة، وأذكر أنه فى مرة من المرات كان هناك أمير سعودى موجود فى الدعوة.

قلنا له:وإذا كان ما تقوله صحيحا ونحن لا نشكك فيه فلماذا يحن الناس إلى عهد البابا كيرلس وإلى معجزات القديسين؟

قال:البابا شنودة له معجزاته أيضا ومن حدثت لهم المعجزات موجودين ويعيشون حتى الآن ويمكن أن تسألهم عما حدث،من هذه المعجزات مثلا كان هناك طفل عنده سرطان فى الدم وكانت الإصابة حوالى ٩٠٪،الدكتورة اللى كانت بتعالجه قالت لأهله، لو البابا صلى للطفل ده ربنا هيشفيه فورا،ولما عرضوا الموضوع على البابا وافق،إنه يصلى للطفل ولأهله كلهم وأعطى الطفل ملابس جديدة،رجع الطفل بعد صلاة البابا وعملوا له تحليلاً وجدوا إن نسبة السرطان صفر،وبعد ما كان الطفل محتاج لعملية زرع نخاع من قريب درجة أولى شفى دون أى علاج، فقط صلاة البابا له،وهذه الواقعة حدثت فى معهد السرطان وأصحابها موجودون حتى الآن.

وفيه معجزة ثانية وهى من المعجزات الثقيلة جدا رغم إن البابا بيعمل حاجات كتير كل يوم لكن أنا باتكلم عن واقعتين فقط،جاءنى ناس متجوزين من ٢٤ سنة

مروا على فى دير القديسة دميانة ولم يرزقا بطفل بعد كل هذه السنوات،قالوا لى إحنـا عدينا على البابا فى كاتدرائية العباسية وصلى لنا ورشمنا بالزيت وقلنا لو ربنا رزقنـا بطفل هنجيب خروف ونيجى السنة الجاية نعمـد الطفـل عنـدك،فقلت لهـم ربنـا يعطيكم حسب إيمانكم.

فى مايو من السنة التالية لقيتهم جايين ومعاهم طفل وخروفين، وعمدت الطفل لكنى وجدت معه طفلاً آخر،وسألتهم عن الطفل اللى معاه قالوا لى أبو هذا الطفـل ابن شقيق الرجل الذى أنجب بعد ٢٤ سنة،أى أن ابن شـقيقه تـزوج وأنجـب مـع عمه الذى ظل محروما من الأطفال كل هذه السنوات،أى أن هناك جيلاً كاملاً بين والدى الطفلين،هذه أشياء عشتها بنفسى،وأعتقد أن هذه معجزة أن ينجـب رجـل بعد ٢٤ سنة بعد أن صلى له البابا هو وزوجته.

والبابا كيرلس أنا شفت له معجزات كثيرة وعمل معى شخصـيا معجـزات ولا أنكر أن الناس تحبه وتعتز به وتزور ديره بأعداد كبيرة جدا،لكن البابا شنودة عنـده شيء يغطى على معجزاته،وهو، أن شخصيته شخصـية كاريزمية،وعنـدما يتحـدث يؤثر بقوة فى الجماهير.

قلت له:شخصيته الكاريزمية هى التى تحجب معجزاته أم دوره السياسى الذى يقوم به؟

قال:لا مش الدور السياسى طبعا...البابا شنودة بدأ قصته مـع الشـعب منـذ أن كان أسقفا للتعليم،ولم يكن له أى دور سياسى وقتها،كانت القاعة التـى يعـظ فيهـا تمتلأ عن آخرها،البابـا شـنودة يشـبه الـرئيس جمـال عبـد الناصـر فى قدرتـه عـلى الخطابة،فشهرة البابا فى الوعظ تطغى على شهرته فى عمل المعجزات،وهـذه ميـزة له،أما حكاية أن للبابا دورًا سياسيًا فقد بدأ هذا الموضوع مع حرقَ كنيسة الخانكة فى القليوبية،وبدأت المسائل تتعقد بينه وبين السادات ومن يومها وينظر لما يفعلـه البابا على أنه دور سياسى.

ما لم ينشر من حوار المطران

11

لم يكن ما نشر صحفيا من الحوار الذى دار بينى وبينى الأنبا بيشوى فى حوار الساعات الست هو كل ما جرى،فقد دارت مناقشات كثيرة،وصدرت منه تصريحات كثيرة طلب هو نفسه ألا تنشر فى وقتها،لأن الظرف من وجهة نظره وقتها لم يكن مناسبا.

كنت أحاوره وفى الخلفية حرب إسرائيل على غزة،وهى الحرب التى أهلكت الحرث والنسل،وكان الأنبا بيشوى قد انتهى من بحث مطول،وصل فيه من خلال الأدلة التوراتية إلى أن ما يردده اليهود عن هيكل سليمان وحقهم التاريخى فيه ليس إلا وهما كبيرا.

كانت هذه النتيجة التى توصل إليها الأنبا بيشوى عادية للغاية،فقد توصل إليهـ كثيرون غيره ليس من الأقباط فقط ولكن من المسلمين أيضا،لكنه قدر أن هذه الرؤية خطيرة جدا،خاصة أنها ستخرج على الناس من خلال بحث عممى وعلى لسان واحد من أهم وأكبر رجال الدين فى مصر،وهى بذلك ستكون رؤية لها قيمة وثقل وثقة فى الوقت نفسه،وقد رأى أن إعلان هذه النتيجة من خلال بحثه يمكن أن يكون لها أضرارًا جانبية أكثر من نفعها،ولذلك تراجع عن نشر بحثه أو الإعلان عنه فى هذا الظرف السياسى الحرج.

لكن هل كان إرجاء النشر قرارا فرديا ومن خلال إرادة الأنبا بيشوى الحرة،أما أنه كان هنك من نصحه بذلك؟

الإجابة قدمها الأنبا بيشوى على طبق من ذهب، قال: إنه جلس مع ضابط أمن دولة من هؤلاء الذين يتابعون دير القديسة دميانة الذى يرأسه الأنبا بيشوى،وأنه بعد أن عرض عليه بحثه ونتائجه الخطيرة نصحه بأن يرجئ النشر لأنه لن يكون فى مصلحة أحد.

لم يناقش الأنبا بيشوى ضابط أمن الدولة فى الأمر،لم يقل له مثلا أن ما قام به ليس إلا رؤية علمية وأن نشرها فى أى وقت لا يمكن أن يكون له ضررا،وحتى لو قدر الضابط وقتا مناسبا للنشر ووقتا آخر ليس مناسبا،فإن وقت الحرب على غزة كان هو الأنسب للنشر،إذا ما فائدة البحث العلمى إن لم يوضع فى خدمة البشر وحصولهم على حقوقهم.

تصريح الأنبا بيشوى بعرض البحث الخاص به على ضابط أمن الدولة وأخذ رأيه فيه لم يكن هو التصريح الوحيد الساخن فى هذا الإطار،فقد قال أنه دائما ما ينسق مع ضباط أمن الدولة فى كل ما يخص شؤون الكنيسة،لأنه يعرف أنه لا يعمل وحده ولا يعمل فى الفراغ،وأن الرؤية الأمنية تكون مهمة فى كثير من الأحيان،بل إن ضابط أمن الدولة قد يرى ما يراه رجل الدين فى أوقات

كثيرة،ولذلك فمن المناسب أن يوضع رأيه فى الاعتبار.

هذا الاعتراف الخطير الذى ألقاه الأنبا بيشوى فى إطار حديثه عن بحث علمى قام به يفتح الباب أمام مناقشة صريحة حول الدور الذى يلعبه ضباط أمن الدولة فى حياة كبار الأساقفة،قد يكون هذا التدخل السافر والمباشر مقبولا بالنسبة للكهنة الصغار،أو رجال الدين المسيحى فى بداية طريقهم،أما الأساقفة الكبار فمن المفروض أنهم هم الذين يرسمون الخريطة العامة التى تسير على هداه وبمقتضاها الكنيسة،وهو ما يعنى أنه ليس مقبولا أن يتلقى الأساقفة التعليمات من الخارج.

وإذا كانت الرؤية الأمنية هنا واضحة وقد جنبت الكنيسة والرجل القوى فيها مزالق الزلل الذى يمكن أن يقع فيها،فما هى الأشياء الأخرى التى ينصت فيها الأنبا بيشوى لرجال مباحث أمن الدولة فيها،وهل ينفذ كل ما يصدر له من تعليمات،أو لنكن أكثر أدبا ونقول هل يمتثل الأسقف الكبير لكل ما يتلقاه من نصائح؟الإجابة عن الأنبا بيشوى وحده،الذى اعترف وبكامل إرادته بأنه يعمل بتعليمات أمن الدولة.

لقد نزل الأنبا بيشوى ضيفا بعد شهور من حوارى معه ضيفا على برنامج فى قناة النيل الدولية،وأشار إلى بحثه ونتائجه التى توصل إليه،ورغم أن البرنامج أذيع باللغة الإنجليزية أى أن أصداء بحثه الضخم وصلت إلى دوائر عالمية وليست مصرية فقط،لكن ومع ذلك فإن أحدا لم يلتفت إليه ولا إلى بحثه،ولم تثر أية مشكلة من أى نوع،وهو ما يؤكد أن الأنبا بيشوى كان مبالغا فى تأثير بحثه المهم.

لكن الأهم من ذلك أن الأنبا بيشوى فى حديثه التليفزيونى لم يشر من قريب أو بعيد إلى لقائه بضابط أمن الدولة ولا إلى الحوار الذى دار بينهما بخصوص البحث،وهو أمر مفهوم ويمكن أن أستوعبه،فليس كل ما يحدث يقال فى وسائل الإعلام العامة التى يشاهدها عدد كبير من الناس،لكن يمكن أن يقال فى جلسات

ضيقة،لأن الأنبا بيشوى يعرف جيدا أن تسريبه لكلام عـن علاقاتـه بـأمن الدولـة، يمكن أن يضر صورته العامة أمام الأقباط،وهى الصورة التى يحرص على أن تكون قوية وصلبة ولا يمكن أن يقترب منها أحد بسوء.

قد يأخذ البعض على أننى سمعت هذا الكلام من الأنبا بيشوى فى جلسة خاصة وأنى لم أبادر إلى نشره فى الحوار الصـحفى،وهو مـا يعنـى أن الأنبـا بيشـوى كـان حريصا على ألا ينشر هذا الكلام،وهو كلام له وجاهته.

لكن الأنبا بيشوى لم يطلب وقتها عدم نشر هذه الواقعة،ولكنـه طلـب ألا نشـير إلى نتائج بحثه الخطير فى الظرف السياسى الذى جرى فيه الحـوار،حتى لا يعطـى أحدا فرصة للهجوم على الكنيسة المصرية.

مساحة أخرى من الحوار تطرق إليها الأنبا بيشوى وأرجأت نشرها فى صـحيفة سيارة ولها قراء بالآلاف،لقد حمل الأنبا بيشوى عـلى زكريـا بطرس،للدرجـة التـى أخرجه فيها من الأرثوذكسية،صحيح أنه دافع عن نفسـه فى مسـألة أنـه لم يقـل: إن القمص زكريا بطـرس لـيس أرثوذكسـيا،لأنه لا يمتلـك هـذا الحكم،كمـا أنـه لا يستخدم أبدا لفظة الكفر التى يقول البعض أنه يستخدمها.

لكن الأنبا بيشوى فعل أكثر من ذلك،عندما التمس العذر بشكل خفـى لزكريـا بطرس فيما يفعله،وتحديدا فى هجومه المستمر على القرآن الكريم وعـلى الرسـول ﷺ.

قال الأنبا بيشوى:لم يسأل أحد نفسه لماذا يفعـل زكريـا بطـرس مـا يفعلـه؟ولا لماذا يسلك من يسيرون عـلى طريقـه مسـلكه فى الهجـوم عـلى الإسـلام ورسـول الإسلام وكتابه؟لم يمهلنى الأنبا بيشوى فرصة للإجابة عـلى السـؤال،ولكنه سـارع بالإجابة؟

قال: إنه مع بدايات تفسـير الشـيخ الشـعراوى للقـرآن الكـريم والـذى أطلـق عليه«خواطرى حول القرآن الكريم»،بدأ الشيخ يتعرض للديانة المسـيحية بمـا لا

يعجب أهله وما لا يرضون عنه،وكان التليفزيون الرسمى يذيع هذه الخـواطر بـلا أدنى مراعاة لمشاعر الأقباط الذين يشاهدون الشيخ الشعراوى فى التليفزيون،وقد قدمت الكنيسة احتجاجات عديدة لدى المسؤولين عن التليفزيون وفى الدولة على السـواء،لكن لم يسـتجب أحـد لهـذه الاحتجاجات،وواصـل الشـيخ الشـعراوى هجومه على الديانة المسيحية،وكان الاحتقان كل يوم يزداد فى صدور المسيحيين.

هذه الحالة كما يرى الأنبا بيشوى هى التى أفرزت ظاهرة زكريا بطرس وغيـره ممن يهاجمون الإسلام بنفس المنطق الـذى أرسـاه الشـيخ الشـعراوى فى حلقاتـه التليفزيونية،وإذا كان هناك من يرى أن الهجوم على الإسلام يأتى فى صـورة عنيفـة وغير مقبولة،فإن الأنبا بيشوى يرى أن ذلك يجرى لأن من يهاجمون الإسلام ظلوا لسنوات طويلة يحبسون احتقانهم فى داخلهم،ولما واتتهم الفرصة عبـر الإنترنـت ومواقعه المختلفة وعبر الفضائيات وقنواتها المتعددة أفسحوا عمـا فى صـدورهم من غضب ولذلك جاء الغضب عارما وشاملا وهائلا.

ما الذى يمكن أن نفهمه من هذا الكلام؟

هل نفهم أن الأنبا بيشوى يحاول فقط أن يفسر ظـاهرة زكريـا بطـرس والـذين يسلكون مسلكه؟رغم أنه يدين هذه الظاهرة وقـد أعلـن ذلـك أكثـر مـن مـرة وفى مواطن ومواقف مختلفة،فالرجل يحاول أن يفهم فقط،والفهم لا يعنى الموافقة أو القبول،أم أن الرجل معجب بدرجة مـا بمـا يفعلـه زكريـا بطـرس وغيره،لكنـه لا يستطيع أن يصرح بذلك،لأنه كما قال فهو يعرف جيدا رد فعل المسلمين العنيـف على مثل هذه الممارسات،وأنه يعيش بين مسلمين ولا يجب أن يجرح مشاعرهم.

لا أستطيع أن أتبنى إجابة قاطعة أو شافية فى هذا الأمر،فلا يمكن لى أن أتـدخل فى نية الرجل أو أن أستنطقه بما لم ينطق،ولا أضع على لسانه ما لم يقله،لكننى أضـع علامة تعجب واحدة على رد فعل القمص زكريا بطرس على ما قاله الأنبـا بيشـوى فى حقه وعنه،فقد نفى نفيا تاما أن يكون الأنبا بيشوى قـال مـا قـال،واتهمنى بـأننى

فبركت هذا الحوار،وأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن الأنبا بيشوى.

قد يكون القمص زكريا بطرس يتعامل بخبث مع الأنبا بيشوى،خاصة أن هناك تسجيلات بصوت بيشوى ضد بطرس،وهو هنا يريد أن يحرقه ويشير إلى أنه يوافق ضمنيا على ما يفعله ويقوم به،لكن وضعه وسط المسلمين هو الذى يحرجه ويجعله يتعامل بمنطق التقية،أى أنه لا يعلن ما فى نفسه ويقينه مخافة على نفسه،وهو أمر لا أستبعده على زكريا بطرس الرجل الذى يعيش على الأكاذيب ويقتات بها.

على أية حال كان هذا ما قاله الأنبا بيشوى أما تفسيره أو ما يعقبه من معانٍ فهو أمر بينه وبين الله،ولا يمكن لى أن أساله عنه أو عليه.

المساحة الثالثة التى تراجع الأنبا بيشوى عن أن يتم فيها النشر ببساطة هى موقفه من الطوائف المسيحية الأخرى،كانت هناك ظلال على الحوار من السى دى الذى قيل:إنه منسوب للأنبا بيشوى وقال فيه: إنه يكفر البروتستنت ولا يعتبرهم يؤمنون بالمسيح.

نفى الأنبا بيشوى أن يقول ذلك على الإطلاق،فهو لا يستخدم كلمة الكفر من الأساس،أراد ألا يتعرض لهذا الموضوع،ولما وافقته على ذلك،عاد ليدخل إليه من منطقة أخرى،حيث أخذ يبرر موقفه وهجومه الدائم على الطوائف التى تريد أن تدمر الكنيسة المصرية،وتخطط ليل نهار لهدم الأرثوذكسية،حيث إنهم لا يعملون من أجل جذب الديانات الأخرى إلى ما يعتقدون،لكنهم يريدون أن يوسعوا كنائسهم على حساب الكنيسة الأم،ولذلك يبثون أفكارهم وسط الشباب الأرثوذكسى وهى أفكار فى نهاية الأمر خطر على إيمانه.

وأرد الأنبا بيشوى أن يضرب مثلا على ما يجرى فقال:هل يمكن أن أترك أولاد الكنيسة لطائفة تروج للكفر وتقول : إن الكفرة يدخلون الجنة ولا حساب لهم فى الآخرة،أمسك الأنبا بيشوى عن الكلام بعد أن قال هذه الجملة،ولما قلت له:أى الطوائف تفعل ذلك؟بعد تردد:قال الكاثوليك هم من يفعلون ذلك.

تهديد صريح بقتل الرجل القوى

12

لم يكن الحوار مع الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس من النوع الهادئ،لكنه كان مراوغا وبشدة،لم يكن الأنبا بيشوى فيه كعادته فى الحوارات الأخرى،التى كان يقول فيها ما يريده هو وبدقة شديدة كنت أحسنده عليها،أما معنا فقد قال ما أردنا أن نعرفه وما يريد الأقباط أن يسمعوه منه.

توقعت أن يثير حواره غضبا فى مساحات محددة وهو ما حدث تقريبا فى مساحة خلافه مع زكريا بطرس،الذى قال بتنطعه المعروف عنه : إن الحوار المنشور فى الفجر لابد أنه مفبرك،وفات عليه أن الأنبا بيشوى هاجمه بالاسم فى أكثر من مؤتمر وهناك تسجيلات صوتية له ينتقد فيها ما يردده بطرس من أكاذيب

على قناة الحياة،أراد زكريا أن يطعن فيما نشرناه وأن يبعد الأنبا بيشوى عنه،وهى حيلة خائبة لم تنطل على أحد،فزكريا بطرس يكذب طول الوقت فلماذا يقول الصدق هذه المرة؟

لكن ما كان مدهشا حقا هو ما تضمنه بيان صادر عن جماعة تلقب نفسها ب«الجماعة القبطية للإصلاح الكنسى» يحمل البيان رقم ١٦،أى أنها أصدرت قبل ذلك ١٥ بيانا هاجمت فى معظمها الأنبا بيشوى وطالبت بعزله أكثر من مرة وإبعاده عن كل مناصبه فى الكنيسة.

لا يوجد أى تجلى لهذه الجماعة فى المحافل القبطية،كل ما تفعله أنها تصدر بيانات فقط،وهو ما حدا بالكنيسة إلى أن تتجاهل ما تفعله،وانحازت بعض مواقع أقباط المهجر إلى أن هذه الجماعة ليست إلا تجمعا وهميا ولا يوجد شىء من الأساس اسمه «الجماعة القبطية للإصلاح الكنسى».

قفز على السطح تفسير هزلى إلى حد بعيد وهو أن هذه الجماعة يقف خلفها مسلم يريد فى النهاية أن يوقع بالخلاف بين الأقباط،وهو حريص على إصدار البيانات بشكل مجهل حتى لا يمسك عليه أحد شيء فتفسد خطته،وهو تفسير لا يليق بالطبع بمثل هذه الجماعة حتى لو كانت غريبة وغامضة،فهو تفسير يصلح لأفلام إسماعيل ياسين لا أكثر ولا أقل من ذلك.

كان يمكن أن يمر هذا البيان مرور الكرام،لو أنه يحمل فقط دعوة فى وجوب وضرورة عزل الأنبا بيشوى من جميع مناصبه وإسقاطه من درجته الكهنوتية طبقا لما جاءت به القوانين الحاكمة فى جميع تصرفات رجال الإكليروس،وهو كلام قديم جدا لا مكان فيه لشيء لم يذكر من قبل،فالأنبا بيشوى يحظى بدرجة عالية جدا من عدم القبول بين فئات عديدة من الأقباط،ولكل أسبابه وحَجته فى ذلك.

لكن الجديد فى هذا البيان أننى كنت طرفا فى الصراع بين الجماعة الخفية والأنبا المستهدف بالهجوم والمطاردة، فطبقا للبيان السادس عشر فقد قررت

الجماعة القبطية للإصلاح الكنسى العودة لمزاولة نشاطها بعد فترة توقف منذ البيان الخامس عشر قاربت على ثمانية أشهر.

ذكرت الجماعة الأسباب التى دعتها للتوقف ومنها اعتلال صحة البابا أكثر من مرة فى هذه الفترة فوجدوا لزاما عليهم أن يحترموا فترة مرضه ويجمدوا نشاط الجماعة مؤقتا،وحصولهم على تأكيدات من أكثر من أسقف ليس من داخل المجمع المقدس فحسب بل من داخل المطبخ السياسى للمجمع المقدس والمقربين جدا من دائرة صنع القرار أن البابا بصدد إصدار تعديلاته على لائحة انتخاب البطريرك، وكذلك النظر بعين الاعتبار إلى كل المطالب المشروعة التى نادت بها الجماعة القبطية للإصلاح الكنسى من أجل إصلاح العوار الناتج عن السياسات الخاطئة التى تنتهجها بعض القيادات الكنسية، وعلى رأسهم الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس التى أدت وكما يقول البيان إلى ما وصل إليه الحال من حدوث بلبلة، وانشقاق فى الصف القبطى بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الكنيسة القبطية.

التزمت الجماعة بالصمت كذلك بعد تأكيد البابا للأساقفة وخصوصا فى آخر إجتماع للمجمع المقدس بعد عودته من الرحلة العلاجية للولايات المتحدة أنه بصدد تقليص صلاحيات الأنبا بيشوى فى الكنيسة، وأخذ بعض الملفات المهمة منه،بل والأكثر من هذا أن البابا قال : إنه فى حالة وجود أى اقتراحات للآباء الأساقفة عليهم إعطاؤها مباشرة لأسقف الشباب الأنبا موسى،فكان لهذا التوجه الجديد والحميد للبابا أثر فى عمل الجماعة التى شعرت أنه استجاب لها ولمطالبها.

أشعر بالطبع أن هذه الجماعة مختلة عقليا فهى تقول وترد على نفسها،فلم تحدث البيانات السابقة التى أصدرتها شيئًا ذا بال،ولم يتأثر الأنبا بيشوى بما قامت به ولم يتحرك عن مكانه قيد أنملة،لكن الجماعة اعتقدت ذلك فاكتفت بأن تعلن

نجاحها وتوقفها بالمرة عن المطالبة بالإصلاح.

لكن يبدو أن هناك ما حرك الجماعة،وهو ما ذكرته ويتعلق بى وهو ما دعانى لأن أتعامل مع البيان باهتمام،يقول البيان على لسان الجماعة:لكننا فوجئنا بالحوار المنشور مع الأنبا بيشوى فى جريدة الفجر القاهرية يوم ٢ فبراير ٢٠٩ مع عادل حمودة و محمد الباز،واللذين لا نشك أبدا فى مصداقية أقلامهما تجاه ما ينشر بل ونعرف كيف ضحيا بالكثير من حرياتهما الشخصية فى سبيل صاحبة الجلالة،ولو أن هذا الحديث نشر فى أى جريدة أخرى لما أعرناه اهتماما كما حدث وتكلم الأنبا بيشوى مع كثير من الصحفيين سابقا.

ويضيف البيان:ولكن عندما ينشر هذا الحوار على يد اثنين فى حجم عادل حمودة ومحمد الباز فكان لابد أن ننظر للأمر نظرة أخرى،ولذلك انزعجنا بشدة من الحوار المنشور وقررنا على أثره أن نعود وبقوة إلى الساحة القبطية دون النظر إلى اعتبارات أخرى لتعرية الأنبا بيشوى أمام الجميع وبالمستندات،ولنظهر للجميع أنه لا يصلح للكرسى البابوى بل ونزيد أن خراب الكنيسة سيكون على يديه،وحجتنا فى ذلك المستندات الخطيرة والهامة التى تحت أيدينا والتى سوف نستخدمها فى حينها لمنع الأنبا بيشوى من الجلوس على الكرسى البابوى،وذلك لوجود موانع من الناحية الحياتية والاجتماعية وأشياء أخرى خاصة بأسرته وخصوصا السيدة والدته تمنعه من ذلك الترشح.

الخطر ليس فى عودة الجماعة إلى العمل مرة ثانية،فهذا شأنها،ولكن فى الأسلوب الجديد الذى ستتبعه،فهى ستعتمد من الآن على سلاح الفضائح،ولأن هذا الأسلوب لا يتفاعل معه أحد فقد اعتذرت عنه مقدما.

يقول بيان الجماعة:وإذ تعلن الجماعة أنها لا تحب مثل هذه الأساليب الرخيصة ولكن لولا خطورة الوضع وخوفنا على الكنيسة ما تورطنا ونشرنا تلك الفضائح والتى نجدنا مضطرين لنشرها لأن عدم نشرها- وهذا هو الأخطر بالطبع

من وجهة نظرى – سيؤدى بنا إلى أن نسير على نهج جماعة الأمة القبطية وما فعلته بالبابا يوساب وإن كنا لا نشك فى أننا سوف يكون لنا التأييد من الجميع إكليروسًا وشعبا.

هنا تحديدا ولو صح وجود هذه الجماعة الغامضة والمريبة،مولد لحركات العنف القبطية من جديد،فبعد أن أصدرت الجماعة ١٥ بيانا تطالب فيه بالإصلاح من وجهة نظرها وجدت أن الطريق مغلقا فى وجهها،ففكرت أن تسلك سبيلا آخر وهو أن تعيد سيرة جماعة الأمة القبطية التى قامت باختطاف البابا يوساب.

أعلنت جماعة الأمة القبطية عن نفسها فى ١١ سبتمبر ١٩٥٢،وصدر قرار بحلها فى ٢٤ من إبريل ١٩٥٤،أى أنها كانت قصيرة العمر،لكنها ومع ذلك ولأنها لم تسترح لسلبية البابا يوساب وتركه أمور الكنيسة فى يد سكرتيره والذى كان البابا غير المتوج،فقد قررت أن تفعل ما يعجز عنه الآخرون،اتفق أعضاء الجماعة على التوجه إلى البطريركية وإجبار يوساب الثانى على التنازل عن المهام الإدارية وتوقيعه على وثيقة بذلك،وترحيله إلى أحد الأديرة وتم تنفيذ ذلك فى ٢٤ يوليو ١٩٥٤،وافق البابا على ما طلبوه منه فلم يكن أمامه طريق آخر وغادر البطريركية فى هدوء.

أبلغ زعيم الجماعة إبراهيم فهمى هلال اللواء محمد نجيب – رئيس الجمهورية وقتها – بما جرى فقال له عبر الهاتف:يا إبراهيم أى حاجة لا يوجد بها مساس بأحد من السلطة إنتم أحرار،فأجابه:يار يس لا يوجد أى مساس نهائيا،صحيح أن قيادات الكنيسة ارتجت وتدخلت وقامت بمفاوضات مع الجماعة عبر الوزير المسيحى الدكتور جندى عبد الملك استمرت لمدة ثلاثة أيام لتنتهى بالقبض على قيادات الجماعة وإعادة البطريرك إلى قصره مرة أخرى.

وعلى ما يبدو أن جماعة الإصلاح الكنسى هددت بتكرار ما حدث مع البابا يوساب لأن أوضاع الكنيسة الآن بالنسبة لها لا تختلف عما كان يجرى فى عهد

يوساب،فالبابا لا يفعل شئيا والأنبا بيشوى هو الذى يحكم الكنيسة،بل إنها تأكدت أن الأنبا بيشوى يخطط من أجل الوصول إلى الكرسى البطريركى من خلال ما قاله لنا.

يقول البيان:كلام الأنبا بيشوى يحمل فى معناه ومضمونه إجابة عما تسول نفسه الداخلية الإجابة عليه،إنه يحمل موافقة مبدئية وكلية أكيدة على قبوله لترشيح لكرسى البطريركية حيث وجه له سؤال:هل سترشح نفسك لمنصب البطريرك؟وكانت الإجابة:ما قاله له البابا شخصيا،وهو أن كل بطاركة الكنائس الأرثوزكسية فى العالم سواء البيزنطية أو العائلة كان لديهم أبراشيات أو كانوا مطارنة أو أساقفة والملاحظ هنا أن ما قاله البابا واستشهد بالأنبا أرميا لهو دليل واضح على التآمر للاستيلاء على الكرسى البابوى.

وما دام الأنبا بيشوى من وجهة نظر هذه الجماعة يسعى إلى الكرسى ، وهو ليس من حقه،وما دامت كل بياناتهم تبوء بالفشل فإنهم سيلجأون إلى طرق أخرى،الأولى هى نشر فضائح الأنبا بيشوى وتجزم الجماعة أن لديها ما تقوله وبالمستندات،ويشير البيان إلى بعضها منها مثلا أن حياة الأنبا بيشوى الاجتماعية شابتها مخاطر عقائدية كثيرة، فهناك تأكيد بأن أسرته لم تكن أرثوذكسية المذهب،بل إن أسرته تنتمى لأسرة شامية العرق رومية المذهب،وأن كثرة زيجات والدته بعد وفاة والده إنما تؤكد على عدم الإستقرار الأسرى والنفسى لشخصه،حيث ترك الأنبا بيشوى ليعيش مع خالة أمه، وتدعى كاترين وقيام عمه ألفونس نقولا بالصرف عليه، وإعالته أثناء الدراسة مما أوجد حالة من عدم الاستقرار .

هذه عينة فقط من الفضائح التى تهدد بها الجماعة الأنبا بيشوى،وإن كنت أرى أنها ليست ذات قيمة لأنها فى النهاية ليست إلا مجموعة من الحكايات التى لا يقوم عليها أى دليل من أى نوع.

الطريقة الثانية التى توحى الجماعة أنها ستواجه الأنبا بيشوى من خلالها هى الخطف،وكما فعلت جماعة الأمة القبطية يمكن أن تعمل الجماعة القبطية للإصلاح الكنسى،وهو تهديد يمكن أن يستهين به الأنبا بيشوى ويتعامل على أن هذه الجماعة وهمية لا وجود لها،إلا أنه لابد من وضع حراسة مشددة عليه،لأننا وبصراحة لسنا فى حاجة إلى مثل هذا الصداع،فلو أن الأنبا بيشوى أختطف من أى جهة قبطية،فستجد أن هناك متنطعين قبطيين يهزون بأن جماعة إسلامية هى التى اختطفته،وندخل وقتها فى دوامة لا أول لها ولا آخر.

الطريقة الثالثة التى لم تخفها الجماعة الغامضة هى القتل،والحقيقة أن التهديد بالقتل لن يطول الأنبا بيشوى وحده ولكن سيطول آخرين فى الكنيسة.

يقول بيان الجماعة الغامضة:حيث إن العامة من شعبنا القبطى وكذلك الكثير من أساقفة الكنيسة وكهنتها ورهبانها قد لا يعرفون حقيقة الوضع الحقيقى داخل المطبخ الكنسى والذى أدى ببعض الأساقفة وعلى رأسهم الأنبا بيشوى والأنبا أبرام فى التواجد المستمر داخل البطريركية مع ترك أبراشيتهم فإننا ننوه بأن حقيقة ما يجرى الآن من إعداد وتجهيز وتحفيز الكثيرين من أجل أن يعتلى مطران دمياط وكفر الشيخ السدة المرقسية وبرغم ما يفعله من تجييش فئة المتفعين الذين حوله والمجندين حوله فى بعض الإبراشيات على مستوى الكرازة والذين يشملهم عطفه بحفنة نقود كلا على شاكلته ولكن نوضح أن حلم المطران بيشوى فى الوصول إلى الكرسى سراب بعيد المنال.

ويضيف البيان:سوف تعلن الجماعة القبطية للإصلاح الكنسى المرشحين للخلافة البابوية من الأسماء البارزة فى الرهبنة القبطية وحذارى أن يمارس عليهم ضغط لمنعهم من الترشيح،ستكون العاقبة موت لكل من تسول له نفسه أى ممارسة غير شريفة لمنعهم من الترشيح.

هذا تهديد واضح إذن للأنبا بيشوى الذى ترى الجماعة أنه يسعى وبقوة إلى

السدة المرقسية،ومن يدرى فقد تسعى الجماعة إلى تنفيذ تهديها بالقوة،لقد سألت الأنبا بيشوى فى حوارى معه عن العنف القبطى،فنفى تماما أن يكون هناك أى نوع من العنف القبطى،لكن يبدو أنه لم يكن على علم بكل ما يجرى فى الكنيسة،فهذه جماعة كما يقولون تحمل كفنها على يدها وتتقدم به من أجل أن تحقق ما تريده،ولن يقف فى طريقها أحد على ما يبدو.

قد يكون البيان تهويلا وتهويما،لكن التعامل معه على طريقة منظمات أقباط المهجر الخائبة يمكن أن ينذر بكارثة،ولن يجدى هنا أن يقول المسؤولون فى الكنيسة أنهم لا يعرفون عنها شيئًا كما فعلوا مع الأب يوتا ويفعلون الآن مع زكريا بطرس،إننى هنا أحذر من القادم الذى سيكون أسود على الجميع،نحن فى غنى عنه،وليس على الكنيسة إلا أن تفتش فى دفاترها لتعرف من ظلمتهم ومن جارت عليهم حتى جعلتهم فى موضع من يريد أن ينتقم.



معركة الأسقف والفيلسوف

13

لم تكن رواية عزازيل هي الرواية الأولى فى حياة يوسف زيدان فقد أصدر قبلها روايته ظل الأفعى،لكن اسمه أصبح مرتبطا بعزازيل أكثر،ولم تكن جائزة البوكر العالمية هى الجائزة الأولى التى حصل عليها فى حياته،فهناك جوائز أخرى حصل عليها لها قيمتها الكبيرة، فقد حصل فى العام ١٩٩٤على جائزة مؤسسة عبد الحميد شومان للعلماء العرب الشباب في مجال العلوم والفلسفة الاجتماعية عن كتابه «فوائح الجمال وفواتيح الجلال للصوفى نجم الدين كبرى» وكان ذلك أول عمل ينشر فى الدول العربية عن ذلك الصوفى الكبير.

ثم كانت هناك جائزتان حصل عليهما من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى عن

كتبه وتحقيقاته حول إسهامات ابن النفيس فى الطب،لكن تظل البوكر هى الجائزة الأهم فى حياته،من وجهة نظره وكما قال بعد حصوله عليها:هى تختلف من حيث الملامح والميدان لأنها جائزة للكتابة الروائية بصورة خاصة.

لكن من وجهة نظرى أنها تختلف لأنها وضعته فى دائرة الضوء،وهو ضوء لا يضمن لصاحبه بريقا فقط ولكن يضعه فى دائرة الحريق أيضا،فمنذ حصوله عليها وهو فى مرمى السهام من الكنيسة المصرية التى تعاملت مع عزازيل منذ اللحظة الأولى على أنها رواية مارقة تستحق الحرق ويستحق صاحبها القتل.

منذ اللحظة الأولى لصدور الرواية عن دار الشروق والكنيسة توجه سهامها إلى قلب يوسف زيدان،لكن بعد حصوله على البوكر زادت السهام،واتسع ميدان المعركة ضده،لأن فى الجائزة اعترافًا عالميًا بقيمتها وأهميتها وهو ما أقلق منام رجال بعينهم فى الكنيسة وجعلهم يجهزون أسلحتهم من جديد لخوض معركة ضد الفيلسوف الذى قال كلمته ومضى،لكن هناك من يريد أن يلحق به ويجعله يدفع ثمن ما كتبه.

ميدان المعركة الدائر الآن يجمع فى ضفة منه الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس والرجل الذى يوصف بأنه الرجل الثانى فى الكنيسة ويستمتع كذلك بلقب حارس باب العقيدة الأرثوذكسية،وقد يكون هذا اللقب تحديدا هو ما يلهب حماسه ليخوض معركة تكسير عظام ضد يوسف زيدان،حتى يظهر الأنبا بيشوى وكأنها يستحق لقب أطلقته عليه صحف قبطية صغيرة يرعاها هو بنفسه ويغدق عليها من أموال أبراشيته التى تضم دمياط وكفر الشيخ والبرارى.

والطرف الثانى هو الدكتور يوسف زيدان ،ويوسف مواطن مصرى صعيدى من مواليد سوهاج فى العام ١٩٥٨،أى أنه يحمل على كتفيه ٥١ عامًا،أنفق معظمها فى تحصيل العلم ودراسة المخطوطات التى هى تخصصه الرئيسى،وهو فى الوقت نفسه أستاذ الفلسفة الإسلامية وتاريخ العلوم ومدير مركز المخطوطات بمكتبة

الإسكندرية،ولديه اهتمام خاص بتاريخ التصوف الإسلامى وله فيه مؤلفات عديدة.

حجم الرجلين الضخم والكبير هو الذى منح المعركة الدائرة بينهما قيمتها وقوتها،فنحن أمام طرف يدافع عن شرعية وجوده وهو الأنبا بيشوى الذى يحرص على أن يبدو فى صورة المدافع عن كنيسته بكل الطرق،حتى لو أخرجه هذا الدفاع عن وقار رجل الدين الذى يجب أن يلتزم بأصول اللياقة فى معاركه ومحاوراته الفكرية،وطرف يدافع عن قناعاته وأفكاره وعمره الذى أنفقه عن طيب خاطر فى تحصيل علوم الفلسفة وتاريخ التصوف الإسلامى وهو يوسف زيدان.

لدى الأنبا بيشوى ملاحظات محددة على رواية عزازيل يمكن أن نجملها فيما صرح به بيشوى،فهو يرى أن يوسف زيدان سعى بروايته إلى تدمير الإيمان بالله ليس فى المسيحية فقط ولكن فى كل الأديان،ولا يعترف بيشوى بأن ما قدمه زيدان مجرد عمل أدبى يجب التعامل معه على لأنه ابن شرعى للخيال،ويدلل على ذلك بمجموعة من الصور التى نشرها زيدان فى نهاية روايته لعدد من الأديرة وهو ما يؤكد لديه أن وقائع الرواية حقيقية ولابد أن يحاسب زيدان عليها.

ويرى الأنبا بيشوى أن عزازيل بها اتهام واضح لبابا الإسكندرية التاسع عشر بأنه قتل أريوس،وبها اتهام واضح كذلك لكيرلوس عامود النور الذى كان البابا الرابع والعشرين بقتل «هيباتيا» الفيلسوفة الوثنية،وهنا تحديدا يمكن أن نفهم سر الغضب الكبير الذى يبديه بيشوى على الرواية وصاحبها،ففى الرواية طعن مباشر لرجال الكنيسة الكبار،حيث صورتهم على أنهم قتلة وقطاع طرق،وهذا من وجهة نظر بيشوى أمر لا يليق.

هذا هو السبب الرئيسى لغضب بيشوى فيما أعتقد،الأسباب الأخرى قد لا تكون لها نفس الأهمية،فليس معقولا أن نتجاوب مع ما يقوله بيشوى من أن الرواية تهز الإيمان الأرثوذكسى لدى المسيحيين فى مصر،وذلك له أسبابه فليس

معقولا ولا متصورا أن تهز رواية مهما كانت قوتها إيمان المسيحيين بدين المفروض أنه راسخ فى قلوبهم على مدى قرون عديدة،ثم وهذا مهم جدا،فإن تخوف الأنبا بيشوى من أن تهز الرواية إيمان المسيحيين يشير إلى أن رجال الدين المسيحى المنتشرين فى كنائس مصر على طولها وعرضها لا يقومون بدورهم،وإنما يهزلون ولا يقومون بعملهم وهو أمر مستبعد،فالكنيسة فى ظل الأوضاع السياسية الراهنة التى تعتصر الكنيسة تجعل رجالها مثل القابضين على الجمر،يدافعون عن إيمان رعاياهم بكل ما لديهم من قوة.

الأنبا بيشوى غضب من الرواية لأنه لا يعتبرها عملا أدبيا،بل هى عبارة عن قلة أدب،وهى كلمة قالها بالنص فى توصيفه لعمل زيدان،ويبرر ذلك بأن فى الرواية ٥٢ صفحة كاملة بها توصيف جنسى فاضح بين راهب وعاهرة،ويحاول بيشوى أن يكون أمينا مع نفسه من خلال اعترافه بأنه لم يقرأ هذه الصفحات، لأنه لا يليق بمثله أن يقرأ مثل هذه المشاهد الجنسية،لكنه عرف بها من خلال من يثق برأيه ويثق فيه.

وهى نقطة مهمة فى تفسير الخلاف،فالكنيسة المصرية تعانى منذ سنوات طويلة عما يتردد عن الانحرافات الجنسية والممارسات الشاذة التى تقع بين جدران الأديرة ويقع أسرى لها رهبان كبار،وعندما يأتى يوسف زيدان ليصور مثل هذا المشهد فإنه يؤكد بذلك الصورة التى يرفضها الأقباط لما يقال عن هذه الانحرافات،وفى غضب بيشوى أيضا دفاع عن صورة رجل الدين المسيحى الذى يحرص على أن تظل لامعة وبراقة.

هذه النقطة تحديدا فندها يوسف زيدان فى حواره مع مجلة المصور حيث قال عنها:الجنس فى الأدب له عدة وظائف من أهمها تجسيد الخيانة وبيان حدودها،وفيما يخص «هيبا»كان لابد من بيان طبيعة شخصية «أوكتافيا»من خلال هذا الفعل الإنسانى البديع،علما بأن المشاهد الجنسية هنا لم تكن مجرد تصوير

لعلاقة بين رجل وامرأة فى المطلق،ولكن كانت تجسيدا للمفهوم العربى أى العلاقة التى يكتمل بها الوجود الإنسانى بين الرجل والمرأة،لذلك كانت المشاهد الجنسية فى الرواية مختلفة فى حالة «أوكتافيا»عن مثيلتها مع «مارتا».

مع «أوكتافيا» – كما يقول زيدان – كان اللقاء بين عالمين وثقافتين بالكامل،أما مع مارتا فقد كان كلاهما متأثرا بالثقافة المسيحية العامة التى كانت سائدة،وهذه مسألة يعرفها القراء والنقاد الواعون،ولن يهولنى أن البعض ينظر إلى هذا الأمر نظرة سطحية ولن يعوقنى عن تقديم أدب حقيقى.

صاغ يوسف زيدان وجهة نظره بشكل أكثر تهذيبا مما فعله الأنبا بيشوى،لكن كلامه فى النهاية يحمل اتهامين لا يمكن أن ننكرهما،الأول أن الأنبا بيشوى تعامل مع الرواية بسطحية شديدة،والثانى أنه لا يفهم فى أصول وقواعد الأدب الحقيقى،وأن ما يفعله الأنبا بيشوى من تهديدات وصخب حول الرواية لن يمنع زيدان من أن يكمل طريقه الروائى الحقيقى خاصة أنه يعمل الآن فى رواية جديدة هى «النبطى:وهى عن حياة الأنباط فى الأردن،وهى الرواية التى جعلته يقيم لمدة ستة شهور على الأقل فى المنطقة بين البتراء وعفراء فى الأردن ليستكمل أحداث ووقائع روايته،وفى ذلك إشارة إلى أن زيدان لا يعمل من فراغ، ولكنه يتوفر لعمله حتى يخرج مكتملا إلى حد ما.

فى ساحة المعركة بين الأسقف والفيلسوف يظهر بعض الجنود الصغار الذين يريدون أن ينالوا من قيمة عزازيل ومن أمانة يوسف زيدان الروائية والعلمية فى آن واحد،وهنا أشير إلى ما قام به القمص عبد المسيح بسيط الذى يعلى من قيمة أن يوسف زيدان ليس أديبا أصيلا،وإنما سطا على روايته من رواية «كينجزلى»عن هيباتيا،وهو اتهام فرعى لا يمكن أن نلتفت إليه خاصة أن زيدان قلل منه واعتبره أمرا ساذجا ومضحكا،فالمعركة قائمة بين الكبار وليس مفيدا أن نلتفت إلى من يحاولون إلقاء الحجارة الصغيرة فى الميدان.

لكن لماذا هذا الخلاف الكبير والصاخب والذى تجاوز حدود الأدب فى كثير من مراحله بين الأنبا بيشوى ويوسف زيدان،إنهما يعرفان بعض جيدا،بل إنهما وفى فترة من فترات حياتهما كانا صديقين حميمين،وهو أمر طبيعى فهناك أمور مشتركة تجمع بينهما وتضعهما على طريق واحد،فإذا كان يوسف زيدان متخصص فى المخطوطات فإن الأنبا بيشوى خبير بها،بل إنه يعتبر أمين سر الكنيسة المصرية فيما يتعلق بالوثائق والمخطوطات الخاصة بها،ولابد أن الرجلين جمعت بينهما جلسات كثيرة فيما يخص أمر المخطوطات،ومن يدرى فقد يكون هذا الاهتمام المشترك هو الذى يقف وراء سر الخلاف والعداء القائم بينهما،فمن يدرى ماذا حدث؟

هل يكون زيدان قد اكتشف بما لديه من علم وخبرة أن البضاعة التى يملكها بيشوى فى مساحة المخطوطات هزيلة وبائرة ولا قيمة لها،وأنه ليس أهلا لأن يجلس مكانه،وأنه بعدم تخصصه فى المخطوطات يهدر قيمة ما لديه...قد يكون كذلك،لكن من يدرى....فخلف الأبواب المغلقة توجد أسرار كثيرة لا يعرف مداها ولا خطرها إلا الله وحده.

تبادل الرجلان الزيارات التى كان يغلب عليها الشكل الاحتفالي،دعا بيشوى زيدان إلى دير القديسة دميانة ليلقى محاضرة عن التصوف الإسلامى،وكسر بيشوى من أجله القاعدة الشهيرة بألا يدخل رجل مبنى الراهبات مهما كانت قيمته ودرجته،لكن بيشوى فعلها من أجل عيون صديقه زيدان،ودعا زيدان الأنبا بيشوى إلى مكتبة الإسكندرية ليلقى محاضرة عن المخطوطات،ويومها طاف به ومن معه فى مكتبة الإسكندرية،لكن من يدرى فيومها أيضا قد يكون زيدان اكتشف ما عند بيشوى من هزال.

ثم كانت الأزمة الكبرى بعد أن صدرت رواية عزازيل،أخذ بيشوى على نفسه عهدا بالتصدى لها،وجمعه بزيدان مؤتمر القبطيات الذى عقد فى كاتدرائية

العباسية،وقد حكى الأنبا بيشوى ما دار فى هذا المؤتمر الذى حضره زيدان وألقى فيه كلمة.

قال لى الأنبا بيشوى والكلام له بالنص –من حواري السابق معه -: بعد أن أصدر يوسف زيدان روايته «عزازيل» وحدثت مشكلة ،كان بعدها عندنا مؤتمر القبطيات فى الكاتدرائية وتمت دعوته من منظمى المؤتمر وليس من الكنيسة،وأنا ألقى كلمة الافتتاح نيابة عن البابا كان هو جالسا فى الصف الأول إلى جوار أحد الأساقفة الضيوف وقال له:على فكرة الأنبا بيشوى بيرد على،رغم أنى لم أذكر اسمه.

قدمت وثائق على ما قلته ووزعت كلمتى التى كانت مكتوبة بالإنجليزية على الحاضرين،فى اليوم التالى ألقى يوسف كلمته بالعربية وفيها«شحور الدنيا خالص»وعندما وقف هانى فايز الذى يدرس اللغة السريانية فى جامعة القاهرة ليرد على زيدان لم يمكنه من ذلك وظل يتحدث حتى انتهى وقت المحاضرة ولم يسمح لأحد بأن يرد عليه من الحاضرين.

محاضرة يوسف زيدان كانت فى منتهى السوء،بل كانت أسوأ من روايته «عزازيل»،وبعد كده قال جى عايز يصطلح،قلت له لما أطلع الكتاب بتاعى للرد عليك الأول نبقى نصطلح،وبعدين نصطلح إزاى وهو جاب المسيحية من أصولها فى الأرض ،أساء للجميع وبعد كده جاب راهبًا خياليًا قال أنه بيزنى مع وثنيات وقعد ٥٢ صفحة من روايته يصف الليالى الحمراء التى قضاها الراهب مع الوثنيات.

عن نفسى لم أقرأ هذه الصفحات،ومن قرؤوها قالوا لى : إننى لن أستطيع أن أتحملها،قالوا لى:مش هتقدر تستحمل الوصف الجنسى فيها والأسلوب الخارج فى وصف علاقة الراهب بالوثنيات،وهذه الصفحات فقط هى التى لن أقراها ولن أرد عليها،لكن الأشياء العقائدية والتاريخية والوثائقية هى التى سأرد عليها.

عندك مثلا ما زعمه من أنه جاء بوثيقة سريانية وقال :إنه ترجمها ليوحى للقارئ

أنه يعرف السريانية،فأنا طلبت من هانى فايز وهو يعرف سريانى كويس ومتخصص فيه،أن يعمل مداخلة على الهواء مع يوسف زيدان فى أحد البرامج وقال له ٣ جمل سريانية على الهواء فضحك يوسف زيدان وقالت المذيعة : إن هذا يبدو أنه اختبار على الهواء مباشرة.

وماحدث أن يوسف زيدان لم يفهم ولا كلمة واحدة من الجمل السريانية التى قالها له هانى فايز،ثم ادعى بعد ذلك أنه استعان براهب قبرصى اسمه جوزيف ليراجع له الترجمة التى قام بها للمخطوطة السريانية التى قال : إنه إستعان بها فى الرواية،لدرجة أن البعض أعتقد أن هناك وثيقة بالفعل رغم أن الأمر كله من خياله لا أكثر.

لقد تجرأ يوسف زيدان على تاريخ الكنيسة ولخبطه جدا،وأكثر اللخبطة حدثت فى تاريخ البابا كيرلس عمود النور البابا رقم ٢٤ فى تاريخ الكنيسة،والبابا أليكسندر رقم ١٩ فى تاريخ الكنيسة،ذكرهم بالاسم وذكر وقائع وأحداث،يوسف خبط فى العقيدة المسيحية بالكتاب بتاعه،ولو هو عامل الرواية عن راهب بيزنى مع وثنيات كنا قلنا : إنها رواية وعيب يكتب مثل هذا الكلام وينتهى الموضوع،فهى رواية خارجة عن اللياقة والأدب،لكنه خبط فى العقيدة المسيحية مباشرة ولذلك فأنا لم أقبل أن أجلس معه...وسأرد عليه.

ولن يكون ردى عليه سريعا،فمنذ صدرت الرواية وأنا أعمل ولن يكون الرد مهاترات.

استوقفت الأنبا بيشوى وقلت: لكن هل يستدعى كل هذا ألا تقابله وأن تسمع له حتى تصلا إلى كلمة سواء كما يقولون؟

قال:لو كان يوسف يريد الصلح لما قال للأسقف وهو فى مؤتَمَر القبطيات أننى أرد عليه الآن،لقد كنت مندوب البابا ،وكان يمكن أن أقول لهم طلعوا الرجل ده بره لكننى لم أفعل ذلك،أنا لم أشرف على المؤتمر صحيح لكننى لو صممت على

ذلك كانوا طلعوه بره،وكان يجلس على يمينه ويساره أساقفة لم أقل لهم قوموا من مكانكم وسيبوا الراجل ده يقعد لوحده،أنا أخذت موقف محايد ولم أطلب شطب اسمه من برنامج المؤتمر،وكان فيه سابقة فمنظمو المؤتمر الألمان كان جايبين واحد يهودى ولما إتعرفت الدعوة دى قالوا آسفين ولم يتمكن من الحضور،كان يمكن أن نفعل ذلك مع زيدان لكن هذا لم يحدث.

زيدان لم يحترم أنه يتحدث فى بيتنا وتسجيل محاضرته موجود،لقد كرر ما سبق وقاله فى الرواية التى أغضبت الكنيسة،لقد وقف فى الكاتدرائية ومسح بنا الأرض ولم يعط فرصة لأحد كى يرد عليه فهل هذا أسلوب،وهل بعد ذلك يمكن أن نجلس ونصطلح معه؟

إن ما حدث بين الرجلين الكبيرين لا يخرج عن كونه ضجة فقط افتعلها الأنبا بيشوى بلا داعى،وأغلب الظن أن هناك أمور شخصية فى المعركة،يمكن أن نصل إليها وهو ما يمكن أن يحدث ،وإن لم نستطع فعلى الأقل نثبت أن الخلاف بين الرجلين ليس موضوعيا فهناك فى دواخل النفوس الكثير والله وحده أعلم بالسرائر.



الأنبا مرقص

الأمن...والنساء....والثروة

14

يقدم الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة وتوابعها على أنه المتحدث الرسمى بإسم الكنيسة،لكن هذا ليس أخطر ما يقوم به،فهو يحكم قبضته على أبراشية شبرا الخيمة، ويتردد أنه على علاقة قوية بأمن الدولة،لم ينكر ذلك،وفى لقاء معه أكد لى على ذلك وقال: إن هذه العلاقة الجيدة مع الأمن مكنته من حل مشكلات كثيرة،فعندما يكون هناك تنسيق بين الأمن والكنيسة تذوب مشاكل كثيرة ولا يكون هناك حاجة للتصعيد الذى يراه البعض بلا مبرر على الإطلاق.

تقاطعت مع الأنبا مرقص فى واقعتين،فى كل مرة كنت أكتب وأنشر وعلى الفور كنت أجده يتصل من أجل أن يتحدث، وليس على هنا إلا أن أثبت ما جرى.

الواقعة الأولى:

انتهي الاحتفال بمولد العذراء الذي يقام في كنيسة العذراء الأثرية بمسطرد.. الخبر ليس جديداً.. لكنه يفتح الباب للحديث عن صفقات وشكاوي عديدة وصلت إلى مكتب البابا شنودة شخصياً.. وكالعادة.. يتكرر المولد كل عام.. وتتكرر الصفقات كل عام.. ولا أحد يلتفت ولن أقول مجرد يتحرك.

يشكو أقباط منطقة مسطرد من أن مولد العذراء الذي يتعدي دخله مليون جنيه سنوياً من التبرعات والنذور تقع فيه مخالفات أخلاقية لا تليق لا بالكنيسة ولا بالاسم الذي تحمله.. حاول عدد كبير من الأقباط أن يقتصر الاحتفال على الزيارة فقط مثلما يحدث في مولد العذراء بالزيتون.. حيث يكون المشهد هناك راقياً.. لكن مشهد مسطرد لا يعرف سوى دخان المخدرات الذي يتطاير حول أسوار الكنيسة.. ومظاهر الدعارة الواضحة والمستترة.. لكن الكنيسة رفضت هذا التصور.. وصلت اقتراحات به إلي مكتب البابا والمجلس الملي والأمن أيضاً.. لكن الجميع وقفوا مكتوفي الأيدي.. فعلي ما يبدو أن المكاسب التي يحققها المولد تجب ماعداها.. حتي لو كان ماعداها هذا صورة الكنيسة وقداسة السيدة العذراء.

أعرف أن كلام الأقباط ومطالبتهم بأن يقتصر مولد العذراء بمسطرد علي الزيارات فقط ليس إلا أذاناً في مالطة ولذلك فالأيام وحدها كفيلة بتحقيقه.. لكن الأهم من ذلك كله أن الملايين الكثيرة التي تدخل هذه الكنيسة تضيع مع الرياح ولا يستفيد بها أحد سوى القابضين على أمور الكنيسة من رجال الدين ومن معهم.. فلم تكتف الكنيسة بالسكوت على ما يحدث في المولد فقط.. بل إن الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة الذي ينوب عن البابا شنودة في إدارة كنيسة مسطرد يسمح لسكرتيرته «لوليتا» بأن تصحبه لحضور المولد ليس لمساعدته فقط ولكن من أجل أن تتابع مكاسبها من المعارض التي تقيمها خلال أيام الاحتفال..

ولن نلتفت الآن إلى أن لوليتا هذه دخلت الكنيسة دون أن يكون لـديها شـيء مـن متاع الدنيا.. والآن فإن ممتلكاتها لا تعد ومكاسبها لا تحصى.

المنطقي أن مكاسب الكنيسة وعائدها يصبان في مصلحتها.. لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. وقد وصلت إلى مكتب البابا شنودة شكوي موقعة من عدد كبيـر جـداً من الأقباط تكشف أن الشعب في مسـطرد الـذي يصـل إلي ٢٠٠٠ فـرد وبأجيالـه المختلفة عانى أشد المعاناة منذ الستينيات وحتى الثمانينيات من كـاهن الكنيسـة السابق وذلك بسبب عدم وجود خدمة أو رعاية.. لم يكن هنـاك سـوى القداسـات فقط، وضع البابا شنودة الكنيسة تحت تبعيته المباشرة.. وتوقع الأقباط إصلاح ما جري.. لكن ظلت الأوضاع على ما هي عليه منذ عشرين عاما.

الحال الآن هو

لا يوجد في الكنيسة لجنة للرعاية والاهتمام بشؤون الأقباط.. لا يوجـد افتقـاد منتظم بالكنيسة وخاصة أخوة الرب كمـا أن الخدمـة الموجـودة تحتـاج لتطـوير وإضافة خدمات أخرى، لا يوجد أي تطوير أو اهتمام بـالتطوير مـن أي نـوع مـن الإنشاءات والمباني الخدمية.

وعلى سبيل المثال فدورات المياه غير آدمية بالمرة وقاعة المناسبات وفصـول مدارس الأحد وكل المبانى الملحقة بالكنيسة تحتاج إلى ترميم وتطوير.. وتحتاج الكنيسة للتوسع في الإنشاءات الخدميـة، لا توجـد حسـابات منتظمـة للكنيسـة.. الكنيسة لها كاهن واحـد فقـط طيلـة العشـرين عامـاً الماضـية رغـم أن الكنـائس المماثلة لها أربعة كهنة على الأقل.. ثـم إن الكـاهن لكثـرة انشـغاله بتـأليف وبيـع الكتب والمحاضرات والأعمال الأخرى، فهو غير متفرغ للخدمة والكنيسة وحتى القداسات.. ووصل به الأمر أنه في الصوم الكبير ذات مرة قام أكثر من كـاهن مـن الخارج بالصلاة خلال فترة الصوم.. ولم يقم هو بالصلاة إلا نادرا.

يطالب أقباط مسطرد بالعدل قبل الرحمة.. بأن تشكل لجنة خاصة بالكنيسة وأن

يتم ترسيم كهنة جدد سواء بالترسيم ممن يصلحون من شعب الكنيسة أو من خارجها.. لكن هل يمكن أن يتم هذا بسهولة.. لقد وصلت نسخة من هذه المطالب إلى الأنبا مرقص.. وعقد اجتماعاً مع من حملوها إليه وبخط يده أشار إلى ما يمكن تنفيذه وما يمكن تأجيله.. لكن ما لم يعرفه الأنبا مرقص أن النسخة التي كان يناقشها لم تكن كاملة فقد حذف منها أبناؤه الأقباط فقرتين.. كان يتم التعرض له شخصياً فيهما.. وهنا لن أحرمه من أن يطلع على ما جاء فيها:

يقول الأقباط موجهين كلامهم للبابا شنودة :«ومع علمنا أن نيافة الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة هو النائب البابوي من قبل قداستكم والذى يجب أن يهتم بشؤونها نيابة عنكم إلا أنه ليس له أي علاقة بالكنيسة سوى بفترة الاحتفال بعيد السيدة العذراء «المولد» فقط وحتى في هذه الأيام يستبعد أي فرد من شعب الكنيسة من المشاركة في خدمة أيام الاحتفال ولا نعلم لماذا؟

أما الفقرة الثانية فتقول: وباقي أيام السنة كلها لا علاقة له بالكنيسة بأي حال سوى مندوب التحصيل للصناديق من طرفه.. ولقد تقدمنا له قداستكم في أكثر من مرة للتدخل ودراسة هذه الأوضاع والعرض على قداستكم واتخاذ الحلول التي تتراءى لقداستكم من تشكيل مجلس للكنيسة «نخبة» أو رسامة عدد من الكهنة الجدد مع الكاهن الحالي يكفون لخدمة هذا الشعب دون جدوى.. ومع هذا فقد قام سيدنا الأنبا مرقص بتاريخ ٢ مارس ٢٠٠٦ برسامة كاهن جديد وهو الأخ سمير ميلاد باسم القس شاروبيم ميلاد على كنيسة تحت التأسيس ، وهي «السمائيين» بشبرا الخيمة وهو أمر مثبت بمجلة الكرازة ولكنه في الواقع وبطريقة غير مباشرة رسم كاهن بكنيسة العذراء بمسطرد وهذا على غير إرادة الشعب وبدون ترشيح أو تزكية من الشعب ، وتعارض مع مبدأ قداستكم في أنه من حق الشعب في اختيار راعيه.

لم يقرأ الأنبا مرقص هذه الفقرات.. لكن كل ما فعله أنه كان يأخذ الشكاوي

التي يرسلها الأقباط إلى مكتب البابا ضد كـاهن مسـطرد ، ويسـلمها لـه يـداً بيـد، ويقول له: سيبهم يتحركوا زي ما هم عايزين.. لن يفعلوا شـيئاً في النهايـة، الأزمـة الآن أن هناك شعبا يرى أن أمواله تهدر.. وقيادة كنيسته لا تريـد أن تسـمع.. لكـن يبدو أن هناك إزعاجًا قادماً خاصة أن بعض الأجهـزة الرقابيـة بـدأت تفـتش وراء ممتلكات وثروات بعض الكهنة والقساوسة من رجال الأنبا مرقص،. فالمفروض أنهم لا يملكون شيئاً.. يأخذون من الكنيسة ما يقيم لهم وعلـيهم حيـاتهم ،. لكـن بعضهم لا يخضع لهذه القاعدة.

المثال الصارخ علي ذلك هو القس عبد المسيح بسيط كـاهن مسـطرد والـذي يضيق به شعبه.. لقد بدأ حياته مدرسـاً للغـة الإنجليزيـة،. وبعـد أن أصـبح قسـا تغيرت حياته.. دخل هذا العمل منذ عشرين عاماً فقـط ومـع ذلـك فلـه ٤٠ كتابـاً بمعدل كتابين كل عام .. وهي تجارة يبدو أنها رابحة جداً لأنه لم يتوقـف عنهـا بـل يجتهد في الترويج لها من خلال تصدير نفسه المدافع الأول عـن البابـا ورجالـه.. وهو ما يكسبه ثقة في الشارع القبطي تجعل الأقباط يقبلون عليه.. يمكن أن يجعل دخل هذه الكتب من عبدالمسيح بسيط رجلاً ثرياً.. لكن هناك بعض الأسئلة التي يجب ألا يتهرب منهـا القـس المشـهور وهـي أسـئلة إن سـمح لي تتعلـق بثروتـه وممتلكاته.

فهل صحيح أن عبد المسيح بسيط يمتلك عمارة سكنية مكونة من ٧ طوابـق.. كل طـابق بـه ٣ شـقق بمنطقـة القطـاوي بشـبرا الخيمـة.. وهـل يمتلـك مزرعـة بالخانكة.. وهل يملك سلسلة كوافيرات حريمي باسم زوجته.. وهل لديه محلان تمليكا حصل عليهما من مجلس مدينة شبرا الخيمة.. وهل يمتلك ورشـة نجـارة بجوار بهتيم في عمارة أخرى يملكها هناك.. وهل يمتلك عمارة ثالثة بشارع مخزن الأنابيب.. إنني أسوق هذه المعلومات التي وردت في بعض التقـارير الرسـمية في صورة أسئلة.. لأنها تتردد بقوة في بيوت أقباط شبرا ويريـدون إجابـة عليهـا.. مـن كاهنهم الذي كان قبل سنوات قليلة مواطناً عادياً.. إن هذه التساؤلات سنفتح بها

وتفتح لنا ملفات عديدة.

***

كانت شعلة الغضب ممتدة بيني وبين رجال مطرانية شبرا وتوابعها.. كان لديهم اعتقاد بأن دخول كنيستهم والتفتيش في ملفاتها لابد أن يتم من خلال كلامهم وحدهم.. فهم الذين يجب أن يتحدثوا بينما يصمت الآخرون.. ولأنه ليس من عادتي أن أغطي الأمور فأنا أسعي إلى كشفها بل وتعريتها بقسوة.

جلست مع الأنبا مرقس أسقف شبرا الخيمة وتوابعها.. لم يكن الحوار معه وحده.. كان موجوداً على امتداد الحوار القس عبد المسيح بسيط كاهن كنيسة مسطرد الذى كان هامشاً من هوامش الاشتباك، ورمسيس الديري المحامي المستشار القانوني للمطرانية والأب مكسيموس أحد سكرتارية الأنبا مرقس.. ورغم حرارة القضايا التي تناثرت بيننا إلا أن إيقاع الحوار نفسه كان هادئاً.. كان الأنبا مرقس في صدارة المشهد.. لتنساب الكلمات بيني وبينه.

أردت أن أنكشه.. قلت له في البداية.. أمازلت المتحدث الرسمي باسم الكنيسة؟ فقال: في يوليو السنة الماضية كان قداسة البابا في أمريكا.. وحدثت مشكلة ماكس ميشيل.. اتصل بي قداسة البابا وقال لي: اذهب لماكس ميشيل وواجهه في التليفزيون، وحذرني بشدة من مسؤوليتي وخطورة دوري.. كنت في هذا الموقف فقط أمثل البابا.. لكن الصحافة اعتقدت بذلك أنني المتحدث الرسمي باسم الكنيسة وتمادت في الأمر.. وبدأت وسائل الإعلام تستحلي الحكاية.. لكن عندما كان يتحدث معي أحد ويسألني.. كنت أقول له: أنا أسقف شبرا فقط، لكنهم وضعوا كلاماً علي لساني لم أقله.. مثلاً في عيد الغطاس قالوا: إن الأنبا مرقس صرح بأن عدد المسيحيين في مصر من ١٥ إلى ١٨ مليوناً وأن البلد بلد قبطي.. بدأت الصحافة تتعامل بأن المتحدث الرسمي باسم الكنيسة هو الذي قال ذلك.. اتصلت بمن كتب ذلك وطلبت منه أن يصلحه لكنه لم يفعل.

ولماذا لم تصدر بياناً رسمياً يكذب ما نشر وينتهي الأمر؟

كان هذا هو التصرف الطبيعي ولذلك وضعته أمام الأنبا مرقس لكنه قال: فعلت ذلك وأصدرت بياناً رسمياً نفيت فيه كل ما قيل على لساني كذباً.. لكن الصحف لم تتراجع ولم يصححوا وتصور أنني كنت في فترة الصوم الكبير وأعلنت أنني معتكف.. اتصل بي صديقي فقلت له إنني صائم عن الإعلام وعن كل شيء خارج الكنيسة،. فوجدته يكتب أن الأنبا مرقس معتكف.. فهل هذا اعتكاف سياسي أم ديني.. وبسبب هذه اللخبطة طلبت من البابا بشكل رسمي أن أبتعد عن الصحافة والإعلام تماماً فوافق.. واكتفيت بعملي في الكنيسة وهو أن أعلم أبناءها كيف يصبحوا بتوع إعلام وكيف يستعملوا التكنولوجيا في الإعلام.. فهذه مهمتي.. وهو بالفعل ما نقوم به في الكنيسة.

كان هذا كلام الأنبا مرقس.. لكن هناك كلاماً آخر.. فقد التقي في كنيسته بوفد من جبهة العلمانيين وكان ودوداً معهم وموافقاً على بعض ما قالوه ولذلك فقد غضبت الكنيسة عليه وأبعدته عن منصب المتحدث الرسمي، قلت له: هل حدث شيء من هذا؟.. فقال لا.. لا لم يحدث.. أنا نسقت مع الأنبا موسى وقلت له: إن العلمانيين في النهاية أبناؤنا ، ولابد أن نحتضنهم ، ونسمع لما يريدون، اتصل بي هاني لبيب، وقال لي: ما رأيك كمال زاخر يريد أن يتحدث معك؟ فكان ردي عليه: أهلاً وسهلاً.. ولما تقابلنا قلت لهم لديكم بعض الأخطاء، فعنوان المؤتمر نفسه خطأ وأن تقولوا: إصلاح الكنيسة فهذا معناه أن الكنيسة فاسدة، ثم إن توقيت المؤتمر الذي كان في ١٤ نوفمبر عيد قداسة البابا خطأ أيضاً.. لأنكم بذلك لا تريدون أن يذهب إليكم كنسيون محبون للكنيسة لأنهم سيكونون في احتفالهم بالبابا.

هذه هي المناقشة التي تمت وقلت لهم: اجتمعوا وحددوا أفكاركم وسوف آخذها منكم وأوعدكم بعمل لجنة مجمعية متخصصة في شؤون الكنيسة.. وهذه اللجنة ستدرس ما تريدون وستكون من ٢٠ إلى ٣٠ أسقفًا.. وبعد الدراسة سنرفع

توصياتنا إلى المجمع المقدس برئاسة البابا شنودة، وهذا ما قلته بالحرف.. وكان ردهم عليّ غير واضح ب آه أو لا.. وكانوا هم قد جهزوا كل شيء.. وكأن ما قلته لهم كان للعلم والمعرفة ليس إلا، فوجئت بعد ذلك بمن يقول إن الأنبا مرقس يوافق على ما قاله العلمانيون.. وقد يكون ذلك بسبب أن العلمانيين قالوا: إنهم جلسوا معي وتفاهمنا.. رغم أنهم لم يذكروا بأمانة ما دار بيننا.. فلماذا لم يقولوا مثلاً إني اعترضت علي الاسم والتوقيت ومسمى العلمانيين هذا.. لقد اتفقت مع الأنبا موسي ألا نرفضهم لكن نعلمهم بأن ما يقولونه خطأ.. لكنهم عقدوا مؤتمراً ثانياً وقالوا : إنني سأحضر وكنت وقتها في أمريكا.. ومن المستحيل أن أحضر مثل هذه المؤتمرات حتى لو كنت موجوداً هنا لأنني غير موافق عليها.

استوقفت الأنبا مرقس قليلاً قلت له بصراحة هناك مجموعة من الأساقفة تحيط بالبابا وتحجب عنه ما جرى.. وعلى سبيل المثال المستشار لبيب حليم يقول إنه أعد لائحة لانتخاب البابا ولا يعرف كيف يوصلها إلى البابا شنودة وأنه لو جلس معه ساعة واحدة فسيقنعه بوجهة نظره.. وشيء من هذا أيضاً يقوله العلمانيون.. فلماذا تمنعون الناس من مقابلة البابا؟

رفض الأنبا مرقس هذا الكلام كله قال: هذا كلام غير صحيح فكل يوم أربعاء يقابل البابا مئات الناس وتصله مئات الشكاوي يضع بعضها في جيبه ليدرسها بنفسه والبعض الآخر مرتبط بالكنائس يعطيه للأنبا يؤانس كي يقرأها ويكتب عنها تقريراً مفصلاً ويقدمه للبابا.. فمن يرد أن يصل إلي البابا يستطع أن يفعل ذلك.. وكل من يريد أن يسلمه شكوي يمكن له ذلك مباشرة ودون وسيط.. لكن ما يحدث أن الناس متخيلة أنه لو حد عايز يقابل البابا فيذهب للأنبا يؤانس ويقوله: عاوز أقابل البابا فيأخذه من يده ويدخله عليه.. وهذا أمر غير واقعي فالبابا رجل عنده مسؤوليات كثيرة والناس يريدون أن يفرضوا مواعيدهم عليه.. كأن يقول شخص مثلاً أنا فاضي الساعة ١٢ يوم الأربعاء.. طيب إذا كان لدى البابا اجتماع مهم فهل يتركه ليقابل هذا الشخص؟!

اقتحمت هذا الاسترسال بشكل مباشر.. سألته.. هل طلب منك أحد بشكل شخصي أن تحدد له ميعاداً مع البابا؟ فقال: لم يحدث.. وأي مجموعة تريد أن تقابله يمكن لها أن تتقدم بطلب وأنا أنسق مع الأنبا يؤانس الذي يعطي فكرة مسبقة للبابا عن الموضوع.. وأقول لهم: اكتبوا ما تريدون في ورقة يوقع عليها أحدكم حتى يكون مسؤولاً عنها وأنا بنفسي أعدكم أن أسلمها بيدي للبابا دون وسيط.. فأنا أجلس أمام البابا في اجتماع الأربعاء ولا نخفي عليه أي سؤال.. فكل شيء يأتي للأنبا يؤانس ونقوم بتصنيفه ونحذف المتكرر.. وأي طلب أو احتياج أو شكوي من كاهن لا يمكن أن نخفيها عن البابا.

قلت له: أنتم لا تخفون شيئاً إذن.. فهل وصل إلي البابا الجدل حول انتخاب البطرك وما يطالب به العلمانيون؟ فقال: سئل البابا في المطار عن رأيه بخصوص اللائحة فرد: لم تأتني اللائحة كي أدرسها لو أحضروها فسأقول رأيي فيها.

قلت له: وما رأيك أنت في هذه اللائحة؟ فقال: هذه أمور لا يدرسها فرد ولكن لجان، وكل لجنة تكون من ٢٠ إلى ٣٠ أسقفاً، وهم أناس لديهم خبرات متنوعة وفي نواح كثيرة.. يقدموا لنا الأوراق وتدرس لجنة مجمعية وتقدم توصيات للمجمع المقدس.. لكن في النهاية لكل مقام مقال والبابا يمر بوعكة صحية ثم يأتي من يقول: من هو بديل البابا فهذا لا يصح ونحن ناس شرقيون ولا نعتبر البابا رئيس الكنيسة فقط ولكنه أبونا.. فتخيل لما واحد أبوه يصاب بأنفلونزا فيسأله أحدهم.. من سيكون بديل أبيك؟ يا نهار أسود.. يا راجل حرام عليك ادع له أن يشفيه الله.. نحن أولاد البابا شنودة نرفض هذا الكلام، البابا يجلس على كرسيه منذ ٣٦ عاماً ومنا من ولد وتعلم وتزوج وأنجب وهو موجود.. فالأمر إذن لا يليق.

قد يكون كلام الأنبا مرقس منطقياً من الجانب العاطفي ولذلك قلت له.. ما تقوله قد يكون معقولاً لو كان البابا شنودة شخصاً عادياً أو عابراً.. لكنه يرأس مؤسسة ولها مصالح ولابد أن تدار.. ولا يتمني أحد الشر للبابا .. لكن لابد من نظام يحفظ للكنيسة استقرارها.. مستقبل الكنيسة يهم أبناءها يا أنبا مرقس سواء

كانوا كهنة أو علمانيين؟ وهنا خرجت رؤية الأنبا مرقس فيما يجري قال: اللائحة الموجودة حالياً الحاجة الوحيدة التي يمكن أن نفكر فيها هي تغيير طريقة انتخاب البابا.. لكن اعتقد أن مواصفات اختيار البابا لا تحتاج إلى تعديل.. لكن في النهاية يظل الكلام على التوقيت.. فلو طالبنا بدراسة اللائحة الآن فإن هذا أمر يعز علي البابا ويعز علينا نحن أيضاً.

أخذت الأنبا مرقس إلي ساحة أخرى.. وكان لابد فيها من الصراحة قلت له: كل هذه الخراف الضالة بعيداً عن الكنيسة تجعلني أشعر بأن مجموعة الأساقفة فشلت في احتواء مجموعة العلمانيين،، وفشلت في احتواء مجموعات كبيرة من الأقباط أصبحوا يخرجون أحشاء الكنيسة في الشارع؟

كان الأنبا مرقس صريحاً أيضاً قال: هناك إنسان قد تصل معه لشيء من التفاهم، وهناك إنسان لا تستطيع أن تتفاهم معه لأنه يمشي بكيفه ومزاجه، والأمثلة عديدة، فالسيد المسيح كان معه ١٢ تلميذاً واحد منهم فقط حاول السيد المسيح نفسه أن يصلحه وهو يهوذا، ولم يصلح، فهناك ناس تأخذ منهم وتعطي وهناك واحد مصمم علي اللي في دماغه.. وهناك طباع وإمكانيات، ومش كل الناس نسيج واحد، فنشكر الله إن عندنا ١٢ مليون مسيحي، ويخرج من بينهم ١٠٠ فقط ضالين فنحمد الله علي ذلك ، وبالتالي تكون الكنيسة نجحت في احتواء الرقم المتبقي وهو كبير، ونحن نسمع لهذه المجموعة ولا نرفضها.. لكن هذه المجموعة لا تريد أن تقترب منا.

قلت له: ولماذا لا يريدون الاقتراب.. قد يكون العيب في الكنيسة؟ قال الأنبا مرقس اسألهم: أنت.. وقبل أن أعيد إليه اقتراحه، تدخل عبدالمسيح، بسيط في الحوار قائلاً: إنهم يرون الآن أن الكهنة بتوع سحر ودجل وشعَوذةِ وأن الأساقفة لا يفهمون.. أحدهم قال: إن الكتاب المقدس مجموعة من القصص والعهد الجديد أقوال ناس جلست مع المسيح وكتبت عنه، وطالبوا بإعادة صياغته ولهذا قلت: إن هذه المطالب تتقارب مع مطالب من ينادون بالشذوذ الجنسي، فهم

يريدون ترتيب الإنجيل علي هـواهم.. وكمـال زاخـر سـب البابـا شـنودة والأنبـا بيشوي أكثر من مرة.. فكيف يجلسون مع قداسة البابا وهم يسبونه.

اعتبرت أن هذه الرؤية خاصة ببسيط، فالتفت مرة ثانية إلى الأنبا مرقس أسـأله: كيف وصل هؤلاء إلى هذه المرحلة البشعة من وجهة نظرك؟ قـال: كـل واحـد لـه فكر، وأنا في الكنيسة لو جاء أحد بفكر جيـد وجديـد، فلمـاذا لا أنفـذه إنـنـي هنـا لخدمة الناس.. ولو قلت لي مثلاً نريد أن نعمل برنامجاً لتعليم أبناء الكنيسة كيفيـة احترام الناس فلن أقول لا، فعمل الأسقف هو خدمة النـاس، تعـالوا نبنـي ملجـأ لنقضي علي مشكلة أولاد الشوارع، وتخيل لـو كـل كنيسـة أو دار عبـادة ، جمعـت هؤلاء الأولاد، فهل يمكن أن يكون هناك أولاد شوارع، وقد علمنـاهم وربينـاهم وعودناهم كيفية التعامل مع الناس.

كان هناك جانب آخر للأزمة، فأنا ألمس حالـة مـن فقـدان الثقـة بـين الأقبـاط وقياداتهم الدينية، قلت للأنبا مرقس: قد تحـدث مشـكلة في قريـة أو حتـى مدينـة ويقف الأسقف ليقول لشعبه إنه سـيتدخل لحـل المشـكلة، وبعـد ذلـك يفشـل، فلماذا يتصدي لها إذا كان يعرف أنه لن يستطيع.. لماذا يعرض نفسه للحرج؟

فقال: لا يمكن أن أقول فقدان الثقـة.. فعنـدنا واحـد مـن ثلاثـة أسـابيع ابنتـه اختفت.. عمرها ١٦ عاماً واسمها نيرمين تعرفت على شـاب مسـلم اتصـلنا بـأمن الدولة وهم يتعاونون معنا، وفي حالات كثيرة نعثـر عـلى البنـات المختفيـات دون ضجة، لأن البنت تختفي عادة لأسباب لا علاقة لهـا بالإسـلام، فهـي زعلانـة أو زهقانة، وفي حالة نيرمين كان الأب قاسياً جداً والبنـت لم تتحمـل قسـوته وزوجـة الرجل قالت لنا ذلك.. عندما جاء الأب وعدته بالسعي في الموضوع وأنا واثق أننا سنصل إليها.. لكن هذه الحالات نادرة عندنا عموماً، فالأسقف يجـب أن يقـول: إنه سيحاول ولا يعد بشكل حاسم حتي لا يتعرض للحرج.

كنت مصراً على حكاية فقدان الثقة هذه.. فرجل الدين المسيحي لـه قداسـة أو

هكذا يجب.. لكن أصبحت هناك جرأة عليهم في نقدهم والتعريض بهم، قلت للأنبا مرقس لماذا فقد رجل الدين المسيحي كثيراً من هيبته ووقاره؟.. قال: لو عندنا ألف وظهر منهم ثلاثة لم يحترموا الكاهن، فنكون بذلك نجحنا في الجزء الباقي، والآن الثقافة تغيرت وأصبحت هناك جرأة علي الكاهن، لكن نسبة الذين يتجرأون قليلة.، والفئة الشاذة لا يمكن أن تكون هي القاعدة، زمان لم يكن أحد يجرؤ على أن يهين رئيس الدولة، لكن انظر الآن إلي ما يكتب عنه، ثم إن الشاذ دائمًا صوته عالٍ.

قلت للأنبا مرقس: هل تقصد بذلك أن شواذ القاعدة هؤلاء سيظلون علي أوضاعهم.. لن تحاولوا التفاهم معهم؟، قال: هناك واحد يأتي منه وواحد أجلس معه وأحاول إصلاح فكره فيوافق، هناك تفاهم، لكن هناك آخر يصر علي ما في رأسه، هاعمله إيه، إنه مثل يهوذا اللي خان، وهذا لا يعني أن المسيح لم يحاول معه، فقد جعله أمين صندوق وهو يعرف أنه سيسرقه، لكنه أعطاه الفرصة كاملة.

نأتي بكم إلي بيت القصيد.. قلت للأنبا مرقس لقد جئت إليك على هامش حالة الحوار التي دارت حول مولد العذراء بمسطرد وقد جلست مع أقباط كثيرين كلهم قالوا إن ما يحدث لا يليق بالكنيسة،وقبل أن أكمل قاطعني وقال: أنا كنت أذهب مع العائلة وأنا صغير إلى مولد مسطرد وكانت مباني الكنيسة كلها مبنية بالطوب اللبن.. كان فيها حمام واحد والباقي في الهواء الطلق، وفي الخارج الشاطئ يتم تأجيره من الحكومة وكانت تقام فيه الخيام، وبين كل خيمة وأخرى خيمة فيها رقص، وخيمة فيها قمار وخيمة قهوة، فكان هناك تنوع الحقيقة،وعندما بدأ قداسة البابا يشرف على هذا الموسم من سنة ١٩٧٨ سيطرنا على ما بداخل الكنيسة،عملنا باباً حديدياً يغلق الساعة العاشرة ليلاً، وكنت تدخل الكنيسة فتجدَ سيدة ترتدي قميص نوم.. وكنت ترى أخرى تحمل وابور جاز وتعمل الأكل في حوش الكنيسة، فمنعنا المبيت في الكنيسة، ثار الناس وطرقوا الأبواب وقالوا : أنتم ناس

كفرة هتمنعونا ليه ناخد البركة من العذرا، بدأ عدد من يطرق الباب يقل، ثم عملنا استثناء ليومين تغلق الكنيسة الساعة الثانية عشرة ويفتح باب الكنيسة الصغير حتي الواحدة ظهراً.. لكن منعنا المبيت بشكل نهائي.

ويكمل الأنبا مرقس ما جرى هناك قال: جاءني شاب ، وقال لي: يرضيك يا سيدنا فيه واحدة بره بترقص وبتقول الرقصة دي للعذرا،والرقصة دي لمار جرجس، فأرسلت أحد الخدام للنظر فيما حدث وكتبت رسالة إلى المحافظ وقلت له هناك أمور لا تليق بالاحتفال الديني، ورجوته أن يلغي أماكن الرقص والقمار ومالا يتناسب مع هيبة الكنيسة، فسألني المحافظ عن بتوع اللب وحمص الشام هل نتركهم فقلت له،إنهم يسترزقون، فأمر المحافظ رئيس الحي بأن يمنع هذه المخالفات وكان هذا منذ ١٥ سنة، ثم إن الحاجة اللي بعيدة عن الكنيسة ليس لي سلطة عليها فهى من سلطة المحافظ، ولا يمكن أن نكون مثل احتفال الزيتون، فهم لا عندهم لب ولا حمص، طبيعة المنطقة عندهم كده، لكن في مسطرد المكان شعبي، فالناس تأتي لتذبح ولا أستطيع أن أمنعهم أن يذبحوا، لأنني لو فعلت ذلك لذبحوني أنا وقالوا: إنني لست مسيحياً، واحدة ندرت خروف للعذرا، لا أستطيع أن أقول لها لا،سيطرتي داخل الكنيسة فقط.. والمولد بالنسبة لأهالي مسطرد موسم كبير ولا نستطيع أن نقف في وجوه الناس لأن هذا صعب جداً، إن ٩٩٪ ممن يحضرون المولد مسلمون يحبون الكنيسة لأنهم يرزقون من ورائها.

ثم ننتقل إلى النقطة الأخري، فكثير من الكلام تردد عن أموال الكنيسة من أين تأتي وإلى أين تذهب؟ قال الأنبا مرقس كل الكنائس لها لجان وكل كنيسة يرأسها كاهن.. والأمور المالية عندنا ماتخرش الميه،لأن كل فلوس الكنائس بتصب في حسابات في البنك.. مفيش مليم يتصرف إلا بشيك، والشيك عشان يتصرف لازم يكون فيه إذن صرف مكتوب فيه الشيك خارج ليه، وهذا نظام معمول به في كل الكنائس بما فيها مسطرد، فمن يصرف لابد أن يقول هو عاوز الفلوس في

إيه،وبعدين اللجنة توقع.. وبعدين في الآخر لابد أن يوقع الأسقف باعتباره الرئيس الأعلى للجنة، وأنا أنسق مصروفات مسطرد مع قداسة البابا فهو رئيسي ورئيس هذه الكنيسة وأنا نائبه عليها ومن خلاله أديرها، وعمر البابا ما بخل علينا بشيء، وعموماً بعد مولد العذرا مباشرة أقوم بعمل تقرير عن حسابات الكنيسة على مدي طول السنة ويرفع بها تقرير للبابا، ولابد أن كاهن الكنيسة يوقع على كل الأوراق، وأنا مستعد أن أعلن ميزانية الكنيسة في الجرائد وأي محاسب يجى يراجع، فعندنا مجموعة تعمل في حسابات الكنائس ولها مدير ولها ٣ كهنة مراجعين، كل يوم ثلاثاء يأتي أبونا الكاهن من ٩ صباحاً وحتى ٢ ظهراً يراجع الحسابات، وهناك مراجع حسابات أيضاً، ولا يوجد مليم بيصرف إلا لازم أوقع عليه، ويكون طلب الصرف موقع أولاً من الكاهن ومن مجلس الكنيسة، وأي واحد يريد أن يطعن فينا مالياً يجى يتفضل يراجع، أنا معنديش مشاكل..

الواقعة الثانية:

لم أكن أريد أن أدخل إلى ساحة هذا الملف المزعج، ليس لأنه غير صحيح، ولكن لأن الناس لا تريد من يوقظها من نومها،أن يلفت انتباهها إلى مواطن الزلل، يريدون أن ينعموا براحتهم إلى الأبد، حتي لو كانت هذه الراحة زائفة ولا شيء حقيقي فيها.

القصة لها أساس كما يقولون، ولم أتردد في كشف بعض جوانبها لأن أحد أطرافها صحفي مثلا، فالجريمة جريمة، ولا يمكن أن نعفي الصحافة من الخطأ إذا وقعت فيه.

هو أسقف كبير من الدائرة الصغيرة التي تحيط بالبابا شنودة، له مكان ومكانة الحظوة عنده، وهو كذلك وجه إعلامي معروف واسمه ليس مهجَورا ولا مجهولا مثل كثير من الأساقفة، لا يكتفي بدوره الروحي فقط، ولكنه يساهم في رفع مستوى شباب الكنيسة علميا وتكنولوجيا،صورته تظلمه كثيرا،فهو يبدو في

الصورة حادا،بل يمكن أن يصلك إحساس بأنه رجل فظ غليظ القلب،لكن عندما تجلس إليه تبدي على الفور إعجابك بتواضعه وملامحه السمحة، فهي ملامح فلاح مصري أصيل علمته الأرض التسامح لأنها تقول له كل صباح أن الأمر كله بيد الله، وتتعجب أكثر: فهل يمكن أن تكون الصورة خادعة إلى هذه الدرجة المفزعة؟

لكن من فضلك انس الصورة تماما وركز مع الأصل،فهو أفضل كثيرا.

الأسقف الكبير ناجح جدا ،وله بصمات عديدة في تطوير الكنيسة، ولأن لكل أسقف ناجح أعداء ومعارضين، فقد عاني هذا الأسقف كثيرا من حزب أعداء النجاح داخل الكنيسة وخارجها أيضا، اتهم أنه مثلا على علاقة بسكرتيرته، رغم أنها زوجة أحد معاونيه، وفي منشورات توزع سرا على بيوت الأقباط تقف وراءها جماعات قبطية تطلق على نفسها جماعات التطهير، اتهام لهذا الأسقف بأنه يمتلك فيللا في مدينة الشروق اشتراها بالطبع من أموال الكنيسة، وهي الفيللا التي يأخذ منها وكرا ،لمتعته وملذاته مع سكرتيرته.

وحتي يكون هناك دليل علي هذا الكلام، فإن أهالي المنطقة التي تقع فيها مطرانية هذا الأسقف يرددون تفاصيل قصة السكرتيرة الفقيرة التي دخلت المطرانية هي وزوجها ،دون أن يكون لديها من متاع الدنيا شيء، لكن وفي سنوات قليلة أصبحت تملك كل شيء،السيارة الفارهة والشقق الفاخرة التي تنتشر في أكثر من مكان،لقد دخلت حياة هذا الأسقف منذ عشر سنوات على الأقل، وهي مدة كافية وكفيلة بأن تحقق فيها وبها كل ما تريد، خاصة أنها كانت تحصل بحكم وضعها وقربها من الأسقف علي ميزات كثيرة، مكنتها من أن تكون ثروة هائلة.

كل هذه كانت اتهامات لم يقدم أصحابها عليها دليلا، ولذلك لم تلتفت إليها الكنيسة، لقد وصلت هذه المنشورات إلى البابا أكثر من مرة، فوصولها إليه ليس صعبا، فالبابا بعد موعظة الأربعاء يتلقي أوراقا ومذكرات وشكاوى عديدة من

شعب الأقباط الذي يحضر الموعظة، صحيح أن هناك أكثر من فلتر يمرر ما يشاء إلى البابا ويحجب عنه ما يريد، لكن البابا أحيانا يأخذ بعض الأوراق بنفسه ويفحصها هو، ويأخذ فيها قرارا.

وفي الغالب فإن المنشورات التي تحمل الاتهامات للأسقف، تم التحقيق فيها، وفي الغالب أيضا أن التحقيقات لم تصل إلى شيء، ووصلت الكنيسة إلى أنها مجرد شائعات ، ولذلك فقد صرفت النظر عنها، بل وعززت موقف ووضع الأسقف وجددت الثقة فيه، وليس غريبا أن يكون قد سافر إلى البابا ، ليطمئن عليه في مقر علاجه في أمريكا ، وليطلعه على بعض الأمور الخاصة بمطرانيته، ثم وهذا هو الأهم يطلعه على أرقام إيرادات بعض الأنشطة الأخيرة التي جرت في بعض الكنائس التابعة لمطرانيته، وهو أمر يحرص البابا شنودة علي أن يتابعه بنفسه، ولا يتخلى عن ذلك حتى لو كان مسافرا أو مريضا، فالسفر والمرض لا يسقطان عن البابا شنودة واجب المتابعة لما يدور في كنيسته.

سارت الأمور في هدوء شديد بالأسقف الذي كان كل يوم يحصل على مساحة جديدة، حتى وقع ما لم يكن يتوقعه مطلقا، لقد كان الحديث عن علاقته بسكرتيرته التي وصلت كما تقول الشائعات والمنشورات إلى أبعد مدي، مجرد كلام في الهواء ولم يصدقه أحد، لكن الأسقف تلقى تهديدا مباشرا من صحفي قبطي،قال له بوضوح . إن لديه صورا تجمعه مع سكرتيرته في أوضاع خاصة وساخنة جدا ، وأنه يخيره بين أن ينشرها أو أن يدفع له الأسقف ٢٥٠ ألف جنيه.

كان العرض واضحا، قامت الدنيا ولم تقعد على رأس الأسقف، أكلته الحيرة كيف يتصرف، أجرى اتصالات عديدة مع بعض الصحفيين الذين يغطون أخبار الشأن القبطي في الصحف، ومن بينهم رئيس تحرير، أراد أن يوسطهم لدي هذا الصحفي الذي سيقدم على جريمة ضخمة في حق الكنيسة، فنشر الصور لا يمكن أن يمر بهدوء، بل إنه سيثير فتنة طائفية عارمة، ولا يمكن أن ينسى أحد ما حدث

مع جريدة النبأ عندما نشرت صور راهب دير المحرق برسوم المحرقي عاريا في أحضان بعض السيدات، وهو لا يريد أن يتكرر هذا السيناريو مرة ثانية، خاصة أن شباب الكنيسة لا يمكن أن يصمتوا على مثل هذا الأمر.

كان هناك سؤال مهم وجه للأسقف وهو هل هذه الصور صحيحة؟ فأقسم أنها مفبركة ، ولا أساس لها من الصحة، وأن ما يتعرض له مجرد عملية ابتزاز قبيحة،فقالوا له ولماذا تخاف إذن إذا كانت الصور لا أساس لها من الصحة،فأبدي تخوفه من أن يلصق به وجود مثل هذه الصور حتى ولو كذبا فتصبح سبة في تاريخه لا يستطيع أن يتخلص منها،خاصة أن هذه هي التهمة الوحيدة التي لا تغادر رجل الدين حتي لو تبرأ منها علي الملأ.

لم ينكر الصحفي أن لديه الصور لكنه أصر على أنها صحيحة ، وأنها للأسقف وسكرتيرته معه، وأنها التقطت له بمعرفة أحد المقربين منه، وجرى التفاوض من جديد ووصل المبلغ الذي أبدى الأسقف استعداده ليدفعه إلى ١٧٥ ألف جنيه فقط،وهو ما آثار الريبة والشك في صدور من يقومون بعملية التفاوض، حتى أيقن بعضهم أن الصور يمكن أن تكون صحيحة، وإلا فلماذا كل هذا القلق والاضطراب الذي يبديه الأسقف، ولماذا يلح أن ينتهي الأمر بهذه السرعة، ويحرص أشد الحرص ألا يتسرب شيء حتى لو كان صغيرا عن الموضوع.

وفجأة توقف التفاوض تماما، وسافر الأسقف إلى البابا، وحتى تكتمل الحلقة فقد تردد أن عملية الابتزاز هذه وصلت إلى البابا في أمريكا وأن هناك اتجاها لئلا يعود الأسقف مرة ثانية إلي مصر، وأن يظل هناك في أمريكا حتى لا تطارده الفضيحة، فمن يدري فقد لا تكون هذه الصور الوحيدة الموجودة، وكما تعرض الأسقف للابتزاز هذه المرة ورضخ وقبل بدفع الم. لغ حتى لو لم يكن هو نفس المبلغ المطلوب بل أقل منه قليلا، فإن هناك من سيفعلها مرة ثانية وسيجد الأسقف نفسه مضطرا في كل مرة أن يدفع، وإلا فإن الفضيحة ستحل على رأسه

وستلاحقه لا محالة.. أغلب الظن أن ما قيل عن عدم عودة الأسقف إلى مصر مرة ثانية،أمر روجه الصحفي في الكنيسة،خاصة أنه تعرض لحالة من التضييق الشديدة، فقد وصل الأمر بالأسقف الكبير إلى مطاردة الصحفي في كل مكان، بحث عن الكنيسة التي يتبعها، وكلم المسؤولين عنها، وكانت المفاجأة أن هذا الصحفي كان شماسا يخدم في الكنيسة، ووجه العجب أنه كيف يقدم على هذا الفعل والمفروض أنه مسيحي متدين.

عن نفسي لا أستطيع أن أجزم بشيء، فالصور التي تلعب دور البطولة في هذه القصة، لم يرها أحد ولم يطلع عليها متخصص ليقول لنا: هل هي حقيقية أم أنها مفبركة بعد أن امتدت إليها فنون الكمبيوتر.

إن هناك أكثر من علامة استفهام تحيط بهذه القصة.

لقد تشككت فيها، وكان هناك مصدر مهم بالنسبة لي على الأقل يمكن التأكد منه، أعرف أنه لا يكذب، يتصل بالكنيسة عن قرب ويعرف ما يدور فيها، أرسلت له رسالة قصيرة قلت له:هل صحيح أن الأنبا فلان الفلاني يتعرض لعملية ابتزاز بصور جنسية، وجاءني الرد بعد ساعات قليلة كان نص الرسالة هو: فيما أعلم هذه عملية ابتزاز مادي مَنذ بضعة أشهر.

وهنا تصبح علامات الاستفهام مقبولة

أولا:إذا كان الصحفي يحمل معه صورا حقيقية للأسقف والسكرتيرة، فلماذا لم يطلب أكثر من ذلك، إن مبلغ الـ ٢٥٠ ألف جنيه مبلغ هزيل، مقابل هذه الصور التي تعتبر ضربة للأسقف الكبير في مقتل، أم أن الصحفي رقيق الحال إلى الدرجة التي يمكن أن يكون هذا المبلغ بالنسبة له كبيرا جدا وكافيا مقابل عملية الابتزاز؟

ثانيا: هل حمل الصحفي هذه الصور إلى جريدته وأراد نشرها فرفضت الجريدة حتى لا تتعرض لما تعرضت له جريدة النبأ من قبل من ملاحقات قانونية، وإغلاق وشطب أصحابها من النقابة، وسجن رئيس تحريرها وموته في السجن وخسائر

عديدة بلا حصر ولا عدد، ولذلك أراد الصحفي أن يستغل الكنز الذي معه مذهب ليبتز الأسقف مباشرة؟

ثالثا:ما الذي يجعل الصحفي يخاطر كل هذه المخاطرة ليس بمستقبله المهني فقط فهذا أمر هين ولكن بوجوده في المجتمع القبطي فلو فعلها، وحتى لو كان معه الحق ،فالكنيسة لن تتركه ، بل ستعصف به عصفا وبلا رحمة،قد تكون مخاطرته محسوبة ومدعومة بأن الصور التي يملكها حقيقية وهو متأكد من المصدر الذي منحه هذه الصور، ولذلك فهو يمكن أن يواجه بها الجميع؟

رابعا:إذا كان الأسقف واثقا من نفسه ومن علاقاته، ومن أنه سليم معافي وصفحته بيضاء ولم يكن في وضع مشين مع أحد لا مع سكرتيرته ،ولا مع غيرها،فما الذي أفزعه كل هذا الفزع، ما الذي جعله يجري على من يعتقد أنهم سينقذونه، ولماذا جرى التفاوض على المبلغ،هل يريد الأسقف أن يغلق هذا الباب بأي طريقة أم أن هناك ما يخاف منه ويخشاه؟

لقد قيل للأسقف الذي يتعرض لعملية ابتزاز ضخمة: إن هذه الصور لا يمكن أن تنشر في أي مكان إلا بموافقة أمن الدولة، فهو ليس بعيدا عن مثل هذه الأمور،وعندما سمع الأسقف ذلك اطمأن واستراح، لأن علاقته بأمن الدولة جيدة جدا بل ممتازة باعترافه هو، لكن هل هذا شيء يبعث على الطمأنينة، أعتقد لا.

إنني أضع هذه الحالة، أمام من يريد أن يحقق ويعرف ما يدور، لقد كشفت جانبا واحدا ولدي أسماء الجميع، وأتعجب فلماذا لم يذهب الأسقف إلى مكتب النائب العام مباشرة ليشكو الصحفي ...أم أن في الأمر شيئا؟

على كل.. القضية لا تزال مفتوحة.

والأسئلة فيها تحتاج إلى إجابات.

وقد جاءت الإجابات سريعة بأكثر مما أتخيل

وأنا في طريقي إلى مطرانية شبرا ، كنت أراجع التقرير الذي أشار إلي السكرتيرات الثلاث اللاتي يعملن في مكتب الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة وتوابعها، وقيل في وصفهن إنهن يرتدين الميني جيب، ويعملن من الساعة التاسعة صباحا وحتي الساعة السادسة مساء، استبعدت أن يكون الخبر صحيحا، فالأنبا مرقص لا يعمل في فندق خمس نجوم، ولا شركة استثمارية حتى يستعين بسكرتيرات الميني جيب، إذ في أي شيء يمكن أن يحتاج إليهن، هل يقمن مثلا بتدعيم الدور الروحي للكنيسة، أم أنهن يمنحن المطرانية حالة من الرومانسية التي تفتقدها؟، كلام فارغ بالطبع لا يمكن أن يردده عاقل.

جلست مع الأنبا مرقص في صالون بجوار مكتبه في المطرانية، سألته أين سكرتيرات الميني جيب؟، فابتسم ساخرا وقال: أنت جئت هنا أكثر من مرة هل رأيت غير الكهنة الذين يقومون بأعمال السكرتارية؟، قلت له: لا.

في مكتب الأنبا مرقص أربعة من الكهنة يتناوبون في خدمة السكرتارية من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، ومن الخامسة حتى التاسعة مساء، ويعاونهم في ذلك موظف شاب، مهمته تحديدا هي تحويل التليفونات وإرسال الفاكسات وتصوير الأوراق اللازمة التي يحتاجها الكهنة.

الكهنة الأربعة هم: القمص أرميا عدلي، وهو في الوقت نفسه وكيل المطرانية، والقمص مكسيموس شحاتة، وهو كاهن كنيسة مارجرجس، والقمص يوسف صابر وهو مسؤول عن الكلية الأكليركية، والقس مكاري قمص تادرس وهو مسؤول في الكنيسة أيضا عن لجنة الشباب.

مهمة سكرتارية الأسقف محددة: تعرض عليهم أمور وشؤون الكنيسة ومشاكلها، هناك مشاكل يستطيعون حلها، يفعلون ذلك على الفور دون الرجوع إلى الأسقف، وما يعجزون عن حله يحيلونه إلى لجان الكنيسة وهي لجان كثيرة جدا، وفي بعض الأحيان تكون المشكلة معقدة إلى درجة كبيرة فيتدخل الأسقف بنفسه.

عن قرب عرفت أن الأنبا مرقص لا يميل إلى تركيز سلطات الكنيسة في يديه، ففي مطرانيته إدارات مختلفة تدير الشؤون المالية والقانونية وغيرها.

سألته: كم موظفة تعمل في المطرانية؟

قال : كتير.. (دون أن يحدد عددهن).

قلت له ومن المسؤو ل عن تعيينهن في المطرانية؟ قال: اللجان المختصة.

قلت له: معني ذلك أنه ليست لك علاقة بتعيين الموظفات؟ قال: لا شأن لي بذلك علي الإطلاق.

قلت له: ألا تشترط أن تجري مقابلة مع الموظفين والموظفات عندك لتأخذ قرارا هل يصلحون للعمل أم لا؟ قال: إطلاقا.

كان لابد بعد ذلك أن أساله السؤال المباشر: لماذا إذن تطاردك كل هذه الشائعات والتي فيها دائما امرأة ؟

لم ينزعج من السؤال وكأنه كان يتوقعه، قال: يمكن لأنني وجه إعلامي ومعروف وأظهر في الإعلام كثيرا، وهناك من لايعجبهم نجاحي فيتقولون علي، ويطلقون علي الشائعات، وكان آخرها أنني تزوجت من امرأة يعلم الجميع أنها متزوجة وقالوا : إنني أجري مكالمات مع سيدات أغازلهن فيها، وأن هناك صوراً غير لائقة خاصة بي، والعقل يقول : إن من لديه شيء فليظهره، إذا كانت هناك مكالمات فليذعها بدلا من هذه الشوشرة، لا يوجد شيء أخشى منه أو أخافه، وأتحدي أن يكون في سجلي شيء أخجل منه، فأنا رجل أعرف ما علي أن أفعله.

كانت نبرة التحدي في كلام الأنبا مرقص واضحة، لكنني قلت له: اسمحي لي إن الكلام على سيدة بعينها ووصل الأمر إلى الكلام بأنك تزوجتها.. واشتريت فيللا في مدينة الشروق من أموال الكنيسة لتقيم معها فيها.. لماذا الكلام عن هذه السيدة تحديدا؟.. ما الذي يربطك بها؟ حتى إنه بمجرد ذكر اسمك تظهر هي في المرآة مباشرة؟

يقول الأنبا مرقص: عن نفسي لا أعرف سببا لذلك فهي خادمة في الكنيسة مثلها مثل أخريات، قد يكون هناك من يكره ما تقوم به في الكنيسة.. يمكن لأنها من مصر الجديدة مثلا.. لا أعرف.

حرص الأنبا مرقص على عدم ذكر اسم هذه السيدة حفاظا على بيتها وزوجها رجل الأعمال، ثم إنها وكما رأيت بنفسي مكتئبة ومكسورة من الشائعات التي ترددت في الفترة الأخيرة، لكن تظل هذه السيدة لغزاً ليس في حياة الأنبا مرقص فقط ولكن في حياة الكنيسة كلها.

لقد تعرف الأنبا مرقص على هذه السيدة وهي طفلة عمرها ثماني سنوات ، وكان هذا منذ ثلاثين عاما أي أن عمرها الآن ثمانية وثلاثون عاما، قابل أسرتها عند البابا شنودة، كانت البنت الصغيرة تأتي مع أسرتها لزيارة البابا باستمرار، تعرف الأنبا مرقص على أسرتها وتوثقت العلاقة بينهم، وعندما كبرت الفتاة وتخرجت في الجامعة - حصلت علي ليسانس تربية قسم اللغة الفرنسية - عملت في مطرانية شبرا، اختارت المكان الذي يعمل فيه الأنبا مرقص، فهو بالنسبة لها ليس أبا روحيا فقط ولكنه بمكانة الأب الحقيقي، وذلك لعلاقته بأسرتها.

عندما عملت في الكنيسة اختارت أن تكون خادمة فهي لا تتقاضي راتبا وليست لها مواعيد عمل محددة، فهي موجودة في الكنيسة في الأوقات التي يتطلبها العمل الذي تقوم به فقط َ ليست موظفة هناك، هي في حقيقة الأمر لا تحتاج إلى راتب الكنيسة فزوجها رجل أعمال كبير، وهي تعتبر عملها خدمة خالصة للكنيسة.

كانت أول من فكر في وضع عظات البابا شنودة على سيديهات ونفذت ذلك، وكان ذلك في منتصف التسعينيات تقريبا، والآن هي مسؤولة عن إنتاج المواد السمعية والبصرية في المطرانية، تنتج قصص أطفال مصورة وغيرهاَ من الأعمال، هو دور إذن ليس صغيرا ويضعها دائما في المقدمة، فهي ليست موظفة في الحسابات أو الإدارة القانونية.

وقد يقتضي عملها أن توجد مع الأنبا مرقص بعض الوقت لتعرض عليه أفكارها والمشروعات التي يمكن أن تقوم بها، فهي تقدم إنتاجاً فكرياً، ولا يمكن أن يمر هذا الإنتاج دون موافقة الأسقف، لكن حتى هذا لا يحدث كثيرا كما قال الأنبا مرقص.

قلت له: لكن هناك من يقول إن هذه 'السيدة سكرتيرة خاصة لك؟ قال الأنبا مرقص: ليس صحيحا وأنت رأيت من يعملون معي في السكرتارية، وهي خادمة في الكنيسة لا أكثر مكتبها وسط مكاتب الموظفين ولا توجد لها أي ميزة على الأخريات فكل الموجودات بناتي.

سألته: لكنّ هناك اتهاماً لك بأنك كنت وراء حالة الثراء التي تعيش فيها هي وزوجها، فأنت مثلا تمنحها مساحة كبيرة من الأرض لتقيم عليها معرضاً في مولد العذراء بمسطرد، وأنها تحقق من وراء هذا المعرض الكثير؟ قال: هذا الكلام يتردد بالفعل لكنه ليس صحيحا، لأن من يقوم بتأجير مساحة صغيرة في الكنيسة، هما أسامة فاروق وفيكتور فاروق، ويبيعان فيها بعض المنتجات الفنية، مثل الأفلام والسيديهات التي تحمل الأفلام الدينية والمواعظ وقصص الأطفال، وقد يكون الربط الذي حدث بين هذا المعرض رغم صغره وهذه السيدة أن السيديهات التي تباع هي التي تشرف على إنتاجها، لكنها لا تتاجر ولا تستأجر منا أي قطعة أرض وثروتها من زوجها وحده ونحن لم نقدم لها شيئا أكثر من الأخريات.

وقائع الأمور تحتم أن تصدق الأنبا مرقص، لا يوجد هناك ما يجعله يخفي الحقيقة وهو كما تحدي، من لديه شيء ضده فليظهره، فليذهب به إلى الجهات الأمنية والقضائية ويقدم الدليل على ما يقال ويشاع ويتردد، لكنني لا أستطيع أن أستثني الأنبا مرقص من اللوم، إنه قامة كبيرة في الكنيسة، فلماذا يضع نفسه على حافة الشبهات، إن هذه السيدة ورغم المزايا الكثيرة التي فيها، والدور الذي تقدمه

وتقوم به في المطرانية إلا أنها مصدر قلق بالغ، إنها ببساطة يمكن أن تهدد عرش الأنبا مرقص، لا أقصد عرشه المادي وكرسيه الذي يجلس عليه في المطرانية أسقفا لها ولتوابعها، ولكنني أقصد وقبل كل شيء عرشه المعنوي، كراعٍ وأب روحي، إنها وبوجودها في الكنيسة، تضع رتوشا كثيرة على صورته هو ليس في حاجة لها، ولن يكون كافيا أن الناس ستنسى أو أن الصحف ستتحدث لمدة أسبوعين وينقضي الأمر.

ليس أمامك يا أنبا مرقص إلا أن تثبت أن هذه السيدة مثلها مثل غيرها من الموظفات في المطرانية، لماذا لا تستغني عنها حتى تنزع مسمار جحا الذي يدقه مطلقو الشائعات في بيتك، وعلى جدار مطرانيتك، أعرف أن فيما أقوله قسوة بالغة، لكن الحياة تحتاج منا في بعض الأحيان إلى بعض القسوة، لا أقول لك: اطردها من المطرانية، ولكن يمكن أن تذهب إلى مكان آخر، تخدم فيه بنفس الروح، ووقتها ستقطع أنت لسان الشائعات، وهي ستفوق من حالة الاكتئاب والحزن التي تسيطر عليها بسبب ما يقال.

إن مطرانية شبرا وكما عرفت تقوم بدور اجتماعي هائل في المنطقة، ففي الشهر الواحد مثلا تقوم المطرانية بتجهيز من ٢٠ إلى ٣٠ بنتاً من الفقراء وتزوجهن، كما انها تنفق على أسر كثيرة، وتوفر فرص عمل للشباب، وتقدم دورات في اللغة والكمبيوتر للشباب، كما أن مبني المطرانية الجديد تكلف كثيرا، إنه يبني وكأنه فندق، أي أن العمل يقوم هناك على قدم وساق فلا داعي إذن لأن يهال التراب على كل ذلك بمسألة تافهة مثل هذه يا نيافة الأنبا مرقص.. وأعتقد أنك معي فيما أقوله.



قمص وضابط

15

القمص مرقص عزيز،اسم يعرفه الأقباط جيدا،كما يعرفه المسلمون أيضا، رجل دين مسيحى معروف بعصبيته وتطرفه الشديد فى الدفاع عن المسيحية،ظل لسنوات طويلة كاهنا للكنيسة المعلقة فى مصر القديمة،وقد يكون منصبه هذا سرا لشهرته، فهو يستقبل زوار الكنيسة الأثرية من المسيحيين والمسلمين وبينهم مسؤولون كبار.

لكن سر شهرته الأكبر أنه كان يصدر نفسه على أنه شخصية عامة، يكتب فى الصحف، ويشارك فى الملتقيات العامة،بل ويمارس السياسة من خلال الاندماج فى التشكيلات السياسية،فقد انضم إلى حزب الغد بل وأصبح عضوا فى الهيئة العليا به.

وهنا لابد من نقطة نظام،إن رجل الدين المسيحى ليس له أن يشترك فى أى حزب سياسى،لأن ذلك يمكن أن يلحق الضرر البالغ بدوره الذى يقوم به،ففى رقبته رعاة يسيرون خلفه ويأخذون منه قدوة،والمعنى واضح فهم عندما يجدون رجلهم منضما إلى حزب بعينه يمكن أن ينضموا إليه لا لشىء إلا لأن أباهم انضم إلى هذا الحزب،وفى ذلك مصادرة تامة على ما يريده الأقباط.

تحتج الكنيسة بأن رأيها أو اختيارها لا يكون ملزما لرعاياها وأنها مثلا عندما تؤيد حزبا معينا أو مرشحا ما في الانتخابات البرلمانية أو الرئاسية فإنه ليس معنى ذلك أنها تلزم رعاياها إلزاما حاداً بالانحياز إلى اختيارها،وهو كلام نظرى إلى حد كبير،فلابد أن الأقباط سينحازون إلى اختيار الكنيسة وانحيازها لأنهم يثقون فيها ويطمئنون إلى اختيار آبائهم الكهنة.

ليس هذا هو المهم ولكن المهم هو تفرقة الكنيسة فى التعامل مع رجالها الذين يعملون فى السياسة،فهى لا تسامح أحدا يعمل فى السياسة،إذا كان عمله هذا يتعارض أو يتناقض مع ما تريده أو تذهب إليه مباحث أمن الدولة،لكن إذا كانت ممارسة العمل السياسى تتم فى إطار من الهدوء والتوافق مع الخط العام الذى ترتضيه أمن الدولة فلا غبار على ما يجرى تحت سمع وبصر الكنيسة.

مرقص عزيز يقع فى القلب من هذه الإشكالية التى يحكمها التناقض،فعندما انضم القس فلوباتير كاهن كنيسة الطوابق بفيصل إلى حزب الغد أيام قوته وفتونته برئاسة أيمن نور وكتب عدة مقالات فى جريدة الغد ينتقد فيها النظام المصرى وينتقص من قامة الرئيس المصرى،بل إنه كتب مهاجما مباحث أمن الدولة متهما إياها بأنها كانت وراء أزمة مسرحية «كنت أعمى فأبصرت» التى أشعلت النار فى محرم بك بالإسكندرية،تصدت له الكنيسة وحاكمته وعزلته عن عمله عامين كاملين.

أما مرقص عزيز والذى انضم إلى نفس الحزب،لكن بعد أن ضربه الوهن فلم

يعترض طريقه أحد،كان حزب الغد قد حدث فيه انقسام حاد قاده موسى مصطفى موسى نائب رئيس الحزب الأول السابق،ووقف بالمرصاد لأيمن نور ومن معه، انضم مرقص إلى مجموعة موسى،كتب فى جريدتهم،وحضر اجتماعاتهم،وكان موجودا وبقوة فى كل فاعليات الحزب.

لم تعترض الكنيسة على انضمام مرقص عزيز إلى حزب الغد فرع موسى،كما فعلت واعترضت على انضمام فلوباتير إلى حزب أيمن نور،وهو ما يجعل السؤال عن الدور السياسى الذى كان يلعبه مرقص عزيز مشروعا ومنطقيا؟وهل كان هذا الدور مدعوما من الأمن،حيث كان القمص لا يخرج عن الدور المرسوم له بدقة،فحتى وهو يدافع عن القضايا القبطية،كان يفعل ذلك من أرضية هادئة لا تثير الصخب ولا الغبار من حولها.

إن الدور الذى كان يلعبه مرقص عزيز وهو الاشتباك الدائم لس مع الكتاب والمثقفين فقط حول ما يكتبونه أو يذهبون إليه فى القضايا القبطية،ولكن مع المسئولين الرسميين أيضا حول قراراتهم التى كان يرى فيها اضطهاد من نوع ما للأقباط،كان دورا موظفا بعناية كبيرة فى المنظومة الأمنية التى تدار من خلالها قضايا الأقباط.

وهى المنظومة التى يريد من يقفون خلفها أن يقولوا: إن الصوت القبطى ليس مخنوقا ولا خافتا،والدليل هو ما يكتبه ويقوله ويفعله مرقص عزيز،فلو أن النظام المصرى يمنع الأقباط من الكلام والتعبير،لكان منع مرقص عزيز من الكتابة خاصة أن كثيرا مما يكتبه مستفز لدوائر الإسلاميين فى مصر،وهو ما يمكن أن يزيد من حدة الاحتقان الطائفى.

لا أستبعد بالطبع أن يكون تنسيقا من نوع ما بين مرقص عزيز والأمن،فلا يوجد شيء بعيدٌ فى هذا الملف الشائك،وقد يكون التنسيق مباشرا وقد يكون غير مباشر،لكنه فى النهاية موجود ولا يمكن أن ينكره أحد.

لكن يبدو أن التنسيق الأمني الذى كان يسمح بالتواجد الدائم والمستمر لمرقص عزيز تضاءل فى العام ٢٠٠٧،خاصة وهو العام الذى شهد إبعاد مرقص عزيز عن مصر،وهو الإبعاد الذى كان ولا يزال غامضا حت الآن.

لقد تناثرت من حوله أسباب كثيرة لخروجه من مصر،منها مثلا أنه تورط فى عمليات تنصير مباشرة،وهذه العمليات كانت تحت سمع وبصر أمن الدولة،وحتى تنتهى المشكلة انحازت الكنيسة إلى أن تخرجه من مصر حتى لا يتسبب فى أزمة كبيرة بين الأمن والكنيسة،ومنها مثلا أنه ومن خلال كتاباته التى كان يستعرض فيها قوته أصبح خطرا على الأمن والسلام الاجتماعي،وأنه يمكن أن يكون سببا من أسباب الفتنة الطائفية،ولذلك كان إبعاده عن مصر أولى وأصلح للجميع.

ومن بين الأسباب التى جعلت خروجه ملحا من مصر أنه وبعد كتاباته الأخيرة تلقى تهديدات بالقتل من جهات معينة عقابا له على موقفه من الإسلام،وأن التهديدات طبقا لتقارير أمن الدولة كانت تقارير جادة ولا هزل فيها،ولذلك كان إبعاده حماية له،بدلا من أن تجد الأجهزة الأمنية نفسها وجها لوجه أمام كثيرة من نوعية قتل الجماعات الدينية لكاهن قبطى،وهو ما لا يستطيع أن يواجهه أحد.

من جانبه وعبر تسجيل تليفزيونى نفى مرقص عزيز أن يكون خرج من مصر لأى سبب من هذه الأسباب،وأنه سافر إلى أمريكا فى رحلة رعوية بتكليف مباشر من البابا شنودة،وأنه سيستمر فى رحلته الرعوية تلك إلى أن يأمر البابا بعودته مرة أخرى،لكن كلمات الرجل كانت تخفى خلفها الكثير،فهو لم يصرح بالسبب الحقيقى، وأعتقد أنه لن يصرح به.

لكن ما يؤكد أن العلاقة بين القمص مرقص عزيز وأمن الدولة كانت سيئة للغاية لحظة خروجه من مصر،هو ما قاله شخصيا فى حوار مطول مع موقع «الأقباط متحدون»،وأجرى الحوار فى ١٩ يونيو ٢٠٠٩ أى بعد خروج مرقص من

مصر بحوالى عامين ونصف تقريبا فقد خرج منها فى يناير ٢٠٠٨،وقد وصف فيه الصورة التى خرج بها من مطار القاهرة.

حاول مرقص عزيز فى حواره أن يخفف من وطأة وحدة خروجه من مصر،وإذا كان البعض يعتقد أنه لن يعود مرة ثانية،فإنه يؤكد على أنه كاهن الكنيسة المعلقة،والكنيسة المعلقة هذه فى دمه وفى كيانه،ومصر نفسها فى كل ذرة منه،لكنه فى الوقت نفسه خادم للسيد المسيح يقوم بخدمته أينما يرسله،ثم أنه يؤمن أنه لكل شئ تحت السماء وقت.

ينفى مرقص عزيز أن يكون خروجه من مصر تم بالإجبار يقول: أنا مصرى لا يستطيع أحد أن يخرجنى من بلدى بالقوة أو بالإجبار، ربما يرجع السبب فى هذه الأقاويل إلى الأسلوب الردىء الذي يتبعه جهاز أمن الدولة معى عند سفرى أو رجوعى.

وحاولت الكنيسة من جانبها أن تنفى أن يكون مرقص عزيز خرج من مصر بطريقة غير طبيعية،لكنها كالعادة فعلت ذلك بطريقة غير مباشرة فلم تتصدَّ هى للموقف،ولكن تصدر للموقف مركز الكلمة الذى يرأسه ممدوح نخلة المحامى،حيث أصدر بيانا أكد فيه أن لا صحة لما تردد من شائعات حول خروج القمص مرقص عزيز من مصر.

وكانت الشائعات تدورْ حول أن مرقص عزيز اعتنق الإسلام وأن الكنيسة غضبت عليه واعتقلته وأخفته فى أحد الأديرة البعيدة،ولا أحد يعرف عنه شيئًا إلا مجموعة صغيرة من رجال الدين المسيحى،وأنه غير مسموح له بالاتصال بأحد خارج الدير المحبوس فيه.

أما الشائعة الثانية فكانت أن إحدى الجماعات الأصولية المتطرفة قد قامت بخطف القمص مرقص عزيز، وأنه قتلته بسبب تكرار هجومه على الإسلام.

لكن شائعة ثالثة أن الأمر لا يزيد عن تهديدات تلقاها مرقص عزيز من

الجماعات المتطرفة وأن الكنيسة حتى تحافظ عليه فقد قامت بإبعاده عن مصر حفاظا على حياته.

نخلة صرح للعربية نت بأنه أجرى اتصالا بمرقص عزيز فى محل إقامته بأمريكا وأن قاله له أنه سافر إلى أمريكا مبعوثا من البابا شنودة فى مهمة تتعلق بالوعظ فى إحدى الكنائس بأمريكا.

نعود إلى حوار مرقص عزيز مع «أقباط متحدين»، و نأتى إلى بيت القصيد فيه،فمعاملة مرقص عزيز فى المطار كما يقول هو كانت سئية من قبل ضباط مباحث أمن الدولة،وأتركه له هنا المساحة كاملة ليروى تفاصيل ما جرى.

يقول مرقص عزيز:ضباط أمن الدولة يحتجزوننى فى كل مرة بالمطار ويدخلوننى مكتب أمن الدولة ويتم تعطيل الطائرة ويتم إنزال الحقائب مرة أخرى بعد وضعها بالطائرة وإعادة تفتيشها.

وفي المرة الأخيرة- مرقص عزيز لا يزال يواصل ما جرى معه- كان تصرفهم معي مستفزًا بصورة غير عادية,وبالطبع تعطلت الطائرة عن موعدها كالعادة حوالى ساعة، وقاموا بالاتصال بالسيد وزير الداخلية الذى حسم الموضوع.

وكانت الصورة قبيحة أمام الجموع المتواجدة بالمطار،والمشهد سخيف كاهن محاط بعدد كبير من رجال أمن الدولة لا أعرف من أين جاؤوا، وكنت قد عرفت فى إحدى المرات من الضابط المسؤول أن هدفهم من التفتيش الشديد الذى يتم معي هو البحث عن أي أوراق.

فقلت للضابط: لا يوجد قبطى يخون بلده لأنه ابن البلد الحقيقى.

وسألته: هل سمعت عن الفاكسات والإنترنت؟

فأجاب: نعم.

قلت له: لو أراد شخص خائن إدخال أو إخراج أوراق فما أسهل أن يرسلها بالفاكس أو الإنترنت، فلماذا تفعلون هكذا؟هل هى غلاسة؟، هل تتصورون أننا

ستتخلى عن بلادنا و نتركها؟

فقال: أنا عبد المأمور.

ومرة أخرى قام أحد الضباط بالإمساك بقطعة من الملابس وقرأ عليها مكان الصناعة وقال لى: هافتلها فتلاية فتلاية – أى أنه سيحولها إلى خيوط فتل.

فقلت له: هناك مثل بيقول يا آبا علمنى الهيافة، قال له روح في الهايفة واتصدر.

فثار وانفعل فطلبت قائده الأعلى الذى اعتذر وهدأت الأمور.

هذه الصورة الكاريكاتيرية التى رسمها مرقص عزيز لخروجه من مصر لا يمكن أن أكذبه فيها،لكن من حقى أن أعتبر ما قاله مبالغاً فيه،هذا إذا كان خروجه من مصر كان أمرا عاديا لا شئ فيه،ولو كان ما حدث فى مطار القاهرة صحيحا فإن معناه أن أمن الدولة أخرج مرقص عزيز من مصر على عينه،ولم يكن ما حدث إلا نوعا من المضايقة،لأنهم لم يستطعيوا أن يفعلوا معه شئيا أكثر من ذلك.

لقد حاول مرقص عزيز أن يصور نفسه مواطنا مصريا صالحا،وأن ما يقوم به فى أمريكا ليس إلا تكليفا من البابا وخدمة للمسيح،فعندما سألوه: البعض يقول أنك ممنوع من الكتابة أو الظهور فى أى من الصحف المصرية أو أى قناة تليفزيونية يمكن أن تستضيفك هاتفيًا؟ قال:هذا غير صحيح فقد استمررت في كتابة مقالى الأسبوعى لقاء الأحد بجريدة الوفد لعدة شهور بعد سفرى، ولكن كثرة المشغوليات هى التى منعتنى من الاستمرار، وعند الضرورة أقوم بالكتابة.

وعندما سألوه:هل حقا كانت هناك نية لترتيب مظاهرات كنت ستشارك فيها فى حال قيام الرئيس مبارك بزيارة أمريكا؟قال: أنا لست بهذه السذاجة حتى أفعل هذا الشيء،لا لأننى أرفض أن يدافع الأقباط عن حقوقهم المشروعة والمسلوبة بل المنهوبة، ولكن لأننى أعلم أن هناك الكثيرين من بين المسؤولين سواء فى الإعلام أو المناصب العليا مصابين بمرض اسمه الاستقواء بالخارج وبالذات أمريكا، ولأنني كاهن قبطى وأمثل الكنيسة العريقة الأرثوذكسية أتمنى أن أقوم بهذه

المظاهرة عند عودتى إلى القاهرة وليس في الخارج، كما أن الرئيس مبارك هو رئيس بلدى، حقا ظلمنا كأقباط ولم يعطنا حقوقنا وسيسجل له التاريخ ذلك ولكننى أثق أن فى داخل مصر رجال من الأقباط لن يكلوا ولن يملوا من المطالبة بحقوقهم، كما أننى سأترك الرئيس لله الذى سوف يحاسبه في يوم الحساب وأدعو له أن يتذكر يوم وقوفه أمام الله الديان.

لا يمكن أن أقول: إن مرقص عزيز رجل كاذب،فأنا لا أرمى الناس بالكذب دون دليل،لكن يمكن لى أن أقول أنه رجل يبالغ طول الوقت فيما يتعرض له،خذ عندك مثلا الحادث الذى تعرض له فى شارع الهرم بالقاهرة،وهو شارع ليس هادئا بطبعه بل مزدحمًا.

حكى عزيز الحادث الذى تعرض له قبل أن يترك مصر بشهور قليلة وتعامل معه على أنه محاولة اغتيال والمعنى واضح،فهو يريد منذ البداية أن يوحى أن هناك مؤامرة كانت تحاك ضده وأنه نجا منها بأعجوبة.

الرواية تأتى على لسان مرقص عزيز هكذا:كنت فى طريقى بشارع الهرم ومع بعض أفراد الأسرة،تحديدا طفلين من أحفادى،وفجأة شعرت أن السيارة صدمت من الخلف بقوة،تجمع الناس الموجودون فى الشارع،وتضامن معى المسلمون والمسيحيون فى ضرورة إيقاف سائق الأتوبيس الذى حطم السيارة خاصة أنها كانت جديدة.

جاءت الشرطة وأصر مرقص عزير على أن يحرر محضرا للسائق،ركب الأمين مع سائق الأتوبيس وقال لمرقص عزيز أنهم سيسيرون خلفه إلى قسم الشرطة،لكن وكما قال مرقص بعد أن سار مسافة صغيرة جدا،وجد أن سائق الأتوبيس يصدمه مرة ثانية وبعنف وبقصد هذه المرة.

فى قسم الشرطة – وكما يقول عزيز – سأل الضابط سائق الأتوبيس هل صدمت عربية القمص؟ فقال له: نعم ضربته،فقال له: يعنى إيه ضربته؟قال له

:ضربته مرتين،طلب منه الضابط الرخص وقال له:يا أبونا تعالى بكره عشان تاخد المحضر ثم صرف سائق الأتوبيس ليعود إلى بيته.

الحادث الذى يمكن أن يتعرض له أى مصرى فى أى طريق يتعامل معه مرقص عزيز على أنه محاولة اغتيال،وهذا طبيعى فى شخص يبالغ فى كل شيء يتعرض له،بل كان يعتبر نفسه وهو هنا فى مصر مستهدفا من المسلمين الذين يريدون أن يذبحوا الأقباط على قارعة الطريق.

إننا أمام حالة غامضة،لكن تفسرها رواية منسوبة إلى الدكتور يحيى الجمل الفقيه الدستورى الكبير والوزير السابق والذى عمل فترة طويلة من حياته فى سلك النيابة،حيث قال إنه كان يحقق مع أحد الكهنة بتهمة تنصير فتاة،وقام بسجنه،إلا أنه تلقى مكالمة من البابا شنودة يطالبه فيها أن يسهل مهمة خروج الكاهن من مصر،لأنه عقد اتفاقا مع أمن الدولة يخرج بمقضاها الكاهن من سجنه مقابل أن يخرجه البابا من مصر نهائيا،وبذلك تنتهى هذه الأزمة تماما،فلا يعود الكاهن إلى ما سبق وعمله،ولا تتورط الحكومة فى سجن رجل دين مسيحى.

طلب يحيى الجمل من البابا شنودة مهلة من الوقت ليجرى خلالها اتصالاته بالمسؤولين،وبالفعل أجرى هذه الاتصالات مع وزيرى الداخلية والعدل،ولما تأكد أن هناك صفقة بالفعل سهل خروج الكاهن.

هذه الحكاية لو صحت يمكن تطبيقها على حالة مرقص عزيز،لا أحد على وجه التحديد يعرف ما فعله،لكن يمكن أن يكون فعل ما يستدعى صفقة أخرى لخروجه من مصر فينتهى إزعاجه،والله أعلم مع من تمت الصفقة هذه المرة.



لؤلؤ.. عميل للكنيسة أم مرشد للمباحث؟

16

هذا الرجل لايزال لغزا محيرا، إنه سمير لؤلؤ، اسمه بالكامل محمد سمير لؤلؤ عبد السميع، بعد أحداث أبو فانا التى اعتدى فيها الأعراب على الرهبان هناك طفا اسمه على السطح، كان الاتهام الذي علق برقبته أنه هو الذي قاد البدو لمهاجمة الدير وإطلاق الرصاص على الرهبان، دافع عن نفسه كثيرا، قال إنه لم يكن موجودا لحظة وقوع الاعتداء على الرهبان، كان يؤدي واجب العزاء في ميت بقرية قصر هور.

لكن الأقباط اتهموه علانية بأنه بطل المعركة، وأنه يحظى بحماية الأمن لأنه مرشد للمباحث، والدليل أنه ظل حرا طليقا كل هذه الفترة دون أن يتعرض له

أحد، وعندما شارك في تسجيل حلقة من برنامج الحقيقة الذى يقدمه وائل الإبراشى على فضائية دريم، أخرج له أحد المحامين الأقباط ورقة وقال له هذا طلب ضبط وإحضار لك من أمن الدولة، فكيف تجلس بيننا الآن آمناً مطمئناً.

بعد ساعات من التسجيل كان سمير لؤلؤ معي فتحت معه كل الملفات، قلت له مباشرة هل أنت مرشد للمباحث؟ فقال: والله أنا علاقتي بالأمن أني مواطن عادي، ورغم أن رهبان الدير اتهموني قبل ذلك بأني اعتقلت لمدة ١٤ سنة وأني مرتش ومبتز، لكن لم يحدث أي شيء من ذلك، فأنا أتحدي أن يثبت أحد أن لي علاقة بالأمن.

لؤلؤ كان قد قرر أن يظل في القاهرة عدة أيام ولا يعود إلي المنيا حتى يعرف رأسه من رجليه في حكاية ضبطه وإحضاره، لكن أحد قيادات الأقباط في المنيا أكد له عبر اتصال تليفوني أنه ليس مطلوبا ولم يتقدم ضده بأي شيء رسمي، صدق سمير ذلك، عاد إلى المنيا وسلم نفسه للنيابة، لكن تم الإفراج عنه من سراي النيابة لعدم وجود أي أدلة ضده.

قال لي سمير: إن الكنيسة تروج أنه عميل للأمن وأنه يحرض العرب عليهم لأنه منذ سنوات بعيدة يقف لهم، ويحول بينهم وبين التوسع في وضع يدهم علي أراضي الصحراء المحيطة بالدير.

يقول: في عام ٢٠٠٣ قام الرهبان ببناء بوابة بجوار أرضي (سمير يمتلك ١٧ فدانا إلى جوار أراضي الدير)، لكنني وقفت أمامهم وأجبرتهم على هدم البوابة وإزالة كل آثارها، ومن وقتها وهم يعتبرونني قائد المعارضة لهم في المنطقة أو أنني الذي علمت العرب كيف يقفون في وجه الكنيسة رغم أن العرب ليسوا في حاجة لمن يعرفهم كيف يحافظون على حقوقهم.

المفاجأة الأكبر أن سمير لؤلؤ قال لي : إن الكنيسة طلبت منه أن يتدخل، وأن يعيد الرهبان الذين تم اختطافهم (سمير أشار إلى أن الرهبان لم يخطفوا فقد

وجدهم في المكان الذي دارت فيه المعركة بينهم وبين البدو)، وبالفعل أعاد الرهبان، رغم أن أهل القتيل خليل الذي قتل في المعركة، كانوا يريدون الرهبان للانتقام منهم أخذا بالثأر، لم يستجب لهم سمير، وأعاد الرهبان، وهو الآن في ورطة، حيث يطالب أهالي القتيل بجلسة عرب ليأخذوا منه حقهم.

قلت له ما دليلك على ذلك؟

علي الفور أخرج تليفونه المحمول وأجري مكالمة مع شريف مكرم رشدي قال لي:إنه عضو مجلس ملي بملوي ولما سألت عنه عرفت، أنه عضو لجنة مصالحات في الكنيسة دارت المكالمة هكذا:

لؤلؤ: إنت ورطتني وقلت لي: إنت وسامح نصيف إن الرهبان أمانة في رقبتك ولازم تجيبهم، ودلوقتي معمولي ضبط وإحضار، وأنا راجل صاحب عيال يا أستاذ شريف، وعلي فكرة أنا كنت بسجل في دريم وأعطيتهم رقم تليفونك إنت والأستاذ سامح علشان يتصلوا بيكم، ويتأكدوا إنك طلبت وسطتي علشان الرهبان، يرجعوا للدير، وقلت لي الرهبان اخواتك وهم بيعزوك ، ولازم تتدخل لإنقاذهم، وبعدين اسمع إنكم بتقولوا إن الموضوع طائفي وأنا اللي وراه.

شريف: إن شاء الله خير مفيش حاجة.

لؤلؤ: مفيش حاجة إزاي...ابقي افتكر بس تجيب لي عيش وحلاوة في السجن، على فكرة أنا هنا في القاهرة، ومش هقدر أرجع البلد تاني.

شريف: ليه يا عم.

لؤلؤ: المحامي بتاع الكنيسة اللي كان بيسجل معايا ، قال : أنا هاقدم هدية لوزير الداخلية وهاقوله إن معايا راجل مطلوب ضبطه وإحضاره، وهو قاعد يسجل معانا أهو في الأستوديو، وبعدين أنا اتصلت بأبونا كيرلس ومكسيموس، واطمنت عليهم وقلت : لهم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

شريف: صدقني يا عم سمير، أنا ما قلتش عليك حاجة، وبعدين متخافش من

أي حاجة أنا هحميك من أي حد.

سمير: ابقي خلي بالك بس من العيال.

شريف: اوعي تمشي ورا الإشاعات يا شيخ سمير.

سمير: شوف لو تم القبض على مين اللي هيخسر ،لأنكم مش هتلاقوا حد يقف معاكم ولا يحميكم.. صح ولا لا يا أستاذ شريف.

شريف: ده تهديد يا شيخ سمير.

لؤلؤ: لا مش تهديد ولا حاجة ، لكن أنا لما وقفت جنبك، كان هدفي نهدئ البلد فده ما يكونش جزائي.

انتهت المكالمة بين سمير لؤلؤ وشريف مكرم رشدي، وهي مسجلة عندي بالمناسبة حتى لا يفكر أحد في إنكارها أو التبرؤ منها.

هل نفهم من هذه المكالمة شيئاً؟ بالطبع نفهم، فسمير لؤلؤ الذي خرجت الكنيسة عن بكرة أبيها تتهمه بأنه هو الذي حرض البدو وقادهم إلى ضرب الرهبان وقتلهم، هو نفسه الذي اتفقت معه الكنيسة عبر أحد رجالها بالمنيا حتى يخلص الرهبان من ورطتهم ويعيدهم مرة ثانية.

من سمير لؤلؤ في هؤلاء:

الرجل القوي الذي يحرك الخيوط جميعا، على أرض الواقع ليس بكل هذه القوة وأعرف أن قبائل العرب التي تعيش في المنطقة هناك غضبت بشدة من وصف الصحف له بأنه شيخ عرب، أو أنه يتحدث بلسان العرب، وأكد لي علي النجاري – وهو شاعر من أبناء العرب في قصر هور – أن الشيخ سمير رجل محترم مهذب، لكنه ليس من العرب ، وليس متحدثا باسمهم في أي مكان، وهو ما أكده سمير أيضا فهو يدافع عن أرضه ويساند العرب في المحافظة على أرضهم.

أم رجل الأمن وذراعه الطويلة في المنطقة فهم يستفيدون به يصمتون عن جرائمه وسيطرته على الأرض مقابل أن يضمن لهم أن تظل المنطقة هادئة ولا

شغب فيها خاصة أنها مؤهلة للانفجار في أي لحظة.

أما رجل الكنيسة الذي يتمتع بعلاقات طيبة مع رجالها ويتوسط من أجلهم ولا يرفض لهم طلبا، لقد وجدت سمير حانقا على رجال الكنيسة تساءل: لماذا يحولون الخلاف علي الأرض إلى فتنة وصراع طائفي، رغم أن الكل يعرف أن الرهبان يعتدون على الأرض، لقد بنوا قلايات عديدة بين كل قلاية والثانية حوالي كيلو متر وكلما زادت القلايات دخلت الأرض في حوزتهم، كما يعتقدون، ورغم حالة الغضب والحنق هذه من الكنيسة، وجدته يتحدث معهم بمنتهي الود وكأنه يخفض لهم جناح الذل من الرحمة.

الرجل من هيئته يبدو رجلا صالحا ، يرتدي جلبابا صعيديا ، وعلى رأسه شال أبيض، قال لي : إنه رجل من أسرة بسيطة، كافح كثيرا في حياته، سافر إلى عدد كبير من الدول العربية العراق والسعودية والكويت وليبيا، وعندما عاد ليستقر في مصر عام ١٩٩٤، اشتري قطعة الأرض بجوار الدير ليزرعها ويعيش منها.

سمير لؤلؤ عمره ٥١ سنة لديه خمسة أبناء، وعنده ١٤ أخاً وأختاً، وجد نفسه فجأة متورطا في كارثة، حتي وصل الأمر بالبعض إلى النظر إليه علي أنه إمبراطور قصر هور الذي سينافس عزت حنفي إمبراطور النخيلة الذي ضاع عمره علي حبل المشنقة، قد يكون بريئًا لكنه في النهاية عنيد جدا، وزادته المواجهة مع الكنيسة عنادا، ولذلك واصل كشف ما جري هناك في أبو فانا.

يقول سمير لؤلؤ: الرهبان هم الذين قتلوا خليلاً ثم قالوا عليه مختل عقليا، وأنا اتحداهم من أين عرفوا أنه مختل هل لديهم تقرير طبي يثبت ذلك، إن خليلاً حاصل على دبلوم صنايع ومتزوج ولديه ٣ أولاد وزوجته حامل، وكان معه جواز سفر وسافر عدة مرات للخارج، فكيف يمكن أن يكون بحق الله مجنونا، ثم إذا كان مجنونا فهل هذا مبرر لقتله من قبل رهبان الكنيسة.

قلت له: ولكن الكنيسة تقول: إن العرب هم الذين قتلوا خليلاً واتهموا

الكنيسة به حتي يقلبوا الصعايدة ،عليها ويصبح بينهم ،وبينها ثأر لا يمحوه إلا الدم، فرد سمير: بسيطة لقد حرزت قوات الأمن سلاحاً من جانبي المعركة من العرب ومن الرهبان والمعمل الجنائي هو الذي يمكن أن يقول لنا من أين خرجت الرصاصة التي سكنت جسد خليل، هل من أسلحة الرهبان أم من أسلحة العرب؟

سمير حاول بذلك أن يوحي أن الرهبان كانوا يحملون سلاحاً، وعندما سألته ومن أين عرفت أن الرهبان كانوا يحملون سلاحاً وأنت تؤكد أنك لم تكن في ساحة المعركة التي قامت؟

قال: شهود العيان الذين شهدوا الواقعة أكدوا لي أن الرصاصة خرجت من الدير ومن ناحية الرهبان، ثم أن المقاول الذي ذهب ليبني السور قال على الملأ أي حد هيعترض هادفنه ، وكأن النية كانت مبيتة على الغدر.

لم يكن سمير وحده هو الذي جاء ليتحدث، جاء معه على أبو بكر وشهرته علي النجاري، من أبناء العرب حاصل على بكالوريس خدمة اجتماعية، قبل أن يتحدث قلت له: الكنيسة تقول إنه كانت هناك جلسة عرفية في ٢٠٠٦ م بينهم وبينكم وحصلوا خلالها على تنازلات عن الأرض مقابل حصولكم على كافة مستحقاتكم المادية.

قال علي: هذا كلام غير صحيح، فهذه الجلسة تمت بين الرهبان وبين شخص واحد فقط، وأغلبية العرب غير موافقين على ما فعله، والرهبان يمارسون ضغوطاً معينة ،ويصطادون ضعاف النفوس الذين يستطيعون السيطرة عليهم ويغرونهم بالمال، فكثير من العرب لا يريدون أن يتنازلوا عن أراضيهم للرهبان.

علي الذي يحمل عبء التعبير بلسان أهله قال لي: إنه يريد فقط أن يسأل الرهبان الذين لا يتجاوز عددهم ١٣ راهبا في دير أبو فانا: هل الدين المسيحي يأمركم أن تبنوا صومعة علي أرض الغير، وهل لابد أن تعبد الله على مساحة ٢٠ كيلو متراً،

وإلا فـإن الله لا يقبـل منـك صـلاتك أعتقـد أن المسـيحية بريئـة مـن مثـل هـذه التصرفات.

الآن لابد أن نحجم الصراع بين البدو والكنيسة ، ونضعه بين قوسين: فـالعرب يؤكدون أن الرهبان يملكون أراضٍ ولا ينكرون عليهم ذلك لكـن هـذه الأراضـي تصل بالكاد إلي ١٢٠ أو ١٣٠ فداناً فقط، والمفزع أن السور الذي كان الدير يريـد أن يبنيه سيدخل مساحة تصل إلى ١٥٠٠ فدان في حرم الدير وكلها ليست من حـق الكنيسة.

في المقابل قالـت الكنيسـة: إنهـا تملـك مسـتندات بملكيـة الأرض، وبالفعـل حصلت على عدد كبير من المستندات تؤكد كـلام الكنيسـة ، بعـد أن كانـت هـذه المستندات مثل الحلم المستحيل، صحيح أن المستندات تشير إلى ملكية الكنيسة في الأرض، لكن أي أرض وأي مساحة؟

المستندات كلها تشير إلى أن الأقباط يمتلكون ٤٥٦ فداناً، وبالأسـماء المـلاك هم، جورج بنيامين بطرس وفتحي إسحاق يني ١٦٨ فداناً، اميل باسـيلي مقـار ٦٠ فداناً، جورجيوس فوزي راغب ٢٨ فداناً نظيم منير شحاته ومـيلاد عطيـة ريـاض ٥٠ فداناً، القس متياس كمال من منصور الجمـل ٢٥ فـداناً، مطرانيـة ملـوي ٤٥ فداناً، كراس محروس كراس وأمين كامل جرجس ٨٠ فداناً.

هذا إذن كل شيء، فما هو سبب كل هذه الضجة، إن العرب يعتبـرون الأرض أرضهم، والكنيسة تعتبرها أرضاً بلا صـاحب، فلمـاذا لا يسـيطرون عليهـا، وكـل طرف يعتقد أنه علي صـواب، وعـلي هـامش هـذا الاعتقـاد تسـيل الـدماء ويقتـل الأبرياء،وفي النهاية يخرج البابـا شـنودة، رد الله غيبتـه وشـفاه وعافـاه ليقـول: إن العرب محتاجون حد يحكمهم.

عمر النجاري قال لي في تأثر: لماذا فعلها البابا إنه رجل عاقـل، فـالعرب ليسـوا لصوصاً ،وهناك من يحكمهم ، يحكمهم الله والقانون والعرف، لكن السـؤال هـو

من يحكم رهبانه.

التحقيق في هذا الموضوع كان بالنسبة لى مثل السباحة في بحر الرمال العظيم فالكل يدعي أنه على حق وأن الحق معه رغم أن الباطل ما يجمعهم، إنهم يسطون على أراضي الدولة والحكومة تتفرج، يمكن أن يتكرر ما حدث في قصر هور طالما أن الدولة صامتة والمتصارعون على أرض ليست ملكهم، يمتلكون كل هذه الجرأة والوقاحة ليتحدثوا عن حقوقهم ...وقانا الله وإياكم شر الزلل.



المشلوحون... من أمن الدولة وإليها

17

عندما كانت الكنيسة المصرية تصدر قرارا بشلح أحد كهنتها لم تكن تقدر على إجباره أن يخلع الزى الكهنوتى الأسود،وذلك لسبب بسيط أن هذا الزى ليس مسجلا بشكل رسمى لدى الدولة،مثل ملابس رجال الشرطة،وهو التسجيل الذى يقتضى أن يعاقب كل من يرتديه فى حالة عدم إنتماءه لهذه الفئة.

وكان طبيعيا أن ترتكب باسم هذا الزى جرائم كثيرة،وعندما يقع المذنبون فى يد الأمن تتبرأ الكنيسة من الفاعل وتقول: إنه ليس من أبنائها،وأنها أصدرت قرارا بشلحه وطرده،لكنها لا تقدر على أن تجبره على خلع زيه.

حاولت الكنيسة من خلال دعاوي قضائية أن تجعل الدولة تصدر قرارا باعتماد

الزي الكهنوتي وتجريم من يرتديه دون أن تكون له علاقة بالعمل الكنسي، لكن الدولة لم تستجب وهو ما جعل الكنيسة تفكر في وسيلة أخرى، تحمي من خلالها رعاياها من الكهنة المشلوحين، فقد قررت اللجان الفرعية للمجمع المقدس للكنيسة القبطية استخراج «كارنيهات» مسجلة رسمياً لكل الكهنة التابعين للكنيسة، ولا أدري هل ستلزم الكنيسة كهنتها بإبراز كارنيهاتهم أثناء التعامل مع المواطنين الأقباط، أم أن الأمر سيتوقف عند حملهم للكارنيهات فقط.

البابا شنودة كان قد وافق علي هذا القرار على أن تكون الكارنيهات مسجلة ومغطاة بعلامة مائية حتى يصعب تزويرها.

لكن على ما يبدو أن الكنيسة عندما فكرت في إصدار هذا القرار لم تكن تضع في اعتبارها مصلحة المواطنين الأقباط وهي عادتها ولن تشتريها، حيث كان الهدف الذي أعلنه الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس هو «التمييز» بين الكاهن القبطي الأرثوذكسي الحقيقي، والكهنة المشلوحين من الكنيسة، خاصة أتباع ماكس ميشيل، الذين يرتدون أزياءً، وصفها بـ«المفتعلة» لكونها مماثلة للكنيسة القبطية، خاصة بعد أن قام ماكس برسامة أسقف لبني سويف،فرغم أن الأنبا مكسيموس خفت صوته كثيرا إلا أنه لا يزال يمثل قلقا ورعبا للكنيسة لن تستطيع أن تتخلص منه بسهولة.

هذا القرار يفتح أمامنا بابا واسعا لتقليب أوراق ملف العقوبات بالكنسية وأسبابها ومن بيده أن يعاقب الكهنة ويؤدبهم، وهو ملف متخم بكل ما لا يسر الخاطر، فالظلم فيه أكثر من العدل،والديكتاتورية والتجبر أكثر فيه من الرحمة، فالكنيسة لا تعاقب كهنتها فقط، ولكنها تنكل بهم وتشردهم وتخرب بيوتهم، ولك أن تتصور مثلا أن بعض الكهنة بعد طردهم من الكنيسة عمَلوا في أعمال مهينة،أحدهم كان يبيع بطيخاً علي الطريق الصحراوي والآخر كان يتسول في الشوارع وثالث عمل سائق تاكسي،فالطرد من الكنيسة لا يعني الطرد من جنة

الآخرة ولكن من جنة الدنيا أيضا، وجنة الدنيا هذه يملك البابا شنودة وحده مفاتيحها.

ولمن لا يعرف، فإن العقوبات الكنسية لا تصدر بصورة عشوائية،بل هناك محكمة منظمة تصدر هذه الأحكام،وتتكون من محكم بدرجة أسقف ومعه بعض رجال الكهنوت المتخصصين بدرجة قمص أو شماس، ويرأس المحاكمات الكنسية البابا شنودة، لكن نظرا لأعبائه ومهامه الكثيرة، فقد أناب الأنبا بيشوي عنه لرئاسة هذه المحاكمات.

يشترط في أعضاء المحاكمة أن يكونوا مشهودا لهم بسعة الصدر وموضع ثقة، وأن يكونوا من ذوي الخبرة في مجال القانون الكنسي، ومن بينهم مثلا القمص بولس عبد المسيح أستاذ القانون الكنسي بالكلية الاكليركية بالقاهرة والقمص ميخائيل فهمي أقدم كهنة الكنيسة، بالإضافة إلى الأنبا أرميا الأسقف العام وسكرتير قداسة البابا.

وتصدر أحكام المحاكمات من المجلس الأكليركي العام بعد موافقة البابا شنودة عليها بعد اطلاعه على ملف كامل عن القضية المحكوم فيها ملحق به كل الأدلة والبراهين التي استند إليها الحكم الكنسي.

تبدأ الأحكام الكنسية من الإنذار والتحذير، ثم المنع من تناول الأسرار المقدسة والإيقاف عن ممارسة بعض أو كل الأسرار الكنسية مثل وقف الكاهن عن إجراء مراسم الزواج الكنسي فقط مع عدم إيقافه عن باقي الخدمات الكنسية ومن ضمنها الإيقاف عن أخذ سر الاعتراف، وهو أحد أسرار الكنيسة ـ وهناك أيضا عقوبة الإيقاف، عن كل الخدمات الكنسية لمدة محدودة أو لأجل غير مسمي.

وهناك أسباب عديدة لتوقيع هذه العقوبات أهمها أن يكون الكاهن ارتكب أخطاء عقائدية تمس الإيمان المسيحي الأرثوذكسي أو أن يكون تورط في

اختلاسات مالية أو أساء استخدام سر الاعتراف عن طريق إفشاء الأسرار أو أن يكون الكاهن المقدم للمحاكمة الكنسية يأتي بسلوكيات تتعارض مع سمعته الشخصية، أو سمعته الكنسية كأن يقوم الكاهن بضرب زوجته، وهنا إذا أرادت الزوجة الطلاق منه فلابد أن تجرده الكنيسة أولا من الكهنوت.

الأسباب هنا نظرية لكن يمكن تطبيقها على حالات بعينها على كهنة تمت معاقبتهم والأمثلة بالمناسبة كثيرة:

فقد عاقبت الكنيسة القمص زكريا بطرس بالإيقاف عن التعليم والصلوات وجميع أعمال الكهنوت، وهذا الإيقاف مطلق باستبعاده من الخدمة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وقد صدر هذا القرار برئاسة البابا شنودة في يونيه ٢٠٠٣ قبل أن تبدأ إحدى القنوات الفضائية في استضافته لإلقاء بعض المحاضرات في برامجها التي يشن فيها هجومه على الدين الإسلامي والمسلمين.. ورغم أن ما يفعله زكريا خطير جدا ،ويصل في كثير من حالاته إلى الأخطاء العقائدية إلا أن الكنيسة لم تقم بشلحه وهو أمر لا يزال مريبا حتى الآن، لكن الكنيسة تبرر موقفها بأنه لو تم شلحه سينفلت منها وستنفجر أعماله أضعاف أضعاف ما هو موجود الآن.

وتريح الكنيسة نفسها بأن زكريا بطرس مفصول من الكنيسة فصلا مطلقا، وهو ما كذبه زكريا كثيرًا وفي مواقف كثيرة يقول: أتحدي أي إنسان أن يأتي بقرار فصل أو شلح خاص بي من الكنيسة المصرية. فأنا أتبع الكنيسة المصرية ولا أقدر أن أجرد السيد المسيح من لاهوته.

وكان هذا ردا على ما قاله الأنبا بيشوي من أن القمص زكريا بطرس تقاعد وأن البابا شنودة أوقفه ولا يصرح له بالخدمة في كنيسة السيدة العذراء ببرايتون في المملكة المتحدة - وهو آخر مكان عمل فيه رسميا - أو في أي إيبراشية أخرى إلا بإذن مسبق لأن الكنيسة غير مرتاحة لأسلوبه.

وقد دعا بيشوي المسيحيين إلى الامتناع عن مؤلفاته وشرائطه وكل ما يخصه، وأن هناك اتفاقا وديا في الكنيسة الأرثوذكسية علي عدم إعطائه إذنًا بالخدمة في أي كنيسة أو إيبراشية،لكن ومع هذا الموقف الحاسم من زكريا إلا أنه لا يزال يتحدث ويطعن في الإسلام والكنيسة بل ويرتدي زيها الأسود وله أتباع ورعايا،و لا أحد يعرف حتى الآن لماذا تعجز الكنيسة عن مقاومة هذا الرجل أو إيقافه عند حده.

ترى الكنيسة أنها إذا شعرت بأن الكاهن يستحق التجريد نهائيا من الكهنوت بسبب ارتكابه خطأ جسيما ولم يرتدع من إيقافه وإنذاره المتكرر يتم شلحه أو تجريده نهائيا من الكهنوت وخلع الزي الكهنوتي والعودة إلى اسمه العلماني قبل الكهنوت، فهل لم تشعر الكنيسة حتى الآن بأن زكريا بطرس يستحق الشلح، وما معني أنه قدم استقالته للبابا وأنه قبلها،أم أن الكنيسة ترى أن زكريا بطرس يحقق لها ما لاتستطيع أن تفعله هنا في مصر وهو الهجوم علي الإسلام والمسلمين وقيادة حركة تبشير هائلة ولذلك تصمت عليه ولا تعترض طريقه؟!

الإيقاف غير المحدد المدة لم يكن من نصيب زكزيا بطرس وحده، فقد تعرض له القس إبراهيم عبد السيد، أوقفه الأنبا بيشوي عن الخدمة بعد أن نشر مقالات ناقش فيها زواج الأساقفة والرهبنة في المسيحية، لكن يبدو أن عبد السيد لم يكن له ظهر ولم يرهب الكنيسة كما فعل بطرس، فتم التنكيل به حتى النهاية، فعندما مات رفضت الكنيسة الصلاة عليه سواء بصفته الكهنوتية أو حتى كمواطن مسيحي عادي، من حقه الصلاة عليه مهما فعل.

ثم نأتي إلى النقطة الأخطر فى هذا الملف ،وهو علاقة العقوبات الكنسية بأمن الدولة، فالكنيسة تعاقب كاهناً لأنه عارض أمن الدولة وتعارض كاهناً آخر لأنه يتعاون مع أمن الدولة، حدث هذا فعلا، فقد تم شلح انسطاسي شفيق الذي كان راعيا لكنيسة مار جرجس المدافن بالشاطبي، ورغم أنه كان أحد المقربين من البابا وكانت له عدة مؤلفات مهمة، لكنه اتهم بالعمالة لجهاز أمن الدولة والتجسس على الكنيسة حيث

كان يتردد كثيرا على أمن الدولة وقد قال في المحاكمة: إنه كان يفعل ذلك للحصول على تراخيص لمؤلفاته لكن لم يصدقه أحد.

المضحك والمؤسف في آن واحد أن الأنبا بيشوي كان قد كتب مقدمة لأحد كتب انسطاسي، وعندما صدر قرار بشلحه قام بيشوي من خلال رجاله بجمع نسخ الكتاب لحذف مقدمته، لكن إنسطاسي فضح الأمر من خلال النسخ التي كان يحتفظ بها لديه وفيها تقديم بيشوي.

وهنا لابد من سؤال، هل قامت الكنيسة بشلح إنسطاسى لمجرد أن له علاقة بأمن الدولة،أم لأنه فعل ذلك دون أن يحصل على إذن ولم ينسق معها فى هذا الملف،ولذلك استحق من وجهة نظرها الشلح والطرد،فيما أعتقد أن السبب الثانى هو الأكثر واقعية وأقرب إلى الصواب،فالعلاقات بين الكهنة وضباط أمن الدولة طويلة وممتدة ودائمة،ولكنها تتم فى سياق تعرفه الكنيسة جيدا،ومن يخرج عن هذا السياق فلابد أن تقطع رقبته دون تردد.

وفي حالات نادرة تكون الكنيسة رحيمة بأبنائها فتعاقبهم بالوقف المؤقت والمحدد المدة، وهو ما تعرض له القس فلوباتير راعي كنيسة العذراء بالطوابق بفيصل، فعل فلوباتير مثلما يفعل آخرون، كتب في الصحف وانضم إلى حزب الغد، وواصل شططه من وجهة نظر الكنيسة طبعا وكتب يكذب أمن الدولة والنائب العام فيما نشر عن فتنة الإسكندرية التي انفجرت بعد عرض مسرحية «كنت أعمي فأبصرت في كنيسة محرم بك»، فأوقفته الكنيسة وعاد بعدها إلى العمل لكن وهو في منتهي الأدب.

هنا كان أمن الدولة حجر الزاوية فيما تعرض له فلوباتير،فهو لم يكن يعارض النائب العام فى حقيقة الأمر،ولكنه كان يعارض أمن الدولة ويحاول أن يكسر كبرياءها،من خلال إصراره على أن أمن الدولة هى التى صنعت الفتنة وسربت المسرحية إلى الإسلاميين حتى يثوروا على الكنيسة،وكان ما فعله فلوباتير خارج .

أيضا عن السياق الذى تتعامل به الكنيسة مع أمن الدولة،فكان لابد من عقابه،لكن ولأنه اعتذر فقد تم تخفيف العقوبة عليه،وعاد إلى عمله مرة أخرى.

قامت الكنيسة بشلح اثنين من القساوسة يخدمان في كنيسة مارجرجس المعتمدية هما مينا إسحاق و بشارة زكي،بعد أن وصلت شكاوي إلى مطرانية الجيزة بأنهما قاما بتزوير إيصالات التبرعات الخاصة بالكنيسة ووضعها في حساباتهما الخاصة دون توريدها للكنيسة.

أحيل الرجلان إلى محاكمة كنسية قضت بإيقافهما ثلاثة أشهر عن الخدمة ، ورغم أن القسيسين احتجا على الحكم ورفضا الأدلة والمستندات التي واجهتهما بها المحكمة الكنسية، خاصة أنها اتهمتهما أيضا باشتغالهما بأعمال العالم على حساب خدمة الشعب مما أوجب تجريدهما من الكهنوت ليعودا إلى صفوف العلمانيين بعد نزع الصفة الدينية عنهما.

مجلة الكرازة وهي نشرة الكنيسة الرسمية، نشرت قرار التجريد « الشلح» في عدد الجمعة ١٩ من مايو ٢٠٠٦ وكان هذا نصه:

بعد جلسات المجلس الإكليركي العام حضرها أعضاء من مجلس أكليركي الجيزة تعلن بطريركية الأقباط الأرثوزكس :

- تجريد القمص مينا إسحاق هابيل من الكهنوت وقد كان من قبل كاهنا بإيبراشية الجيزة وعودته إلى اسمه العلماني مينا إسحاق هابيل .

- تجريد القس بشارة زكي من الكهنوت وعودته إلي اسمه العلماني فخري زكي فخري وهو يحمل بطاقة الرقم القومي باسم بشارة زكي، وكان كاهنا بإيبراشية الجيزة - تحذر البطريركية من التعامل مالياً معهما في التبرعات الخاصة بالكنائس ومساعدة الفقراء .

شلحت الكنيسة كذلك القس هابيل توفيق سعيد بعد أن انشق عن الكنيسة الأرثوذكسية ،وقام بتأسيس طائفة اسماها أبناء القديس بولس تضم المطلقين

الذين يرفض البابا شنودة زواجهم ،كان رد هابيل على الكنيسة طريفا للغاية فقد شلحته من جانبها فقام هو بتنصيب نفسه بطريركاً على الكنيسة والطائفة الجديدة التي أسسها.

لا تسامح الكنيسة في الأخطاء المالية، كما لا تسامح تماما في الأخطاء اللاهوتية ففي دير السريان الذي يقع بالقرب من وادي النطرون تم شلح راهب كان يتولي إدارة إحدي المزارع واتهم باستيراد ماكينات زراعية متقدمة غالية الثمن، وقام الأنبا بيشوي بمحاكمته، وشلحه رغم شهادة الجميع له بأنه قام بإنتاج متميز لهذه المزرعة.

الأمثلة لا تزال تتوالي:

وليست الأسباب الدينية والمالية والأمنية هي مبرر الشلح وحدها فهناك الأسباب الأخلاقية وتحديدا الجنسية وفي هذا الإطار شلح كهنة كثيرون،منهم مثلا تكلا يوسف راعي كنيسة الأنبا تكلا في الإبراهيمية.. ادعت إحدى النساء أنه زنى معها، ولم تستغرق محاكمته كثيرا حيث تم شلحه في جلسة واحدة، هناك كذلك برسوم المحرقي بطل فضيحة جريدة «النبأ» التي تفجرت منذ سنوات، قامت الكنيسة بشلحه لأسباب نسائية، لكنه لم يخلع زيه الكهنوتي واستغل ذلك في التربح من خلال علاقات عديدة أقامها في بيوت الأقباط.

وفي تاريخ البابا شنؤدة موقف غريب للغاية فقد قام بوقف ١٤ كاهنا بعد أن خرج من دير الأنبا بيشوي الذي تحفظ عليه الرئيس السادات فيه، وقتها كانت هناك لجنة خماسية تدير شئون الكنيسة وقامت بتوزيع الكهنة الـ ١٤على الكنائس للخدمة فيها، لكن البابا شنودة رأي أن استجابة الكهنة لأوامر اللجنة الخماسية خروج عليه، فكان أن أرسل لهم خطابات إيقاف مع وقف رواتبهم.

و تضع الكنيسة أساساً دينياً للشلح- وهو في اللغة معناه شلح الكاهن من جماعة الإكليروس بمعني تجريده من زيه الكهنوتي وخلعه من رتبته الدينية- بآية من

الإنجيل تقول: إن كل ما حللتموه في الأرض يكون محلولا في السماء، ورغم أنه من المفروض أنه لايوجد شلح أو إيقاف مدى الحياة لأن الإنسان متي يتوب يجب أن تحتضنه الكنيسة، لكن الواقع فعلا أن عقوبات الكنيسة نهائية فلا أحد يعاقب ويسلم أبدا.

هذا بالطبع سلوك خاص بالبابا شنودة ورجاله، فهو وهم من ورائه لا يسامحون أبدا، يغلقون باب رحمة الله ولا يسمحون بفتحه مرة ثانية أبدا، لم يكن البابا كيرلس هكذا، فقد جاؤوا له بكاهن سكير وهو في حالة سكر بَيِّن وصلى معه القداس، لم يوجه له البابا كيرلس كلاما ولم يعاتبه وفي اليوم الثاني استطاع أن يستوعبه ويجعله يتوب ...وساعتها عفا الله عما سلف.

قضاء الكنيسة عرفي لا مكان فيه لقوانين ولا لائحة موضوعة، والمدهش أن الكنيسة ترفض رفضا قاطعا تدخل القضاء المصري في أحكام الكنسية وتضع لذلك أسبابا تراها منطقية منها أن القضاء بتدخله في الأحكام الكنسية يتجاهل أن المجلس الإكليركيّ العام صادر به قانون من الخط الهمايونى الخاص بتنصيب بطريرك الأقباط الأرثوذكس وإنشاء المجلس الملى العام، وهي محكمة صدرت بها قوانين تجددت على مدى السنين في مصر ولم يتم إلغاؤها حتى الآن.



الكنيسة فى قبضة الأمن
هذا رأيى

18

أعرف أن رأيى هذا سيكون مزعجا،لأن هناك شبه اتفاق بين أبناء النخبة المصرية على ضرورة أن ترفع مباحث أمن الدولة يدها عن ملف الأقباط وغيره من الملفات الحساسة التى تنذر بالخطر والاشتعال بمجرد الاقتراب منها.

وحجة ذلك أن رجل الأمن لا يهتم بأسباب ولا دوافع ولا مبررات ما يجرى أمامه،بقدر ما يهتم بأن ينهى الحدث الذى يمكن أن يخلق خلفه توترا من أى نوع،فلو أن رجل الأمن تصدى لمظاهرة ما فإنه لا يهتم كثيرا بأن يعرف ما يريده المتظاهرون بقدر ما يهتم بأن يضرب بقوة حتى تنتهى المظاهرة،وقد تنتهى المظاهرة بقوة

الأمن،لكن أسبابها تظل كامنة لتطل برأسها من جديد فى مناسبة أخرى.

لكننى أرى أن إشراف مباحث أمن الدولة على هذا الملف وتدخلها السافر والمباشر فيه هو صمام الأمان للحياة العامة فى مصر،إننى أؤمن بالحوار من خلال الأفكار،لكن من قال: إن الأفكار فى مصر تقدر على الحل أو يمكن أن تتصدى للفتن،إنها حتى لا تستطيع أن تقف على قدميها فما الذى يمكنها من أن تقف وتتصدى.

وقريبا من هذا الاعتقاد الخاص،تقف رؤية أخرى أكثر إزعاجا،وهى أن النظام بموقفه من الأقباط هو الأحرص على السلام الاجتماعي والاستقرار النفسى للمصريين جميعا،وأن الإستجابة لكل ما يقوله الأقباط ليس إلا نفخا فى النار المشتعلة أصلا ولا تحتاج لمن ينفخ فيها.

ما أجملته يحتاج إلى مزيد من التفصيل من ناحيتى،ولمزيد من الصبر ممن يرون عكس ما أذهب إليه.

لا يمكن أن ينكر عاقل أن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر وصلت إلى قمة جبل الكراهية،وهذه الكراهية ليست حدثا عارضا،ولا وجهة نظر مجموعة من الأفراد أو فئة معينة من فئات المجتمع المصرى،ولكنها أصبحت جزءا من الثقافة العامة التى تحكم آراء واتجاهات وسلوك المصريين تجاه بعضهم البعض.

سيكون من لغو الحديث إذا ذهبنا للبحث بعيدا عن أسباب الكراهية تلك،فهى موجودة عند أطراف أصابعنا،وقد اشتركنا جميعا فى زرعها ،وسهرنا على رعايتها حتى أصبحت ثمرة ناضجة،لا تحتاج لمن يقطفها،فهى تسقط مباشرة على رؤوسنا ونحن نسير فى الطريق العام لا بنا ولا علينا.

إن المسلمين لا يتعاملون مع الأقباط على أنهم آخر يمكن التعايش معه تحت سقف واحد،ولكن ينظرون إليهم دائما على أنهم عدو وخصم لابد من إبادته وتطهير مصر منهم،وذلك كله تقربا لوجه الله تعالى.

أما الأقباط فيتعاملون مع المسلمين ورغم مرور مئات السنين على أنهم محتلون،جاؤوا مع أجدادهم العرب فبسطوا نفوذهم على مصر وأهلكوا فيها الحرث والنسل،فلما طابت لهم جعلوا من أعزة أهلها أذلة،واستباحوا أموالهم ودماءهم ونساءهم،وكل ذلك بكلمة الله التى هى بريئة من السفك والقتل والدماء.

ولذلك فلا أمل على الإطلاق فى التفاهم أو التعايش،وكل ما يقال عن ذلك من عقلاء الطرفين،ليس إلا وهما أو صرحا من خيال أو قصرا على رمال،لا يصمد أبدا فى مواجهة أى احتكاك مباشر أو غير مباشر بين الطرفين.

إن نفوذ أمن الدولة وتوحشه فى الملف القبطى بدأ مع ظهور البابا شنودة على مسرح الأحداث،فهو لم يكتف بدوره الروحى كما كان يفعل بطاركة الكنيسة من قبله،لكنه دخل بقدميه إلى معترك السياسة،ولأنه أصبح رجل سياسة فلابد من التعامل معه بأدوات رجال السياسة،وإذا كان الرجل يبحث عن مكاسب سياسية فلابد أن يدفع الثمن،والثمن مع رجال الأمن يدفع مقدما دائما.

وهنا لابد من رصد نقطة التقاء،إن البابا شنودة لم يبدأ فى لعب دوره السياسى فبدأت مباحث أمن الدولة ترصده وتتعقبه،بل إن البابا شنودة هو من أدخل أمن الدولة إلى الكنيسة،فقد فتح معها بوابات الاتصال والتواصل الكبيرة،استعان بهم ليس على خصومه ولكن على رجاله أيضا،فعل ذلك بحسه السياسى وليس بتكوينه الروحى،وكان يعرف أن الأمر مفيد طالما كان تحت سيطرته،لكن يبدو أن تضخم البابا ونمو دوره السياسى جعله يتصور أنه يمكن أن يتمرد على حليفه الأمنى،وهو ما جر عليه المشاكل من كل حدب وصوب.

إن هناك اتهاما دائما وأبديا لرجال أمن الدولة بأنهم يقفون وراء كل الأحداث الطائفية فى مصر،لا يسكتون عليها إذا تفجرت بالصدفة،بل إنهم يحرضون عليها ويضخمونها ويصمتون حتى تكبر فيبدؤون فى التصدى لها،بعد أن يكون الضحايا قد

تساقطوا على الجانبين، بل إن هناك اتهام لضباط أمن الدولة بأنهم يأتون بعناصر مشاغبة من المسلمين ويغرونهم بالاعتداء على الأقباط فى مقابل حمايتهم والذود عنهم.

وأذكر أنه ومنذ سنوات عندما تفجرت قضية وفاء قسطنطين،زوجة كاهن أبي المطامير التى أسلمت وأصرت الكنيسة على استردادها على أساس أنها بالنسبة لها لا تزال مسيحية المولد والمعتقد،تحاورت مع الدكتور ميلاد حنا.

والدكتور ميلاد حنا لمن لا يعرفه رجل نذر سنوات عمره الطويلة لخدمة قضية الوحدة الوطنية،صحيح أن له اهتمامات عديدة مثل قضية الإسكان وملف السودان والهوية المصرية وله كتاب مهم عنوانه«الأعمدة السبعة للشخصية المصرية»،إلا أن الاهتمام الأكبر له هو الوحدة الوطنية.

ركز ميلاد حنا فى حديثه الحاد معى وقتها على أن المشكلة فى البستانى،وكان يقصد به رجل أمن الدولة المسئول عن الملف القبطى،حيث رأى أن هذا البستانى هو المسئول الأول والأخير عن الأزمات التى تلاحق المصريين من الملف القبطى،وأن هذا البستانى لو ترك الحديقة لمن يفهم فيها ليرتبها وينسقها ويقوم على شؤونها،فإن كل المشكلات يمكن أن تنتهى على الفور.

يقول ميلاد حنا: إن أمن الدولة عندما يضيق على الأقباط فى بناء الكنائس مثلا، ينحاز فى المشكلات التى تنشب بين المسلمبن والأقباط إلى الجانب المسلم،فإنه بذلك يجعل المواطن القبطى يلجأ إلى الكنسة لتحميه،وهذا تقريبا ما جعل من البابا شنودة زعامة سياسية للأقباط،فهو فى هذه الحالة يستقبل المتعبين والمرهقين وأصحاب المظالم من رعاياه فيخفف عنهم.

وفى كل أزمة يزداد الرجل قوة وزعامة،وهو سلوك قسم البلد إلى بلدين،الأولى للمسلمين يرعاها ويقوم على شؤونها الرئيس مبارك،والثانية مسيحية يرعاها ويقوم على شؤونها ويحل مشكلات مواطنيها البابا شنودة،الذى تحول من راعى روحى إلى زعيم سياسى ملهم،والضعفاء دائما يبحثون عن الزعماء.

كان هذا مبررا كافيا لدى ميلاد حنا ليطالب برفع أيدى أمن الدولة عن الملف القبطى،على أن يتم استبدال ذلك بمجلس قومى للوحدة الوطنية،على شاكلة المجلس القومى للمرأة ، والمجلس القومى لحقوق الإنسان،وهو تصور لا يمكن الركون عليه أو الاطمئنان إليه كثيرا.

فمجلس قومى لحقوق الإنسان مهما أوتى من قوة،ومهما أؤتى أعضاؤه من حكمة وخبرة وحنكة،فإنهم لن يقدروا على أن يقفوا فى وجه الأزمات الطائفية التى تبدأ عادة بمشاجرات بين المسلمين والأقباط،وهذه المشاجرات لا يمكن أن يقف فى وجهها إلا رجال الأمن،الذين لو تركوا المتنازعين حتى يصلوا إلى مجلس الوحدة الوطنية المقترح،فإنهم حتما سيصلون إليه وهم جثث تم التمثيل بها وبلا رحمة.

ثم ما الذى يمكن أن يقوم به هذا المجلس إلا تلقى الشكاوى الطائفية ودراستها والبت فيها والتوصية بحلها،فلو كان المجلس القومى للمرأة استطاع أن يحل مشاكل المرأة وهو يحظى بتأييد ورعاية السيدة الأولى فى مصر،ولو كان المجلس القومى لحقوق الإنسان استطاع أن يحل مشاكل التعذيب فى الأقسام رغم مباركته من السلطة الحاكمة،لتفاءلنا خيرا بمجلس قومى للمواطنة والوحدة الوطنية.

إن مباحث أمن الدولة متهمة طوال الوقت بأنها من تشعل الصراع الطائفى فى مصر،وأنها لا تقوم بواجبها كما ينبغى،وهناك كتابات كثيرة فى هذا الشأن يمكن الاستدلال بها على هذه الفكرة،ومن نماذجها على سبيل المثال.

فى مقال دال بعنوان «الكنيسة بين مفهوم المسيحيين والمتأسلمين» كتبه مدحت قلادة وهو أحد أقباط المهجر فى مارس ٢٠٠٦،يرى أن معنى الكنيسة لدى المتأسلمين وأمن الدولة بصفة عامة ورئيس الجمهورية (لاحظ أنه يضع البيض كله فى سلة واحدة) هى بيت الكفر والشرك،والدليل على ذلك أنك تجد أن

هناك عشرات الكنائس فى كل محافظة يحتاج الأقباط إلى بنائها أو ترميمها لا يسمح لهم بذلك، نظرا لأنها تعتبر فى نظر هذه الجهات بيت الشرك والكفر.

الكنيسة لدى الأمن والمتأسلمين من وجهة نظر مدحت قلادة ليست بيت الشرك فقط،ولكنها أيضا بيت الشياطين،والدليل الذى يسوقه على ذلك أن كل المتأسلمين ليس لهم هدف سوى القضاء على الأقباط وقتلهم، وهناك مئات الحالات من الهجوم على الكنائس من الخانكة سنة ١٩٧١ إلى العياط فى ٢٠٠٦،وهناك تؤاطو كامل من أمن الدولة ومن قيادات الشرطة من النبوى إسماعيل وحتى حبيب العادلى،فلهم دور مكشوف ومفضوح،وكل ما يفعلونه هو عمل كردون خارجى حتى يتم القضاء على الأقباط داخليا فى بيوتهم وكنائسهم.

ويضيف مدحت قلادة إلى مسميات الكنيسة لدى أمن الدولة كذلك مسمى بيت الإرهابيين،والدليل الذى يقدمه هذه المرة هو أن هناك جهازاً كاملاً فى وزارة الداخلية هو جهاز أمن الدولة مسخر ومعه مئات الآلاف من قوات الأمن المركزى للوقوف أمام بناء الكنائس أو ترميمها،هذا علاوة على ملايين الرعاع الذين يقفون أمام البناء ويحاولون حرق وهدم الكنائس تحت حراسة الأمن وبتؤاطؤ من أعضاء مجلسى الشعب والشورى.

يتعامل مدحت قلادة مع جهاز أمن الدولة على أنه الشيطان الأعظم،ورؤيته تلك تتسق معها رؤى الأقباط جميعا ليس فى الخارج فقط،ولكن داخل مصر أيضا.

إن هناك زاوية مهمة جدا لابد من النظر إليها ونحن نتفقد الدور الذى يقوم به ضابط أمن الدولة فى الملف القبطى،إنه فى النهاية وفى الغالب الأعم ضابط مسلم،ولديه ثقافته الخاصة التى تدله على كراهيته للأقباط أكثر من استيعابهم،ثم أنه فى النهاية مواطن مصرى تربى على الفتاوى التى يبثها رجال الأزهر وشيوخ السلفية وفقهاء الإخوان المسلمين،وهى فى النهاية فتاوى ليست فى صالح الأقباط،ولا فى صالح وجودهم الآمن فى مصر.

إن ضابط أمن الدولة الذى يعمل فى الملف القبطى يخرج إلى الواقعة الطائفية وهو مقسوم إلى نصفين،النصف الأول هو رجل الأمن فيه، الذى لابد أن يحفظ الأمن ويعاقب المخطئ بصرف النظر هل هذا المخطئ مسلم أم مسيحى،وعندما يقوم بهذا الدور فإن النصف الثانى لديه يتحرك ويعمل وهو نصفه المسلم الذى يمكن أن يكون موافقا جدا على ما يحدث للأقباط.

خذ عندك مثلا زواج الفتيات القبطيات من الشباب المسلمين،تتعامل الكنيسة ومن وراءها الأقباط على أن ما يحدث ليس إلا حادث اختطاف،فنحن أمام شاب مسلم خدع فتاة مسيحية وأجبرها على الهروب من أهلها،وبعد أن اختطفها أجبرها على الدخول فى الإسلام ثم تزوجها،ضابط أمن الدولة المسلم يرى فى الغالب هذه الحادثة على عكس ذلك تماما،فهو أمام فتاة مسيحية أحبت شابا مسلما،وقد حلل الشرع الإسلامي هذا الزواج،وعليه فهى قصة عادية جدا ولا داعى لإثارة المشاكل بسببها.

ولو قلت أن هذا الضابط تحديدا لا يتصرف بهذه الطريقة إذا كان الوضع معكوسا،أى إذا هربت فتاة مسلمة مع شاب مسيحى،أقول لك: إن النصف المسلم فى رجل الأمن هنا يتحرك،فنفس الشرع الإسلامي يحرم أن تتزوج الفتاة المسلمة من مسيحى،وهو يفعل ذلك ووراءه ترسانة من الفتاوى وآراء الفقهاء الذين يؤيدون موقفه بأن يتحرك ليمنع هروب المسلمات مع مسيحيين.

هذه مشكلة كبرى تقابل ضابط أمن الدولة العامل فى الملف القبطى،وأعتقد أنها مشكلة تحتاج إلى علاج سريع وقاطع،ولا حل لها فى وجهة نظرى إلا بأن تعلو الاحترافية فى عمل ضابط أمن الدولة،فيصبح همه الأول هو حفظ النظام والاستقرار فى المجتمع بصرف النظر عمن يكون معه الحق المسلم أم المسيحى فى واقعة بعينها.

الانتماء الدينى لضابط أمن الدولة يؤثر بلا شك فى إدارة شؤون الأقباط،والحل

بالطبع ليس فى الاستعانة بضباط أقباط فى جهاز أمن الدولة،لأن المشكلة ستظل قائمة،فانتماء القبطى إلى كنيسته سوف يؤثر على قراراته التى سيأخذها فى هذا الملف الشائك.

لكن هناك مشكلة أخرى وهى أن الضابط الصغير الذى يتابع الملف عن قرب ليس فى يده قرار سريع يحل من خلاله الأزمات التى يتعرض لها،إنه يضطر إلى أن يرجع إلى رؤسائه وهو ما يعطل الحلول السريعة والعاجلة للأزمات الطائفية،وقد يتطوع الضابط الصغير بإصدار قرار أو يتصرف بشكل معين فى الأزمة التى يعالجها،دون أن تكون لديه خلفيات ما يجرى،فيقع فى خطأ أكبر تكون عاقبته وخيمة.

ليس معنى ذلك أننى أرى الحل فى إبعاد مباحث أمن الدولة عن هذا الملف عن غيره من الملفات الساخنة والشائكة فى مصر على الأقل فى الفترة الراهنة،لأنها فترة مشحونة بالاحتقان الطائفى، ومن ناحية أخرى فهذه أخطاء وأوجه قصور عارضة يمكن علاجها ببساطة.. إذا أراد من بأيديهم الأمر ذلك بالطبع.



أمن الدولة والكنيسة... الجريمة الكاملة من كنيسة القديسين إلى أحداث إمبابة

19

بعد الثورة كانت قد تكشفت أمور كثيرة،وكان لابد أن أثبت هنا بعضا مما بدا، مؤكدا أن أمن الدولة لم يكن يرى فى الأقباط إلا أوراق لعب فقط، يستخدمها فى الوقت الذى يحدده،وبالطريقة التى يشاؤها... مستهينا بالأرواح والأعراض والقامات.

العلامات كثيرة من تفجير كنيسة القديسين ...الحدث الطائفى الأخير قبل الثورة، إلى الأحداث الطائفية الكثيرة التى تفجرت بعد الثورة،وكنا نعتقد أن الطائفية ستنتهى إلى الأبد...لكن شيئا من ذلك لم يحدث...والسبب بسيط فلم يكن نظام مبارك هو وحده الطائفى...بل لأننا جميعا طائفيون... والله أعلم.

عندما وقف حبيب العادلى فى احتفاله الأخير بعيد الشرطة فى ٢٣ يناير ٢٠١١،ليعلن توصل رجاله إلى مرتكبى حادث كنيسة القديسين بالإسكندرية،كان متنفخا،يشعر بالزهو،ملامحه تشى بغرور الامتلاء بالقوة،وضع العادلى الجريمة فى عنق الجيش الإسلامى بغزة،ثم هبط ليتلقى التهانى من كبار رجال الدولة،بعد أن حصد إعجاب وثناء وتشجيع الرئيس.

لم يكن العادلى يعرف أنه وبعد أيام قليلة سيكون هو المتهم الأول والمباشر بتفجير كنيسة القديسين،التى راح ضحيتها ٢٤ شهيدا،كان المصريون يجمعون أشلاءهم وبقاياهم فى الطرقات، و٩٠ مصابا لا يزالون يتلقون العلاج حتى الآن،ومن يدرى فقد يخرجون بعاهات مستديمة،تظل معهم حتى موتهم.

اتهام العادلى جاء عبر تقارير صحفية نشرتها مواقع دولية ومحلية مستندة إلى معلومات منسوبة إلى المخابرات البريطانية،وأشارت إلى أن ما تم كان كالآتى:

«كان حبيب العادلى ومنذ ٦ سنوات قد شكل جهازا خاصا يديره ٢٢ ضابطا،وهؤلاء بدورهم كونوا مجموعات معاونة من أفراد جماعات إسلامية تم الإفراج عنهم بعد المراجعات الشهيرة،وعدد من تجار المخدرات والمسجلين خطر،وفرق من شركات الأمن،وتم نشرهم فى قطاعات الجمهورية المختلفة.

كانت المهمة الأساسية للجهاز أن يقوم بأى عمليات تخريب شاملة فى جميع أنحاء الجمهورية، فى حالة تعرض النظام لأى أزمة.

من بين ما قام به هذا الجهاز كان تفجير كنيسة القديسين،وبطل الفضيحة كما تقول المخابرات البريطانية هو الرائد فتحى عبد الواحد المقرب من حبيب العادلى،فقد قام يوم ١١ ديسمبر الماضى بتجنيد أحمد محمد خالد الذى قضى أحد عشر عاما فى السجون المصرية،ليجرى اتصالات بمجموعة متطرفة مصرية لتنفيذ مجزرة القديسين.

اتصل أحمد خالد بمجموعة «جند الله»،وأكد لها أن لديه أسلحة حصل عليها من غزة لتفجير كنيسة لتأديب الأقباط، التقط محمد عبد الهادى قائد جند الله الفكرة،وبدأ فى الإعداد لها من خلال عبد الرحمن أحمد على،كانت الخطة أن توضع سيارة لتنفجر من نفسها.

ما حدث فعلا – طبقا للتقارير البريطانية – أن الرائد فتحى عبد الواحد هو الذى فجر السيارة عن بعد بواسطة جهاز لاسلكى وقبل أن ينزل الضحية عبد الرحمن أحمد على من السيارة،توجه الرائد فتحى نفسه إلى أحمد خالد وطلب منه استدعاء رئيس جماعة جند الله محمد عبد الهادى إلى شقة بالإسكندرية لمناقشة نتائج التفجير....وعندما تم اللقاء اعتقل الرائد فتحى الاثنين ونقلهما فورا إلى القاهرة بواسطة سيارة إسعاف،ليصل إلى مبنى خاص فى منطقة الجيزة بالقاهرة تابع للداخلية».

ما الذى كشف هذه الأوراق كلها؟

مساء جمعة الغضب وأثناء خروج السجناء من السجون،كان أن خرج أحمد خالد ومحمد عبد الهادى من مقر احتجازهما،وعلى الفور توجها إلى السفارة البريطانية فى القاهرة طلبا لأمنهما وسلامتهما،ليقولا لرجال أمن السفارة كل ما جرى وبالتفصيل.

دبلوماسى بريطانى كشف قصة تفجير القديسين، رأى أنه كانت هناك أسباب واضحة،تجعل من المنطقى أن يقوم العادلى بالتخطيط والتنفيذ للمجزرة،ومنها:

أولا: الضغط الذى تعرض له النظام المصرى داخليا وخارجيا لمحاصرته مدينة غزة،واتهام جيش الإسلام بمثل هذه الجريمة سيلعب نفسيا على الرأى العام المصرى، لأن المسلحين من غزة يقومون بتخريب مصر ويقتلون الأقباط الذين تعهد النظام المصرى ؛بحمايتهم.

ثانيا: تقديم خدمة مباشرة لإسرائيل التى تدعم ترشيح جمال مبارك لرئاسة مصر فى كل أنحاء العالم،فإظهار جيش الإسلام بأنه إرهابى يضعف موقفه عالميا،ويمنح إسرائيل رخصة لإعمال القتل الذى لا ينتهى.

ثالثا:اصطناع حجة جديدة لاستمرار الطوارئ والحكم بها،وهو ما كان يحتاجه النظام خاصة فى مرحلة الانتخابات الرئاسية،التى كانت تعد لجمال مبارك،وكانت التقارير السياسية الداخلية والخارجية تشير إلى أن هناك احتجاجات ضخمة جدا ضد التوريث.

القصة بصورتها تلك تشير إلى أن جهاز الأمن الخاص الذى أنشأه حبيب العادلى على عينه وبرعايته شخصيا،هو الذى قام بتنفيذ مجزرة كنيسة القديسين.

إننا أمام اتهام واضح بالأسماء والأماكن والتوقيتات،ليس كلاما مبهما،وهو ما سيجعل التحقيق فى البلاغ الذى تقدم به ممدوح رمزى المحامى ضد العادلى إلى النائب العام وحمل رقم ١٤٥٠ لسنة ٢٠١١ عرائض النائب العام ،أمرا سهلا وميسورا،خاصة أن حبيب العادلى نفسه قيد التحقيق الآن.

نيابة أمن الدولة العليا التى تم تحويل البلاغ لها سألت ممدوح رمزى،الذى لا يملك بالفعل إلا ما نشر فى المواقع الإليكترونية،لكنه بادر إلى تحويل التقارير التى تناقلتها المواقع القبطية – وكان يمكن لها أن تمضى كما مضت تقارير كثيرة تحمل اتهامات للداخلية بصنع الفتنة الطائفية دون أن يحقق فيها أحد – إلى اتهام واضح وموثق ويحمل رقم فى مكتب النائب العام،وبذلك أصبحت له صيغة قانونية.

لقد كان مريبا أن يصدر قرار حظر نشر فى قضية الكنيسة،بعد أن أعلن حبيب العادلى أن رجاله توصلوا إلى الجناة،كان من المفروض أن تنشر التحقيقات على السور،لكن حظر النشر كان يشى بأن هناك شيئا محظورًا،أو أشياء خطأ ...أو على الأقل تورط،أقنع العادلى نفسه بأنه لن ينكشف أبدا ....فكل شيء يتم برعاية الداخلية والداخلية باقية،فلا شيء سيظهر.

لا يستطيع أحد أن يجزم بشيء ...أو يؤكد الاتهام أو ينفيه،فقط يمكن للتحقيقات التى لابد أن تجرى بدقة أن تكشف هل فعلها العادلى أم لا؟

الإجابة مهمة جدا لأنها ستضع أمامنا ملفات عديدة بصورة مختلفة عن التى عرفناها خلال السنوات الماضية،ومنها:

أولا:لقد كانت هناك إشارات دائمة تسربت عبر ما كنا نكتبه عن أحداث الفتن الطائفية، تؤكد أن أحداث العنف الطائفى لا يمكن أن تكون بعيدة عن أيدى الأمن،الذى يدير مصر من خلال صنع الأزمات وتصديرها للشارع كى ينشغل بها، وقد تأمل الكثيرون ما جرى خلال أيام الفراغ الأمنى، فرغم غياب الأمن تماما إلا أنه لم تحدث أحداث طائفية،فهل معنى ذلك أن من كانوا يصنعون هذه الأحداث كانوا غائبين؟ ...هذا سؤال.

ثانيا: إذا كان العادلى نفذ تفجير القديسين من خلال جهاز أمنى خاص مكون

من ٢٢ ضابط يديرون بلطجية وتجار مخدرات ومسجلين خطر،فهل كان هذا هو جهاز الأمن الوحيد الخاص،أم كانت هناك أجهزة أ ـ خاصة أخرى استخدمها العادلى فى توطيد دعائم دولته الأمنية التى كونها عبر ١٣ عاما ...كانت هى الأطول والأكثر صخبا فى حياة وتاريخ الداخلية فى مصر.

إن التحقيقات مع العادلى لن تقف عند الشهر الأخير،ولا مافعله مع المتظاهرين ومع حالة الفوضى الأمنية التي روع من خلالها المواطنين،ولكنها ستكون تحقيقات لما جرى فى ١٣ سنة ...وليس عليكم إلا أن تنتظروا ....فالقا م سيكون مختلفا تماما عن كل ما كتبناه وتصورنا أنه حجم الفساد فى مصر فقط.

***

بعد شهور من الثورة تكشفت حقائق أخرى عن تفجير كنيسة القديسين،فطبقا لمصادر مقربة من عمر سليمان الذى كان مديرا للمخابرات المصرية أثناء وقوع حادث القديسين،فإنه استقبل مندوبا من قبل العقيد معمر القذافى قبل حادت القديسين بثلاثة شهور،حمل المندوب معه تسجيلا بالصوت والصورة لشاب تم القبض عليه فى ليبيا،يعترف بالخطة الكاملة لتفجير القديسين بالساعة والدقيقة.

على الفور ولهول ما سمع عمر سليمان،اتصل بالرئيس مبارك،وحكى له ما رآه وسمعه فى التسجيل الصوتى،قال سليمان لمبارك: إنه لا يستطيع أن يتصل بحبيب العادلى حتى لا يعتبر هذا تدخلا فى عمله،وأنه يفضل أن يتولى الرئيس إخباره بنفسه.

المفاجأة كانت فى رد مبارك بالطبع،فقد قال لعمر سليمان:أنت مش عرفت خلاص.

توقع عمر سليمان أن يعمل الرئيس من خلال وزير داخليته على إيقاف المذبحة،لكن أحدا لم يهتم بالأساس،وهو ما يوحى – من أبواب معينة – بأن مبارك نفسه ربما لم يكن بعيدا عن التخطيط لمذبحة القديسين،لينقذ نظامه،رغم أن مذبحة القديسين فعليا هى القشة التى قصمت ظهر نظام مبارك،فلأول مرة يخرج المسلمون والأقباط فى مظاهرات تندد بالمجزرة.

***

إننى أعترف أن أمن الدولة لم يكن وحده المجرم فى حادث القديسين،فقد كان هناك مجرمون آخرون،وقد أشرت إليهم جميعا.

فقد رصدت أنه وفى الساعات الأوى بعد وقوع مجزرة كنيسة القديسين فى الإسكندرية،أن الخطاب الرسمى المصرى خرج هادئا،محاولا أن يكون متوازنا،مخففا من الصدمة ومهونا من شأنها،رغم أن الحدث كان جللا،وإذا كانوا يقولون ليس من سمع كمن رأى،فإن من شهد الواقعة رأى العين لا يزال يعيش فى رعب وفزع أعتقد أنه لن يغادره للأبد.

لكن وبعد أن خرج الرئيس مبارك معلنا الحرب على الإرهاب تغيرت اللهجة تماما – وهى عادة المسؤولين ولن يشتروها،وحاول الكثير من المسؤولين أن يضعوا الحدث فى حجمه الذى يستحقه.

فما كان لهذا العمل الإجرامى أن يمر مرور الكرام ،ليس من أجل المسيحيين فقط،ولكن من أجل الجميع،فالتفجير الذى حدث فى الإسكندرية ،يمكن أن يتكرر فى أى مكان على أرض مصر،وبدلا من أن يصبح القتلى مجهولين بالنسبة لنا لا نعرفهم،يصبح القتلى أنا أو أنت أو أولادنا أو أولادك.

حسنا ما فعله وما قاله الرئيس ،فالحرب على الإرهاب لابد أن تبدأ وبقوة،خاصة أن هناك من أعلن عن نفسه وبوقاحة منقطعة النظير.

ولأنه لا خير يأتى من الإنترنت،فقد خرجت الوقاحة والفجاجة والإجرام من الإنترنت،تحديدا من الشبكات الغامضة اتى ترتدى رداء الإسلام وتتحدث باسمه.

هل سمعتم عن شبكة تطلق على نفسها «شموخ الإسلام»؟

هى شبكة إليكترونية بعد ساعات من وقوع حادث الإسكندرية استقبل أعضاؤها والمتعاطفون معها الخبر وكأنه فتح من الله عظيم، فرحوا واستبشروا وأعلنوا إعلانا لا مواربة فيه ولا مدار ة له بفرحهم لأن الله كما يقولون أخذ بحقوق الأسيرات المسلمات فى الأديرة والكنائس.

المسؤولون عن الموقع بكل إجرام يخلو من أى إحساس بالإنسانية أطلقوا على ما جرى فى سيدى بشر بأنه «غزوة الإسكندرية»....فى تباهى غريب مع الغزوات التى قام

بها المسلمون فى صدر الإسلام،وكأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب رسالة،رغم أن كل رسالتهم فى الحياة هى القتل والتدمير،وهى أمور الله بريء منها ولا يعرف أصحابها

الغريب أن رجال هذه الشبكة -هذا إذا كانوا رجالا من الأساس- بدو أشد تطرفا وإرهابا من شيوخ كنا نلوم عليهم أنهم زرعوا الإرهاب من خلال فتاويهم المتطرفة.

لقد سارع الشيخ محمد حسان وأفتى بأن من نفذ حادثة الإسكندرية ليس مسلما،وهذا أقل ما يقال عنه بالفعل.

لكن جهابذة شبكة شموخ الإسلام يرفضون ما ذهب إليه محمد حسان،يقول أحد الأعضاء عن حسان:«حق له أن يسمى بالشيخ إن كانت المشيخة فى انتفاخ البطون ولبس البياض والنوم فى هدوء مع زوجته، ونساء المسلمين فى سجون أعداء الله ورسوله يسب ليل نهار ، وكتاب الله يرمى به فى القاذورات وأمهاتنا يغتصبن فى كثير من البلدان.

وحسان يقول اتركوهن للرحمن،وعليكم بالدعاء ،فإن الله منان وأما الجهد والجهاد فهو ليس فى مصلحة أتباع العدنان،بل هو ضرب فى دين الأوطان،فصار المسيحى المصرى يؤخذ فى الأحضان والأخ المجاهد الأفغانى لا،فهو من الطالبان، والطالبان لا تدين بدين الأوطان،بل دينها لا يعرفه أمثال حسان وإخوانه».

ويكتمل الطعن فى حسان لأنه أخيرا قال كلمة حق:«إن حسان لم يعد يفرق بين القرآن والدستور،وبين حزب الرحمن وحزب الأوطان».

هل رأيتم بجاحة أكثر من هذا،إن الشيخ محمد حسان عاد إلى صوابه وإلى رشده،وقال قولة حق،كان لابد من الاحتفال بها والاحتفاء بقائلها،لكنهم أهالوا عليه التراب ولعنوه،كما كان يفعل مريدوه مع من يخالفونه الرأى.

وعلى خطا شبكة شموخ الإسلام التى هى إهانة كاملة للإسلام، يأتى رجال شبكة المجاهدين،ولا أعرف بأى أمارة هم رجال وهم يتخفون عن العيون ويحرضون من خلف الشاشات الصماء،تجاوزت شبكة المجاهدين،فهى تحرض على تفجيرات جديدة فى الكنائس المصرية،وكأن التفجير الذى جرى فى الساعات الأولى من العام لا يكفى لإرواء عطشهم للدماء.

تعلن الشبكة فى بجاحة منقطعة النظير أن ما حدث فى الإسكندرية ليس إلا أول الغيث،ويوجهون دعوة أغلب الظن إنها إلى البابا شنودة شخصيا،يقولون له فيها:«سلم أسرانا...وأسلم تسلم فالسيف بيننا».

هذه الدعوة ليست غريبة على الإطلاق عما تخطط له شبكة المجاهدين ولا عما يريده أصحابها،فقبل أسبوعين من حادث الإسكندرية الآثم نشرت الشبكة خريطة بمواقع وعناوين الكنائس المصرية المستهدفة فى احتفالات رأس السنة،وكان من بينها كنيسة القديسين،وهو ما يعنى أن الأمر كان مخططا له بعناية،وأن من فعل،كان يعى ما يفعله جيدا،فلا شيء يأتى صدفة على الإطلاق.

بجاحة المجاهدين الوهميين والواهمين تتواصل،فهم يوجهون رسالة واضحة وصريحة يقولون فيها:«نعم فأول الغيث قطرة،نعم لأجل امرأة مسلمة تجيش الجيوش من المسلمين،وإن أبيدت عن بكرة أبيها،أسوة بالرسول صلوات الله عليه وسلامه،تقبل الله منكم يا شباب مصر الأبى يا غيارى يا موحدون،هكذا يكون الكلام مع الأقباط».

إنه لم يكن كلام يا كلاب جهنم،كان قتلا وتشويها وتمثيلا بالجثث،ولا يحق لكم أن تقولوا : إن الرسول لكم أسوة...فلا أسوة ولا قدوة للمجرمين وسافكى الدماء،فأنتم قدوتكم الشيطان ....هو مولاكم وبئس النصير.

ولا تتوقف شبكة المجاهدين الواهمين والوهميين عن التحريض،فهى تدعو الشباب أن يقوموا،فهم شباب مصر الأباة،لأنه على ما يبدو أن لديهم مهمة يعتبرونها مقدسة ونعتبرها نحن مدنسة.

يقولون للشباب:«كونوا فداء لله،فلا ولن يضيركم الكفرة الظلمة المجرمون،فالجنات التى عرضها السموات والأرض هى الجزاء،أعدت للمتقين الموحدين المؤمنين الغيارى البررة».

رسالة القتل والدماء لا تزال تتواصل،لكنها هذه المرة موجهة إلى الأقباط،يقول المجاهدون الفاسدون:«ليس بيننا وبينكم يا أقباط المهجر والداخل إلا السيف،فقد انتهى وولى زمن المهادنات والتسامحات إلى غير رجعة،وما بدأناكم ولكن أنتم من

بدأ،وأنتم من تعاليتم وأطلقتم ألسنتكم بحق المسلمين والرسول صلوات الله عليه وسلامه،وأنتم من أسرتم وعذبتم إخواننا وأخواتنا الذين أسلموا لله الواحد القهار ولى المؤمنين هازم الأحزاب والكفار والمشركين فلا تلوموا شباب المسلمين الغيارى».

ليس صحيحا ما يقوله المجاهدون الفاسدون،فهم من أساؤوا إلى وجه الإسلام،وهم من أرغموا المسيحيين على أن يخرجوا فى مظاهرات حاشدة،فليس كثيرا على من نقتله أن يصرخ ويعترض على الظلم.

لكن من أوصل هؤلاء المجاهدين إلى هذه الدرجة من الحمق والتعالى والكذب على الجميع،إننى لا أعفى أحدا من المسؤولية،فعلى مدى ما يزيد على أربعين عاما والفتاوى التى تستهدف الأقباط لا تتوقف،فتاوى بتكفيرهم،وفتاوى بتحريم بناء كنائسهم،وفتاوى بتحريم دفنهم فى مقابر المسلمين.

وإذا أردتم فتوى واحدة،فهذا مثال واضح ....أورده شيخ السلفية الأكبر أبو إسحاق الحوينى فى إحدى خطبه الكثيرة،سأله أحدهم:هل يجوز أن ألقى السلام على المسيحى؟.

وكان رد الحوينى نصا:إذا قابلت النصرانى فلا تحييه بتحية الإسلام،قل له أى تحية،صباح الخير أو صباح الفل،وإذا وقع فى مشكلة لا مانع أن أقدم له يد المساعدة،لأن الرسول ﷺقال:«دخل رجل الجنة فى كلب سقاه».

هل رأيتم إلى أى مدى تصل عدم اللياقة،لم يكن كلام أبي إسحاق الحوينى جديدا،قاله من قبله عمر عبد الكافى فى منتصف التسعينيات وقامت الدنيا عليه ولم تقعد،ولم تنته الأزمة إلا بعد أن ذهب واعتذر إلى البابا شنودة فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية،وكان بصحبة وزير الأوقاف محمد على محجوب.

لكن أبو إسحاق الحوينى وغيره قالوه،دون أن يعترض عليهم أحد،لم يقل لهم أحد هذا عيب أو أن ما تقولونه حرام وكفر ولا يليق،ويمكن أن يخلق جيلا لا يعرف العقل،وسيسعى إلى قتل الأقباط دون أن يشعر ولو بوخزة من ضمير،فلديه الغطاء الشرعى من شيوخه.

الأزمة هنا ولا يجب أن نفلتها على الإطلاق.

إننى لا أتهم الشيوخ أو الجماعات الإسلامية بأنهم من نفذوا مجزرة الإسكندرية،فهذا أمر سابق لأوانه، لكنني لا أعفيهم مطلقا من مسؤولية ما جرى، فقد زرعوا الأرض بالتطرف، فكان طبيعيا أن نحصد جميعا الأحزان، التى لا يستطيع أن يتحملها بشر.

الآن خرج الجميع ليقدموا فتاويهم التى تجاهد التطرف.

شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب يقول فى بيان له :إن هذا العمل محرم شرعا،وأن الإسلام أوجب على المسلمين حماية الكنائس كما يحمون المساجد.

مفتى الجمهورية الدكتور على جمعة قال كلاما مشابها.

الجماعة الإسلامية أدانت مرتكبى الحادث،وقال متحدثهم الرسمى: إن من نفذوا هذه الجريمة يخالفون تعاليم الإسلام التى تحرم التعرض لدور العبادة حيث أقر الإسلام حماية أهل الكتاب ، وحرم الاعتداء على المدنيين فى الحرب، فكيف يباح من أشخاص بارتكاب هذه الجريمة المروعة.

حتى الجماعات السلفية أصدرت بيانا تستنكر فيه الجريمة البشعة،وتعلن من خلاله أن المنهج الإسلامى الذى تتبناه هذه الجماعات والقائم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يرفض هذه الأساليب التى تخدم أهداف من لا يريدون بمصرنا خيرا.

أين كان هؤلاء جميعا والفتاوى التى تحرق الأقباط وتكفرهم وتعتدى على حرماتهم تتلى من على منابر المساجد وتتعاقب فى الفضائيات؟

أين كان هؤلاء والتطرف يمرح فى كل مكان فى مصر ..قاصدا الأقباط ولا أحد غيرهم؟

هل أفاقوا الآن؟

للأسف الشديد لقد أفاقوا بعد أن فات الأوان، فالتطرف المتأسلم أخرج الغضب القبطى من جعبته، ولا أعتقد أن هذا الغضب يمكن أن يخبو أو يتوارى،إن هناك من يطالب بالانتقام....بالقتل ...بالترويع،وهؤلاء لا يمكن أن نلومهم...فلا يمكن أن تذهب لأهل قتيل لتلومهم على أنهم يريدون القصاص..فهذا أقل العدل.

إن الفتوى التى لابد أن تصدر - رغم أننى أعرف جيدا أن المسيحيين لا يريدون فتاوى الآن ولا ينتظرونها ولا يعترفون بها - هى فتوى تعلن أن دماء الأقباط حرام ....من يعترض طريقهم يغضب الله عليه، من يستحل دماءهم ملعون ولابد أن يقتل على الفور بلا رحمة ولا هوادة.

ستقولون أن شيوخ السلفية وشيوخ الأزهر وكل الشيوخ فى الدنيا فعلوا ذلك ..أقول لك: إنهم فعلوه بعد أن خربت مالطة.

ثم إن الفتوى التى أريدها ...ليست من الشيوخ، فهؤلاء من الآن يجب ألا يكون لهم شأن بنا، ليتركونا نعيش حياتنا بعيدا عن تطرفهم وتحجرهم وعدائهم وخصامهم للحياة.

إن الفتوى التى نريدها جميعا فتوى قانونية...القانون الذى يحكمنا جميعا، الذى يتعامل مع الجميع على أنهم مواطنون لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات...لا مكان للتفرقة على أساس الدين، فلا حاجة لنا لأن نقول: إن هذا مسلم وهذا مسيحى...هذا تخلف مطلق لابد أن نتخلص منه.

لقد فزع شيوخ التطرف عندما رأوا أن الغرس الذى غرسوه طوال السنوات الماضية كان نتيجته القتل والذبح ..مجزرة سيظل المصريون يذكرونها طويلا، لن يتخلصوا من كابوسها بسهولة....ولذلك سارعوا للتخلص من آثار الدماء التى ستظل تطاردهم إلى قبورهم.

إن الأحزان التى يعيشها المصريون لا يمكن لأحد أن يتحملها أو يستوعبها....لم أر حزنا عاما وشاملا،مثلما رأيت بعد أن وقعت مجزرة الإسكندرية...لقد شعر الجميع أن الحياة تتفلت من بين أصابعهم ...تنتهى ..تتلاشى ..فلا قيمة لشيء.. أى شيء ...حتى الكلام لم يعد له أى قيمة،فما الذى يمكن أن يقدمه الكلام للقلوب المكلومة والنفوس الجريحة والأرواح التى أصبحت كسيحة...لا شيء.

زهقنا جميعا من الكلام..لكن ولأننا لا نملك غيره..فسنظل نحارب بالكلمة،كل من يريدون أن يدخلونا إلى القبور ..رغم أننا نستحق الحياة، من يحرمون علينا عيشتنا ويريدون أن يقتلوا البسمة ويخطفوا الفرحة...هؤلاء ليس

لهم إلا الموت ...فحاربوا جميعا من أجل أن نبقى ..على الأقل من أجل أن نبقى.

***

هنا ملمح لابد أن أسجله هنا...فليس بعيدا أن تكون المواقع المتطرفة التى هاجمت وحرضت وشمتت من صنع جهاز أمن الدولة،فطالما أنه نفذ المجزرة،فكان ضروريا أن يكون لديه غطاء يحتمى به ويلفت به الانتباه عنه.

لا أقول : إنه حرض أصحاب هذه المواقع،بل أذهب إلى أن هذه المواقع من صنعه هو ...فالتطرف فى النهاية كان من صنع أمن الدولة،وكثيرا ممن كانوا ينتمون إلى الجماعات الإسلامية كانوا يتعاملون مع الجهاز،ولن أتجاوز إذا قلت أنهم كانوا عملاءه.

***

على خريطة أمن الدولة ظهرت شخصية لا تزال مريبة وملتبسة هى شخصية الشيخ أبو يحيى...الذى كان بطل قصة كاميليا شحاتة ....ثم ظهر بعد ذلك وبقوة فى أحداث كنيسة إمبابة.

ففى ٢٠ يوليو ٢٠١٠ تم تسجيل هذه المكالمة بين الشيخ أبي يحيى وأحد ضباط أمن الدولة.

أبو يحيى: مين؟

الضابط: أنا الضابط «ح» من أمن الدولة بالمنيا.

أبو يحيى: أهلا يا باشا

الضابط:كاميليا معاك.

أبو يحيى: كاميليا مين ؟

الضابط: دى واحدة هاتجيلك ...لو جت لك يا أبي يحيى اتصل علينا.

أبو يحيى:حاضر يا باشا

بعد دقائق يتلقى أبي يحيى مكالمة أخرى من رئيس مكتب أمن الدولة بالمنيا.

أبو يحيى:أهلا يا باشا.

الضابط:كاميليا معاك.

أبو يحيى: لا يا باشا ده حاتم بيه لسه سائلنى نفس السؤال حالا..حضرتك ليه بتسألنى أنا بالذات.

الضابط: احنا عرفنا إن ميولها إسلامية واحتمال تجيلك.

أبو يحيى:خلاص لو جتلى هاديلك خبر.

لا تهمنى قصة كاميليا شحاته زوجة كاهن دير مواس تداوس سمعان،فقد جرت فيها وبها أكبر عملية خداع وعبث،وصلت رغم تهافتها إلى أن أصبحت أيقونة للصراع بين المسلمين والمسيحيين،وخرجت مظاهرات حاشدة يطالب فيها السلفيون بأختهم كاميليا.

وحتى عندما خرجت عليهم أختهم كاميليا تتحدث وهى إلى جوار زوجها أنها لم تخرج عن دينها أبدا،أصر السلفيون مرة على أنها ليست هى،ومرة ثانية أنها أجبرت على العودة إلى المسيحية مرة أخرى،وطالب البعض بتفتيش الأديرة لتحرير كاميليا وأخواتها من الأسر المسيحى.

لكن ما يهمنى أن الشيخ أبو يحيى كان متجاويا للغاية مع رجال أمن الدولة،بل إنه وعد رئيس مكتب أمن الدولة بالمنيا،أنها لو جاءت إليه فإنه سيخبره بذلك.

ما جرى فعلا أن أبا يحيى راوغ أمن الدولة،فعندما ذهبت كاميليا شحاته إليه – طبقا للرواية الإسلامية للحكاية بالطبع – ذهب بها إلى مشيخة الأزهر لتعلن إسلامها من هناك.

لكن يبدو أن أمن الدولة كان قد عرف بما يفعله أبو يحيى،فعندما ذهبوا إلى الشيخ المسؤول عن إشهار الإسلام،تعلل بأن الوقت تأخر،وطلب منهم أن يأتوا فى اليوم التالى وهو الخميس ٢٢ يوليو ٢٠١٠.

فى اليوم التالى لم تتمكن كاميليا من إشهار إسلامها،فقد كانت بياناتها لدى لجنة الإشهار التى تشاجر أحد أعضائها مع أبى يحيى،وطبقا لتقارير السلفيين عما جرى،خرج أبو يحيى مع كاميليا وركبا تاكسى وذهبا إلى مقر عمل أبى يحيى «المركز الدولى لاستيراد وتعليم صيانة المحمول»،فى منتصف شارع عبد العزيز بالقاهرة،وكان أبو بكر فيصل المحامى قد سبق أبو يحيى وكاميليا إلى المركز

الدولى بسيارة أبو يحيى،وجلس الثلاثة هناك إلى أن انصرفوا فى الحادية عشر مساء،متجهين إلى مسكن أبى يحيى،وأثناء سيرهم أمام محطة الأوبرا،كان أبو يحيى على اتصال بزوجته،إلا أن الاتصال انقطع بينهما.

فى اليوم التالى الجمعة ٢٣ يوليو اتصل أبو يحيى بزوجته وأخبره أن أمن الدولة ألقت القبض عليه هو وكاميليا والمحامى،لكن أبو بكر فيصل كان قد أفرج عنه بعد أن تأكدت مباحث أمن الدولة أنه لا علاقة له بموضوع كاميليا من الأساس....وفى يوم الجمعة أعلنت الكنيسة أن كاميليا عادت إلى الكنيسة وأنها كانت لدى أقاربها فى القاهرة.

بعد ٢١ يوما كاملة سر أبو يحيى الذى أفرج عنه من مقر أمن الدولة،لم يصمت الرجل بل أدلى بشهادته على ما جرى إلى موقع «المرصد الإسلامى»... وهو موقع متخصص فى التصدى لعمليات التنصير التى تجرى فى مصر،أو ما يتوقع أنها تجرى.

قال أبو يحيى عن لحظة القبض عليه:« بينما نحن الثلاثة أنا وكاميليا والمحامى أمام محطة مترو الأوبرا وجدنا الطريق مغلقا،وأحاط بالسيارة مجموعة من الرجال يرتدون ملابس مدنية،ضربونى على رأسى وذهبوا بنا إلى مبنى أمن الدولة، وقام بتخييط رأسى ثلاثون غرزة ضابط طبيب ويدأ التحقيق معنا».

يكمل أبو يحيى ما جرى:« سألوا كاميليا: أبو يحيى اختطفك؟ قالت:لا أنا اللى رحت له بإرادتى ليساعدنى فى أو ق .شهار إسلامى،وأنكرت معرفتها بالمحامى أبو بكر فيصل،أمرنى الأمن أن أتصل بزوجتى،لتسليم شنطة ملابس كاميليا مع مخبر لرفض القساوسة استلامها بالنقاب،ونقلونى ليبدأ التحقيق معى».

كشف أبو يحيى ما قال :أنه حدث معه:« تم تجريدى من ملابسى،وتعصيب عينى وكهربونى فى أماكن حساسة فى جسدى،وهددونى بأنى لن أرى النور إذا حدثت أحدا بإسلام كاميليا أو أنها جاءتنى أصلا».

لا يمكن أن تفصل فى شكل العلاقة بين أبى يحيى وأمن الدولة،فالمسافة بين طلبهم منه التعاون وإخبارهم إذا ما أتته كاميليا ...ثم إلقاؤهم القبض عليه وتعذيبهم وتهديده طويلة وغامضة جدا.

لكن المفاجأة أن أبا يحيى ظهر مرة أخرى فى حادث إمبابة ....وهذه قصة طويلة لابد أن تروى ...لأن أبو يحيى لم يكن وحده.

الثامنة مساء السبت ٧ مايو ٢٠١١،كان الموعد الذى ستظهر فيه كاميليا شحاته والقس تداوس سمعان كاهن كنيسة دير مواس على قناة الحياة التبشيرية التى تبث من قبرص،لتعلن أنها لا تزال مسيحية،وأنها لم تدخل الإسلام أبدا،وأنها تعيش مع زوجها وابنها الصغير أنطون...فى انفراد للمذيع المغربى المتنصر رشيد الذى يقدم برنامجه «سؤال جرئ» على شاشة القناة منذ سنوات.

كانت الكنيسة قد غسلت يديها من قضية كاميليا كلها،وأعلن البابا شنودة فى جلسة خاصة حضرها سكرتيره الخاص الأنبا أرميا أنه لن يدخل مع السلفيين فى مواجهة،فهو لو طلب من كاميليا أن تظهر،فإن السلفيين لن يقتنعوا بذلك،ستكون لهم مطالب أخرى ....فهو يعرفهم جيدا،فالهدف بالنسبة لهم ليس كاميليا ..ولكن كسر أنف الكنيسة،وإذا ظهرت كاميليا وقالت: إنها مسيحية،فمؤكد أنهم سيبحثون عن ضحية أخرى،تكون حجتهم فى مواجهة الكنيسة.

لم يكن البابا شنودة يقرأ الغيب أو يضرب الودع،فهذا ما حدث تماما،وبدقة متناهية....لكن فى إمبابة هذه المرة.

فى اللحظة التى ظهرت فيها كاميليا،كان القمص عبد المسيح بسيط معى على التليفون ليقول لى : إن السلفيين الآن يهاجمون كنائس إمبابة،بحجة أن هناك فتاة محتجزة فى إحداها ...وأنه يسمع ضرب النار ...وأن هناك من أكد له أن السلفيين صعدوا إلى بيوت الأقباط وأنهم يلقون بهم من البلكونات.

كان ما نقله لى عبد المسيح بسيط – رغم انفعاله – جزء فقط من الصورة، فما كان يحدث على أرض إمبابة وقتها – المدينة التى كانت فى التسعينيات مقرا ووكرا للجماعات الإسلامية – كان أشبه بالحرب الأهلية التى تدور رحاها بين المسلمين والأقباط،دون أن يمنح أحدهم فرصة للعقل أن يتدبر الأمر.

لم تنته الحرب حتى خلفت وراءها وبالأرقام ١٢ قتيلا و٢٤٢ جريحا و٣٠٠ معتقل،تم تحويل ١٩٠ منهم للنيابة العسكرية،من المنتظر أن تصدر ضدهم

أحكام خلال أسبوع على الأكثر – بعد حوالى ١٠ شهور تم الإفراج عن كل من قبض عليه على ذمة أحداث إمبابة – .

القصة بدأت كما رواها أطرافها المتناقضون،بحكاية عبير طلعت فخرى التى أسلمت وتريد الكنيسة أن تعيدها مرة أخرى، وياسين ثابت الذى حاول أن يحررها من أسر الكنيسة.

توجه ياسين إلى إمبابة ليحررها بنفسه،اجتمع حوله مجموعة من السلفيين،الذين هاجموا كنيسة العذراء فى منطقة البصراوى بشارع الأقصر،ثم توجهوا إلى كنيسة العذراء بشارع الوحدة وأحرقوها،بعد أن سرت شائعة بأن المسحيين يحرقون مسجد التوحيد المقابل للكنيسة فى نفس الشارع.

الأقباط قالوا : إن السلفيين هم من بدؤوا بإطلاق النار،والسلفيون قالوا :إن الأقباط هم الذين بدؤوا الهجوم من شرفات بيوتهم التى تحيط بالكنيسة،وأنهم أطلقوا النار،وهو ما استفز السلفيين ومن يقفون معهم،فبدأت الحرب بين الطرفين.

إذا تركنا أنفسنا لما يقال ويتردد فلن نصل إلى الحقيقة أبدا.

فالحقيقة الآن فى مصر هى تلك التى لا يمكن أن يصل إليها أحد.

ولذلك فإن الحدث بتفاصيله لا تهمنا،ولكن يهمنا من يقفون خلفه ويشعلون فيه النار ..وهنا لا نبرأ أحدا ..فالكل متهم ..والكل مدان ..والكل يجب أن يعاقب .. فالحرب التى دارت على أرض إمبابة وقعت بين العناد القبطى الضخم والتشدد السلفى،وهو تشدد تحول إلى بلطجة متناهية ..بعد أن وقف المجتمع كله عاجزا أمام ممارسات السلفيين..وهو ما يجعلنا ننظر إلى ما جرى هناك من زوايا مختلفة..لكنها أوضح من حالة التيه التى يريد الجميع أن يدفنوا الموضوع فيه،فلا نصل إلى حقيقته أبدا.

***

بعد ساعات من اندلاع أحداث إمبابة خرج الشيخ عبد المنعم الشحات،الذى يقدم نفسه على أنه المتحدث باسم الدعوة السلفية بتعليق،قال فيه : إن أحداث إمبابة كانت فخا للسلفيين،وأن هناك من استدرجهم من أجل أن يقعوا فيها،ويصبحوا أمام المجتمع من فعلوها،رغم أنهم منها براء.

تعليق الشحات لم يكن وحده رد فعل الدعوة السلفية،ولكن كان هناك بيانٌ من شيوخها الكبار،حمل توقيع كل من الشيوخ محمد عبد المقصود، ومحمد حسان وصفوت حجازى (الذى قدم نفسه هذه المرة على أنه سلفى رغم أنه أعلن أكثر من مرة سابقة أنه ليس من الجماعة السلفية) ومحمد عبد السلام.

ركز بيان السلفيين الذى صدر صباح اليوم التالى للأحداث مباشرة ٨ مايو على استنكار الدعوة السلفية للأحداث الدامية التى وقعت فى إمبابة من سفك الدماء المعصومة واستعمال للأسلحة النارية وغيرها،وحذر شيوخ السلفية من دفع البلاد إلى هاوية الفتنة،مؤكدين على أهمية التعايش السلمى بين المسلمين والأقباط الشركاء فى وطن واحد.

وكما استنكر شيوخ السلفية ما جرى،فقد استنكروا وبنفس الدرجة موقف الإعلام المغرض (هم أطلقوا عليه كذلك) الذى يزج باسم السلفية فى مشاكل ليست من صنعهم ولا توجيههم ولا منهجهم فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والاجتهاد فى نفع المجتمع والحض على سلامة أفراده.

ولم ينس شيوخ السلفية أن يغمزوا ويلمزوا فى موقف الأقباط،حيث أكدوا خطورة الإستقواء بالخارج (عدد من الأقباط لجؤوا إلى السفارة الأمريكية بعد الأحداث وطالبوا بحمايتهم دوليا مما يجرى لهم على يد السلفيين) وجريمة المطالبة بالتدخل الأجنبى فى شؤون مصر،فأبناء مصر – كما يقولون – قادرون على حل مشاكلهم بأنفسهم وحماية جميع أبناء البلاد على اختلاف أديانهم.

أبرأ شيوخ السلفية بعد ذلك ذمتهم أمام الله والوطن، فقدموا حلا للأزمة،حيث قالوا:نؤكد أن العلاج لمثل هذه المشاكل إنما هو فى بسط سلطة الدولة على جميع الأماكن والأفراد،وألا يكون أحد فوق المساءلة القضائية على ما يرتكب من مخالفات،وضرورة التخلص من ممارسات النظام السابق الذى أشعل الفتنة بتسليم مواطنين مصريين لجهات ليس لها حق احتجازهم (لاحظ هنا أن حسان ورفاقه يغمزون ويلمزون مرة أخرى بأن الأقباط يحتجزون فى الأديرة مسلمات،وأن ذلك تم بمساعدة نظام مبارك ...وهذا هو سبب الفتنة فى الأساس).

طالب شيوخ السلفية أيضا بضرورة جمع الأسلحة خاصة النارية من جميع من ليس لهم صفة شرعية فى حملها وضرورة تفتيش المساجد والكنائس والمؤسسات (وضع الشيوخ المساجد فى سياق البيان من باب زر الرماد فى العيون فلم يقل أحد من الأقباط أن المساجد بها أسلحة...لكن العكس هو ما يقال دائما) للبحث عن الأسلحة ومصادرتها لمنع ارتكاب الجرائم الدموية،كما طالبوا أيضا بمحاكمة عاجلة سريعة للمشتركين فى سفك الدماء بغير حق وإنزال العقوبة الرادعة بمن تثبت إدانته.

بيان شيوخ السلفية رغم وضوحه، إلا أنه يعزف على نفس النغمة التى تشير إلى أن أيدى السلفيين نظيفة مما جرى،وأن هناك من خطط ودبر وأحكم الفعل،ثم جاء من يلفق التهمة للسلفيين،وهو تلفيق محض وكذب مفضوح ...وتدليس مقصود،وكأنى بالجماعة السلفية وشيوخها الكبار مثل جهاز أمن الدولة السابق الذى كان يقتل القتيل ثم يمشى فى جنازته،فهذا ما فعله محمد حسان ورفاقه فى بيانهم، فقد قتلوا القتيل- أو على الأقل حرضوا عليه.

***

لن نضع أيدينا على اتهامات مرسلة،أو كلام معاد ومكرر عن تورط السلفيين فى معركة إمبابة،فلدينا تسجيل بالصوت والصورة،اطلع عليه الكثيرون من المصريين عبر موقع اليوتيوب الشهير،وعلى صفحات الفيس بوك التى تداولته بصورة كبيرة خلال الأيام الماضية.

الفيديو يظهر فيه شيخ سلفى شاب،يتحدث لمجموعة تقف إلى جواره يقول (والكلام نصا):«احنا سمعنا إن فيه أخت محتجزة فى كنيسة،زى اللى بيحصل فى العادة،الكنائس دلوقت بقت عبارة عن عصابات،مافيا للأسف،أى واحدة تسلم،فالكنيسة برئاسة الكلب النجس شنودة،والكلمة دى لازم تطلع (موجها كلامه لمن يسجل معه) واخد بالك،احنا رايحين عشان نحل،رايحين وواخدين مجموعة من المشايخ،داخلين جوه قلب الكنيسة عشان نحل الإشكال،لكن ولا قسيس اتحرك.

واحد تقول له:احنا جايين نحل،يقول :حتى انتم لو عاوزين تحلوا إحنا عاوزنها تولع نار....كده فى وشى، ده حدف على ده ...وده حدف على ده،هم

معاهم نار وأسلحة،دايما بنقول إن الكنائس مليانة أسلحة،والمسلم يعنى مسكين معاه قزازة بيحدفها، إنما النصرانى معاه نار،(يوجه كلامه إلى من يحيطون به) سامعين كلكم يا مسلمين...واخدين بالكم ...النصارى كلهم معاهم أسلحة واحنا مغفلين ...احنا كمسلمين مغفلين....انتم سامعين،ضرب النار كله جاى من كلاب النصارى،من ناحية الكنيسة،المسلم يا عينى رايح بطوبة،فمنبقاش رجالة لو ما ولعناش الكنايس كلها اللى فى إمبابة». ينتهى الفيديو بأن ينصرف الشاب السلفى متوجها لينفذ تهديده ووعيده على ما يبدو.

الشاب السلفى لم يكن إلا الشيخ أشرف أبو أنس الذى يتم تعريفه على المواقع السلفية نصا بأنه:«أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن....مصرى وعمل فى دار هجر قسم اللغة العربية،وهو من طلبة العلم الجيدين،وعنده همة عالية وذو أدب جم (لا حظ أن هذا الرجل الذى يوصف بأنه ذو أدب جم وصف البابا شنودة بأنه كلب نجس وقال على النصارى أنهم كلاب)،وغيور على العلم والعلماء،وعنده اهتمام خاص بكتب ودروس الشيخ ابن عثيمين (أحد شيوخ الوهابية الكبار فى السعودية)،فطلب العلم من فترة على أيد بعض المشايخ،ثم عكف على أشرطة الشيخ بن عثيمين قبل أن تطبع،وكان يفرغها ويعلق على مواطن للتوضيح أو يذكر رجوع الشيخ عن المسألة،فهو يكاد يحفظ كلام الشيخ كله وفتاويه،فخرج له شرح نظم الورقات،وشرح الأجرومية،وله بحث عن حكم المشى بين القبور بالنعال فى موقع المشكاة،وله مقال عن أهمية علم اللغة فى موقع الألوكة وغيرها،وهو من منطقة إمبابة فى الجيزة،ويعطى أكثر من محاضرة فى أكثر من مسجد».

إننى لا أعرف أشرف أبو أنس شخصيا،وقد يكون متخصصا فى علم النحو،فكنيته بالفعل هى النحوى،وقد يكون مدرسا جيدا رغم أنه خريج كلية التجارة،لكن ما قاله يجعلنى أعتبره واحدا من صناع الفتنة الطائفية فى إمبابة

***

فى حادث إمبابة ظهر أيضا اسم اثنين من السلفيين المعروفين بنشاطهما فى الملف القبطى،وهما الدكتور حسام أبو البخارى والشيخ أبو يحيى (هنا يظهر أبو

يحيى مرة أخرى) ....وكل منهما كان معروفا قبل واقعة إمبابة ....وهو ما يحتاج إلى مزيد من التفصيل.

أبو حسام البخارى وبعد أحداث ٢٥ يناير،ظهر على السطح بائتلاف يسمى «دعم المسلمين الجدد»...،ويضم فى عضويته كل من الشيوخ : حافظ سلامة (السويس)،محمد عبد المقصود (القاهرة) ، عبد المنعم الشحات (الإسكندرية)، عبد المنعم البرى (جبهة علماء الأزهر) ،خالد حربى (المرصد الإسلامى)، على عبد الحميد (منتديات شباب الدعوة)،الدكتور هشام كمال (موقع حكاية كاميليا) ،أحمد عارف (جماعة الإخوان)،نزار غراب وعلاء علم الدين (مستشارون قانونيون) ، أبو يحيى مفتاح فاضل (الشاهد الرئيسى فى قضية كاميليا) ،و أصبح حسام أبو البخارى (موقع كاميليا شحاته دوت كوم) هو المنسق الإعلامى والمتحدث الرسمى باسم الائتلاف،ومن خلال بيانه التأسيسى،يمكن أن نعرف ما الذى يريده هذا الائتلاف.

يهدف الائتلاف الذى تأسس فى ٢١ مارس ٢٠١١،من خلال العمل على إدارة أزمة المسلمين الجدد إلى وأد الفتنة وقطع الطريق على مثيرى الشغب ومفجرى الفتنة الطائفية بفك أسر المسلمين الجدد المعتقلين لدى الكنيسة وعلى رأسهم الأخوات المسلمات،وهن : وفاء قسطنطين (أبو المطامير ....البحيرة)، ومارى عبد الله (زوجة كاهن الزاوية الحمراء)،و كاميليا شحاتة (ديرمواس .المنيا) ود.مريان مكرم (الفيوم)،د.تريزا إبراهيم (الفيوم) والأخت عبير إبراهيم (ملوي . المنيا) والأخ إيليا نبيل عياد (المطرية).

ويسعى الائتلاف كذلك إلى محاسبة كل من تورط فى خطف أو اعتقال أو تعذيب أى مسلم حديث الإسلام،وتوفير الحماية القانونية والحقوقية لكل من يريد اعتناق الإسلام.

أعلن الائتلاف فى البداية أنه سيلجأ إلى كل السبل الشرعية،وطرق كل الأبواب السلمية والقانونية لإدارة هذه الأزمة،إدارة تتحقق معها أهداف الائتلاف من خلال تنويع العمل،وتقسيم الجهود وفق القدرات والاختصاصات،ووضع الائتلاف أربعة محاور لإدارة الأزمة (والكلام لبيان الائتلاف نصا)هى:

الإعلامى... من خلال إثارة القضية بتركيز وكثافة فى شتى وسائل الإعلام، من خلال البرامج الحوارية المرئية على القنوات الفضائية،والصحف الورقية والمواقع الإليكترونية من منتديات ومدونات ومواقع التواصل الاجتماعية «الفيس بوك وتويتر»،وكذلك تنظيم المؤتمرات الجماهيرية الحاشدة للتوعية بالقضية وأبعادها الشرعية والاجتماعية والسياسية الحقوقى القانونى.... وذلك من خلال فريق عمل قانونى لمتابعة القضايا المرفوعة للأخوات الأسيرات، وجمع المستندات والوثائق والدلائل والشهود، والاتصال بمنظمات حقوق الإنسان، وكل ما من شأنه تحقيق العدالة القضائية وإعطاء الحرية المنشودة لإخواننا وأخواتنا الأسيرات.

التفاوضى.... من خلال التواصل الفعال والشفاف مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ورئاسة الوزراء، وجميع الهيئات والمؤسسات التى قد تفيد فى سبيل تحقيق الغرض المنشود.

السياسى..... وذلك عبر جميع وسائل الاحتجاج السلمى، وكل المتاح قانونا من طرائق الضغط على صناع القرار السياسى، بترتيب الوقفات والاعتصامات والتظاهرات السلمية، واختيار الوقت المناسب والمكان الملائم لها، والإعلان عنها قبلها بفترة زمنية مناسبة في المواقع الرسمية للائتلاف.

استند شيوخ الائتلاف إلى أنهم بعملهم هذا يمتثلون أمر النبى ﷺ حيث قال:فكوا العانى (الأسير)،كما أن علماء المسلمين جميعهم أجمعوا على وجوب استنقاذ الأسير وافتدائه عند القدرة،خاصة إذا كان هذا الأسير امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة قد تفتن فى دينها،وقد تتعرض لأذى نفسى وجسدى،لا لشئ إلا لاختيارها الحر لعقيدة ارتضتها من غير ضغط ولا إجبار.

ولأن البيان لابد أن يكون مثاليا جدا، فقد أشار إلى أن أعضاء الائتلاف سيكونون حريصين على وأد الفتنة وسد أبوابها ومنافذها،ومنع الفوضويين والمندسين والعبثيين من التسبب فى تعقيد الموقف وتصعيده،والدخول فى نفق مظلم لا يعلم المخرج منه إلا الله،موازيين دائما وأبدا بين قضيتهم المشروعة

وبين ما يحتاجه الوطن من استقرار.

ما حدث على أرض الواقع أن الائتلاف وتحديدا متحدثه الرسمى حسام أبو البخارى لم يلتزم بما قاله، فلم يكن تحركهم سلميا بأى حال من الأحوال،صحيح أنه قاد مظاهرات من أجل كاميليا،وأجرى اتصالات مع المسؤولين وعلى رأسهم المجلس الأعلى للقوات المسلحة من أجل كاميليا،لكنه فى قضية عبير بإمبابة لم يفعل ذلك.

وهنا يظهر الاسم الثانى وهو الشيخ مفتاح فاضل،الذى صنع منه الإعلام أسطورة،رغم أنه وكما بدا من وثائق أمن الدولة التى تم تسريبها،ومن خلال تصريحاته فى قضية إمبابة، لم يكن إلا عميلا من عملاء أمن الدولة الموجودين فى صفوف السلفيين.

قال أبو يحيى: إنه عرف بأن ياسين ثابت (الذى قيل :إنه زوج عبير المختطفة) اتصل بالدكتور حسام أبو البخارى وأخبره أن زوجته مختطفة ومحتجزة فى إحدى كنائس إمبابة،وأنه يريد أن يحررها،وأن الدكتور حسام أرسل له مجموعة من السلفيين ليساعدوه فيما يريد أن يفعله.

كان من السهل على أبي يحيى أن يعرف تفاصيل المكالمة بين ياسين وحسام،فهو زميل حسام فى ائتلاف دعم المسلمين الجدد،المفاجأة أن أبا يحيى كان من أخبر المجلس العسكرى بما سوف يفعله ياسين،لكن يبدو أنه تأخر فى الإبلاغ،والدليل أن قوات الأمن سواء من الجيش أو الشرطة كانت قد وصلت إلى إمبابة بعد أن وقعت الواقعة بالفعل.

لقد ظل الشيخ أبو يحيى مصرا على أن كاميليا شحاته ذهبت إليه فى بيته،وطلبت منه أن يساعدها فى إشهار إسلامها،وأنه عندما توجه بها إلى مشيخة الأزهر،اعتقله ضباط أمن الدولة،وأخذوا منه كاميليا وسلموها إلى الكنيسة،وهو ما نفته كاميليا شحاته تماما،فهى وكما قالت على قناة الحياة التبشيرية،لا تعرف أحدا اسمه أبو يحيى،وأنها لم تقابله،ولم تطلب منه أن يساعدها فى إشهار إسلامها.

وقد تردد أن أبا يحيى هذا كان أحد المتعاونين مع أمن الدولة،وأنه عرف بحكاية كاميليا وخلافها مع زوجها،وأنه من أبلغ أمن الدولة عنها،وأنه من قادهم

إليها،ومكنهم من أن يقبضوا عليها ويسلموها للكنيسة، ثم خرج بعد ذلك ليعلن أنه ضحية من ضحايا أمن الدولة.

كان هذا هو الظهور الوحيد لأبي يحيى فى قضية إمبابة،لكن حسام أبو البخارى كان موجودا فى إمبابة بشخصه،ومن خلال فيديو مستقطع من أحد برامج قناة الناس يتأكد لنا أنه كان موجودا فى إمبابة وقت الأحداث،بل إنه دعا المسلمين إلى أن يتوجهوا إلى إمبابة ليخلصوا أختهم المسلمة،وهو ما يؤكد أنه تخلى عن كل ما أورده فى بيانه السلمى، فقد قرر أن يحرر عبير بنفسه،وأن يساعد زوجها فى ذلك.

حسام أبو البخارى أصبح وجها معروفا لدى الأقباط،بل إنه يدخل معهم فى مناقشات مطولة،والانطباع الأول عنه لديهم أنه شخص يريد الاصطياد فى الماء العكر،وأنه يميل إلى العنف والتشدد،ولا يبدى أى مرونة فى المناقشة.

لقد جعل حسام أبو البخارى من قضية كاميليا شحاته قضية عمره،وعلى موقع«الأخ المسلم» وبتاريخ ١ مايو ٢٠١١،وجدت هذه التهنئة نصا:«رزق اليوم أخونا الدكتور حسام أبو البخارى بمولودته الأولى التى سماها كاميليا تيمنا بأن تكون هذه الولادة بشارة خير لولادة كاميليا الكبرى وخروجها من ظلمة الأسر،أخى الحبيب حسام بارك لك فى الموهوب وشكرا للواهب..وأسأل الله عز وجل أن يحفظ من بين يديك ومن خلفك وأن يجعل عاقبة أمرنا يسرا».

لكن لا أدرى الآن ماذا سيكون موقف الأخ حسام أبو البخارى بعد أن أعلنت كاميليا شحاته أنها لا تزال مسيحية،وأنها تعيش مع زوجها ...هل يمكن أن يغير اسم ابنته مثلا...يبدو أنه فقد الأمل فى كاميليا،ولذلك على الفور بحث عن قضية أخرى...ووجد ضالته فى عبير فتاة إمبابة التى قرر أن يساهم- بنفسه وبتحريضه للسلفيين الآخرين - فى تحريرها من أسرها.

***

هذه الواقعة بعيدة زمنيا عن واقعة إمبابة،لكنى أعتقد أنها وثيقة الصلة جدا بها ،وهى واقعة موثقة بالفيديو أيضا،بطلها هذه المرة الشيخ محمد الزغبى،وهو داعية سلفى،وإن كان لا يخفى انتماءه للأزهر،من خلال ظهوره من آن لآخر بزيه الأزهرى.

قبل حادثة إمبابة بعدة أسابيع وقف الشيخ الزغبى فى مظاهرة نظمها السلفيون أمام مسجد النور بالعباسية وعلى بعد خطوات من الكاتدرائية الكبرى بالعباسية،ليهدد ويتوعد،ويقول بالنص:«إذا لم تحل الأزمة (كان يقصد أزمة كاميليا شحاته) خلال عشرة أيام سوف أذهب إلى الأديرة مع الشباب لإخراج كاميليا ووفاء».

أثار تصريح الشيخ الزغبى الذى كان متحمسا للغاية الأقباط،وأشعرهم بالرعب،كان الرجل مستفزا وخارجا على القانون فى آن واحد،والغريب أنه كتب على موقعه توضيحا لتصريحه هذا قال فيه:«إعلان الشيخ محمد الزغبى أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة سيقوم بالنظر في القضية (اختفاء كاميليا شحاتة) وحلها وقد ذكر الشيخ أنه إذا لم يأخذ المجلس الأعلى خطوات إيجابية سيتم الانتقال للحل الثانى وهو اللجوء إلى القضاء والحل القانونى، وترك الحل الأخير، فى حالة فشل الحلول السابقة سنلجأ إلى التوجه إلى الدير لإخراجها سلميا بالتفاوض مع القائمين على الدير....وذلك لأن الشيخ ينبذ العنف ويدعو إلى حسن التعايش مع الأقباط ويوصى بهم خيرا ،وحلقات الشيخ خير دليل على ذلك، وفى ذلك يؤكد الشيخ أن المطالبة بإخراج كاميليا شحاتة هو من باب حقوق الإنسان لأنها مصرية فى البداية والنهاية ولا يحق لأحد احتجازها».

يكذب من كتب هذا التعليق كذبا واضحا لا لبس فيه،فالشيخ كان يهدد ويتوعد،ولم يكن هناك فى كلامه أى مساحة لنبذ العنف أو الكلام عن حقوق الإنسان،والفيديو لا يزال موجودا،لمن يحب أن يراه على اليوتيوب،ولا أدرى لماذا يريد الشيخ أن يستخف بعقول من يسمعون إليه،وكيف ستكون صورته بعد أن يعرف من سيسمعه أنه كان كاذبا.

لكن ما علاقة ما قاله الشيخ الزغبى بحادث إمبابة؟

إن العلاقة واضحة، فقبل تهديد الشيخ الصريح والواضح،كانَ السلفيون يقومون بمظاهرات ويتحدثون بالفعل مع الجهات المختصة من أجل إنهاء قضية كاميليا،لكن بعد كلام الشيخ أصبح هناك حل آخر،وهو أن يقوم أتباعه باقتحام الأديرة وإخراج المختطفات منها،وهو ما حدث فى إمبابة بالفعل، فقد اقتحموا الكنيسة من أجل البحث

عن عبير،ولا يستطيع الشيخ أن ينكر أنه مسؤول بشكل أو بآخر عما جرى.

إننا أمام تحرك واضح من قبل السلفيين ومن يسيرون على هواهم،فقضيتهم الكبرى مع الكنيسة،والمواجهة حادة بينهما،ولا علاقة للمختطفات بالأمر إلا أنهن مجرد حجة،وقد يكون صحيحا أن نقول : إنه بمجرد ظهور كاميليا شحاتة وإعلانها أنها ما زالت مسيحية ولم تشهر إسلامها،كان أن وجد السلفيون فى قصة عبير قصة جديدة لإحياء حربهم ضد الكنيسة...وليس بعيدا أن يكونوا هم من اختلقوا القصة من الأساس،وأنهم من جاؤوا بياسين ثابت ليعلن عن قصة عبير ..وهى قصة غامضة من الأساس.

***

لكن من هى عبير هذه التى أشعلت النار ؟

اسمها بالكامل عبير طلعت فخرى....ابنة أسرة بسيطة من عزبة شحاتة بمركز ساحل سليم بأسيوط،وهو نفس المركز الذى كان ينتمى إليه الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر السابق.

ظلت عبير شبحا لا أحد يعرف حقيقة وجوده،كل ما يعرف عنها أنها فتاة كانت حاصلة على دبلوم تجارة،وأنها التحقت بمعهد لدراسة الخطوط،وأنها كانت تتردد على ساحل سليم الذى كان يعمل به ياسين ثابت سائقا على سيارة بالأجرة،وأنها كانت متزوجة،لكنها أحبت ياسين،ومن أجله أشهرت إسلامها،وتزوجته،وهربت معه إلى قرية ورورة ببنها،وأن أهلها عرفوا مكانها فأجبروها على العودة إلى الكنيسة،وعندما عرف ياسين بقصتها ذهب ليحررها بعد أن أخبر السلفيين بذلك.

لكن المفاجأة أن عبير ظهرت بالفعل،ومن خلال موقع الجماعة الإسلامية المسؤول عنه القيادى بالجماعة ناجح إبراهيم،الموقع اعتبر أن حواره الذى أجراه أبو يوسف وأعده للنشر طلال رجب مع عبير سبق صحفى وهو كذلك بالفعل.

لم يذكر من أجرى الحوار أين ولا متى أجراه،لكنه اكتفى بأن قال:«تعالوا بنا لنستمع بأذن صاغية لصوت العقل والحكمة إلى تلك المرأة المصرية التى أراد البعض أن يسلبها حريتها فى اختيار عقيدتها، ونحن فى القرن الواحد والعشرين،

وخاصة بعد ثورة ٢٥ يناير التي جاءت لترسى قواعد الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية للمصريين جميعا،دون تفرقة بين أحد بسبب الدين أو اللون أو العرق.

ويبدو أن أبا يوسف لم يجر الحوار بنفسه، فقد جاءه عبر تسجيل فيديو من أحد أصدقائه، للسيدة التى قال : إنها كانت محبوسة بسكن القديس يوحنا القصير الملحق والملاصق لكنيسة مارمينا بإمبابة، وأنه تأكد بنفسه من ذلك بعد أن قابلها بنفسه.

فى الحوار الذى نقلته معظم المواقع الإليكترونية قال عبير: «أنا اسمى عبير طلعت فخرى امرأة مصرية ،من أبوين مصريين كادحين من أجل أربع بنات وأخ.. وأنا أكبرهم سنا،نعيش بمحافظة أسيوط، مركز الساحل عزبة الشيخ شحاتة.. والتحقت بالتعليم مثل كل فتاة تريد أن ترتقي بمجتمعها بعيدا عن الجهل والتخلف.. فحصلت على دبلوم تجارة.. ثم التحقت بمعهد لدراسة الخطوط.

تزوجت مثل كل فتاة بشاب تقدم للزواج بى من نفس ملتى المسيحية.. ولكن للأسف لم يكن كما يظن به والدى أنه حسن الأخلاق كريم المعاشرة، فقد أساء معاملتي وأهانني ،حتى وصل به الأمر أن اتهمنى فى عرضى وشرفى، حتى أن من سوء خلقه رمانى بالفاحشة مع أخيه.

حتى جاء يوم وأنا حامل فى شهرى الثامن وأخذ بالاعتداء على نفسيا وبدنيا،ولم يكتف بما فعله بضربى وإهانتى وتعريض جنيني للوفاة.. بل طردني من البيت .. كل ذلك لمجرد أنه عرف أن الجنين أنثى، وعندما ذهبت إلى بيت أهلى أعادنى والدى إليه خوفا من كلام الناس، مكثت فى بيت أهلى بعد ولادة طفلتى.. سنة وأربع أشهر لم ير زوجى ابنته كل تلك المدة .. ولم يعرها أي اهتمام.. ولم أرجع إليه وهو لم يكن يريدني.

ثم تتحدث عبير عن إسلامها: أشهرت إسلامى بالأزهر الشريف، فقد سافرت مع زميل لى فى معهد الخط إلى القاهرة يوم ١٥ سبتمبر لأشهر إسلامي وأوثقه.. وهو ياسين ثابت الذي وقف بجانبي في تقديم الأوراق والتوثيق في الأزهر، وتم ذلك يوم ٢٣سبتمبر ٢٠١٠ واتخذت لنفسي اسما جديدا وهو «أسماء محمد أحمد إبراهيم»،وآثرت البعد عن بلدى التي أحبها وأعشقها.

بعد أن وثقت إسلامى ذهبت إلى قرية «وروورة» التي تتبع مدينة «بنها» عن طريق

رجل بلدياتي اسمه «جعفر»،و لم يكن أحدٌ يعلم أين أسكن .. حتى أول شهر مارس الماضي، اختلفت مع «جعفر» فوشى بمكاني لأهلي فجاؤوا وأخذوني.

ثم تأتي مرحلة الكنيسة تقول عبير:أهلي سلموني لكنيسة أسيوط ،فكانت بداية سجني واعتقالي في أوائل شهر مارس ٢٠١١، ومكثت في «دير العذراء» بأسيوط حوالي ثمانية أيام، ثم تم ترحيلي إلى دار المسنات بأسيوط ومكثت بها قليلا، ثم رحلوني مرة أخرى إلى فندق يتبع بعض المسيحيين بأسيوط.. واستمرت الترحيلات بين كنيسة وأخرى، حتى تم ترحيلي إلى القاهرة تحت إشراف كاهن كنيسة أسيوط،وفي الكاتدرائية بالعباسية.. تم الضغط على ليسلبوا مني حريتي وكرامتي في اختيار معتقدي.

تم نقلي إلى آخر سجن ومعتقل لي بمحافظة الجيزة.. وتحديدا في منطقة إمبابة.. ووضعت في سجن خاص ذي شبابيك حديد ومعزول لا يستطيع أحد الخروج منه.. مجهز بسكن القديس يوحنا القصير الملحق والملاصق لكنيسة مارمينا.. وكنت معزولة عن العالم في تلك الفترة،وحتى وأنا في محبسي بسكن القديس يوحنا القصير .. لم يكن يفتح الباب إلا عن طريق كاهنة ..وذلك لمجرد إدخال الطعام فقط،ومكثت في هذا السجن حوالي ثمانية أيام.. حتى يأخذوني قسرًا، إلى السجل المدني لتغيير أوراقي.. وهو ما يعرف بالإعادة.

وتصل عبير إلى أحداث إمبابة تقول:لم تكن هناك فرصة غير أني اتصلت بالأستاذ ياسين ثابت عن طريق تليفون محمول استطعت أن أحصل عليه،وأخبرته بما سيحدث من خروجي مع بعض الكهنة إلى السجل المدني، وقلت له: جهز سيارة حتى إذا خرجت معهم إلى السجل المدني جريت منهم وتأخذني بعيداً عنهم.

وقبل أن أخرج سمعت أصواتًا في الشارع والكنيسة وجلبة كبيرة.. وفجأة جاءت الراهبة وعليها علامات الارتباك والحيرة والاضطراب وهي تقول خذي حاجتك واخرجي من هنا بسرعة إحنا بريئين منك ومن دمك، وفي نفس الوقت رن التليفون المحمول وإذ بالصوت يقول: «أنا رئيس المباحث أنت فين يا بنتي»،ولكني خفت وقفلت التليفون،وخرجت إلى الشارع وسط زحام شديد

وهوجة كبيرة فأخذت توك توك لأرحل بعيدا شاكرة الله على نعمة أن نجاني من سجني ومعتقلي.. راجية ألا أعود إليه مرة أخرى ولا أحدا من الناس.

إذا حاولنا تفكيك هذا الحوار لشككنا فيه من الأساس،فهو أقرب إلى الفبركة،ففي نهاية الحوار قالت عبير : إنها كانت خارجة إلى السجل المدني لتغيير أوراقها حتى تعود إلى المسيحية،وهو كلام ينقصه الدقة، فتغيير أوراق العائدين إلى المسيحية يحتاج إلى قضية أمام مجلس الدولة، ثم أي سجل مدني هذا الذي يفتح أبوابه في الساعة الثامنة مساءً،وهو التوقيت الذي اندلعت فيه أحداث إمبابة.

لقد شككت قيادات الكنيسة في حوار عبير،واعتبروا أن ما يحدث معها،هو نفس ما تتهم به الجماعة السلفية الكنيسة،من أنها تقوم بغسيل مخ لمن يقولون أنهن أعلن إسلامهن،وأن الفتاة تبدو مغيبة تماما على اعتبار أن هناك فتاة من الأساس.

هناك تناقض في الروايات التي قيلت عن عبير،فقد قيل : إن ياسين هذا زوجها،وأنه ذهب ليحررها بعد أن عرف مكان احتجازها،لكنها قالت : إنها لم تتزوجه – رغم أن هناك وثيقة تؤكد زواجها عرفيا من مسلم ضمن ملفها في محكمة الأسرة حسب ما نشرته جريدة الأهرام – ،وهو ما يجعلنا أمام علاقة غامضة تربط بينهما.

لكن الأهم من ذلك من وجهة نظري أننا أصبحنا أمام مشكلة جديدة،وهي أن عبير تحدثت وهي لدى الجماعة الإسلامية التي نشرت على موقعها الحوار،فهل يمكن أن نعتبر الجماعة تحتجزها هي الأخرى ...وإذا كانت فعلت ذلك فإننا أمام حالة اختطاف من نوع جديد.

الشيخ ناجح إبراهيم دخل على الخط بنفسه، وأعلن أن عبير لدى فتاة مسلمة ترعاها،وهو ما يجعلنا نتساءل عن علاقة الجماعة الإسلامية بملف القضية من الأساس،وهي علاقة فيما يبدو تصب في مواجهة الكنيسة،فالجماعة الإسلامية تؤكد أن عبير أسلمت وأن الكنيسة احتجزتها،وهو ما يمنح الغاضبين سببا إضافيا للغضب.

***

إننا أمام معركة حقيقية.

فعبير لا تزال على قيد الحياة،وإذا كانت كاميليا شحاته خرجت لتكذب كل من

تحدث عن إسلامها، فإن عبير ستفضح ما تفعله الكنيسة من تعذيب وإجبار لمن تعلن إسلامها على العودة للمسيحية مرة أخرى،ستكون دليلا حيا على ما يجرى – ويردده السلفيون – داخل الكنائس والأديرة.

لقد مارست الكنيسة حالة من العناد فى موضوع كاميليا،وهو ما فعلته قبل ذلك فى موضوع وفاء قسطنطين،رفضت ظهورهما،ورغم أن الجميع يعرف سيطرة البابا شنودة على الأقل على رجاله،إلا أنه أعلن أكثر من مرة أنه لا سيطرة له على كاميليا،وهو ما لم يكن صحيحا،وحتى ظهورها على قناة الحياة التبشيرية تحديدا،كان رسالة على أن الكنيسة لا سيطرة لها على ملف كاميليا،فقناة الحياة بالنسبة للكنيسة ملعونة ولا توافق على ما يذاع فيها.

مقصد الكنيسة انقلب عليها،فقد اعتبر مريدو كاميليا من المسلمين أن الكنيسة تتحداهم،وأنه تصر على اختطاف كاميليا وحرمان الإسلام منها،وقد يكون هذا تحديدا نقطة التحول فى المواجهة، فقد تخلى السلفيون عن التظاهر والاحتجاج إلى اقتحام الكنائس وإخراج الفتيات منها بالقوة.

لقد دفع الأقباط ثمنا غاليا لعناد الكنيسة،إن ١٢٥ من ال١٩٠ الذين ألقى القبض عليهم أقباط،كما أن نصف القتلى أقباط، وعاش أهالى إمبابة من الأقباط أياما صعبة عادت بهم إلى أيام الفراغ الأمنى،أفزعهم بلطجية وسلفيون صعدوا إلى بيوتهم وحاولوا تفتيشها،كانت هناك ما يشبه المواكب من سلفيين يركبون السيارات والتوك توك ويهتفون «إسلامية ...إسلامية»...وحرقنا كنايس النصارى».

***

ما حدث بعد أن تفكك جهاز أمن الدولة فى ملف صنع الفتن الطائفية لم يكن بعيدا أبدا عن الجهاز ...وكانت هذه رؤية خاصة أرى أنه من المهم توثيقها هنا.

فقد كان من السهل جدا تعليق دم الفتن الطائفية التى شهدتها مصر بعد الثورة (حرق وهدم كنيسة صول بأطفيح وتوابعها – الاعتداء على الأقباط فى منطقة السيدة عائشة – مظاهرات السلفيين المطالبة بالكشف عن كاميليا شحاتة – أحداث إمبابة) فى عنق أكثر من جهة.

يمكن أن نقول: إن المتطرفين من الجانبين عادوا مرة أخرى إلى الساحة بعد أن خفتت حالة المد الثورى التى خلفتها ثورة ٢٥ يناير.

ويمكن أن نقول : إن صمت البابا على ما يفعله أولاده يشجعهم لأنه يلعب بنفس الأوراق القديمة،فقد رأى أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة الحاكم الجديد فى البلاد يتجاهله تماما،فقرر أن يدفع بأولاده للتظاهر والتمادى فيه،حتى يأتى بالمجلس إلى مكتبه فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية،كما كان يفعل مع كبار المسئولين فى نظام مبارك.

ويمكن أن نقول : إن جهات خارجية تعبث فى أمن مصر،وأنها من أشعلت النار وأججت الفتنة التى هى بطبيعتها نائمة،وأن الله يلعن من يوقظها.

لكن كل هذه التصورات أصبحت بالية ...قديمة ..ساقطة ...أو أنها سقطت بسقوط نظام مبارك،الذى كان يتفنن فى ادعاء الدفاع عن الأقباط، رغم أنه كان يلعب بهم ويعتبرهم ورقة رابحة يستطيع من خلالها أن يحكم سيطرته على الأقباط وعلى خصومهم معا.

لا يوجد أدنى شك فى أن الفُتن الطائفية التى تتم صناعتها، وتصديرها إلى صدارة المشهد،لم تخرج عن صناعة جهاز أمن الدولة،وضباطه الذين كان من بين ما فعلوه خلال السنوات الماضية تدبير الأحداث الطائفية لكسر شوكة المسيحيين من ناحية،ولضرب خصومهم من الإسلاميين من ناحية أخرى.

ستقول أن جهاز أمن الدولة تم تجميده بالفعل...وأنه ليس من المنطقى ألا يتصرف ضباطه بهذه الطريقة وهم فى حالة حصار يفرضها عليهم المجتمع كله....وهو كلام رغم ما فيه من منطق إلا أنه ليس واقعيا بالمرة،فنحن أمام جهاز كان يعمل فيه ٦ آلاف ضابط ....هناك فقط ٤٠٠ ضابط نعرف مصيرهم وأين يوجدون الآن.

إننا أمام حوالى ٥٤٠٠ ضابط أمن دولة طلقاء،وهؤلاء الذين يتعاملون بعجنهية وغرور،وجدوا أنفسهم فجأة أذلاء،قلاعهم المحصنة تحت أقدام أفراد من الشعب كانوا يتعاملون معه باحتقار،هناك مطالبات بمحاكمتهم وسجنهم والتعامل معهم بمنتهى العنف والقسوة...وهو مصير يعرف ضباط أمن الدولة

أنهم سيصلون إليه.

هؤلاء الذين ينتظرون مصيرهم،من المنطقى جدا أنهم يعملون الآن من أجل الانتقام،ومحاولة إجهاض الثورة التى قطعت رقابهم،إنهم خبراء فى إثارة الفتن وترويج الشائعات وتسريب المعلومات التى توغر الصدور.

وما حدث فى السيدة عائشة – من اعتداء المسلمين على مواطنين مسيحيين – يؤكد ذلك.

فمن بين ما قيل : إن شائعة ترددت بعد أن احترقت أكوام قمامة بجوار مسجد،أن أقباط المنطقة يحرقون المسجد ...فاتجه المسلمون على الفور واشتبكوا مع الأقباط،وعندما حاول الجيش التدخل وقعت إصابات عديدة وصلت إلى خمسة عشر قبطيًا ....مات منهم اثنان.

البداية معلومة إذن ...خبر قصير يفجر الفتنة ويشعلها،وهو أمر يجيده الجهاز،تدرب عليه كثيرا،ولا تزال وثائق إدانة وتورط جهاز أمن الدولة فى تفجير كنيسة القديسين فى الإسكندرية ساخنة،وهو ما يجعلنا نؤكد أن ما حدث فى أطفيح بداية من اللعب بعلاقة عاطفية بين مسيحى ومسلمة ونهاية بحرق الكنيسة وهدمها لن يخرج عن انتقام أمن الدولة الذى يبدو أنه لن ينتهى قريبا.

إن ضباط أمن الدولة كان يقبضون بأيديهم على رجال الدين من الجانبين،بل إن كل رجل دين مسيحى كان على تليفونه المحمول رقم أو أكثر لضباط فى أمن الدولة،وهو ما تكرر أيضا فى شيوخ الجماعات الدينية السلفية،إننى لا أتهم رجال الدين المسيحى (كثيرون منهم خرجوا فى مظاهرات واعتصموا مع المعتصمين أمام مبنى التليفزيون احتجاجا على ما جرى فى أطفيح) ولا أتهم رجال الجماعات السلفية (وهم الذين عادوا لقيادة مظاهرات تطالب مرة أخرى بالإفراج عن كاميليا شحاتة والكشف عما جرى لها) بالمؤامرة،ولكنى أعيب عليهم أنهم لا يزالون يبتلعون الطعم بنفس الطريقة....ويخرجون للقتال فى سبيل الله،رغم أن التجارب جميعا أثبتت أن القتال لم يكن إلا فى سبيل أمن الدولة.

إن هناك حالة من الاستنفار القصوى لدى جهات عديدة فى الدولة الآن

للوقوف أمام ما يقوم به أمن الدولة،وما يمكن اعتباره فلولا للحزب الوطنى الذى انكسر،وهنا تصريح منسوب لأحد القيادات فى المجموعة الضيقة الحاكمة الآن أنهم لن يتورعوا عن إظهار العين الحمراء لمن يريدون اغتيال الأمن فى مصر ....والرسالة مفهومة ومعروف من المقصود بها.

إننى لا أميل إلى تفصيل وقائع ما جرى لا فى أطفيح ولا فى منطقة السيدة عائشة ولا فى إمبابة....فدلالة ما وقع أهم ،وهنا لابد من الإشارة إلى الآتى:

أولا: لماذا عادت الطائفية البغيضة مرة أخرى؟ بعد أن اعتقدنا أن الثورة قضت على هذا الوهم الذى كنا نعيشه؟ فى ميدان التحرير اختار الأقباط أن يكونوا مصريين قبل أن يكونوا مسيحيين، تفاءلنا بالروح التى صنعت مجدا لم نكن نحلم به،لكن بعد أيام من الثورة عادت الطائفية مرة أخرى..وهذه المرة بشدة وعنف غير مسبوقين.

ولا يوجد سبب مباشر لذلك إلا أنه ليست هناك حالة استثمار للثورة،إننا أمام كارثة فى الإدارة السياسية للبلاد،هناك حالة من العزل التام للمواطنين عن القضايا الكبرى التى خرجت من أجلها الثورة،لا كلام واضح عن الدستور أو شكل نظام الحكم القادم،لا كلام واضح عن مستقبل الاقتصاد أو مستقبل الصحافة،أو عودة الأمن إلى الشوارع مرة أخرى،فكان طبيعيا أن يعود المواطنون إلى قضاياهم الصغيرة التافهة.

ثانيا:لقد كان التعامل مع الأقباط مريبا،ففى مقابل الاعتراف الرسمى بالإخوان المسلمين ودفعهم إلى مقدمة المشهد ...أحدهم كان فى لجنة صياغة التعديل الدستورى،جلسوا أكثر من مرة مع رجال المجلس الأعلى للقوات المسلحة،كان هناك تغييب كبير للأقباط،وهو ما جعلهم يشعرون بالقلق من المستقبل،ولذلك فإنه وفى أول مناسبة وفى أول حدث خرج الأقباط،وكانت طلباتهم هذه المرة بلا سقف،وهى سمة المطالب فى مصر الآن... فكلها بلا سقف.

عندما تهدمت كنيسة أطفيح،تعهد المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإعادة بناء الكنيسة على نفقته الخاصة،وانتهى عهد الحصول على تصاريح بناء الكنائس من أمن الدولة،وهى أمور إيجابية إلى حد كبير،لم يكن يحلم الأقباط بأن يصلوا إليها، لكنهم الآن لم يلتفتوا إليها ..وواصلوا للحصول على كل ما يريدونه،فالفرصة

سانحة الآن فلماذا لا يقتنصونها؟

ثالثا:فى مقابل صمت البابا شنودة وعدم اعتراضه على مظاهرات الأقباط،رغم اعتراضه على مشاركة الأقباط فى ثورة ٢٥ يناير،فإننا أمام حالة من الضعف المحير بدا بها وعليها رئيس الوزراء عصام شرف،الذى تعامل مع المظاهرات التى قام بها السلفيون أمام مقر مجلس الوزراء بقلة حيلة غريبة،مطالبين باستعادة كاميليا شحاتة.

قال لهم: إنه سيبحث الموضوع ووعدهم بحله،دون أن يحدد طريقة الحل،فإذا حل الموضوع بما يرضى السلفيين فلن يرضى الأقباط،وإذا حل بطريقة ترضى الأقباط فلن يرضى السلفيون،وهو ما يدخلنا فى دائرة جهنمية لن نخرج منها أبدا.

رابعا: إننا أمام مؤامرة لحرق المجتمع كله،وهو ما يجب أن نتنبه له من الآن،إن المستفيد الوحيد مما يجرى هو النظام السابق،الذى تتورط بقاياه الآن فى ثورة مضادة لأنها على وشك المحاكمة،وهى المحاكمة التى يمكن أن تصل بهم إلى الإعدام ،ولو افتقدنا الأمن وسادت الطائفية المشهد فإن الثورة ستفقد كل ما حققته.....فانتبهوا أو موتوا.

***

هل تريدون كلمة يمكن أن تكون خاتمة لهذا الملف...لقد عبث أمن الدولة كثيرا ...ومن الصعب أن نتخلص من إرثه ...سيظل يطل برأسه علينا لسنوات قادمة ...فالذين زرعهم بيننا ...والذين جهزهم لإخافتنا لا يزالون يعملون ولن يكفوا عن العمل أبدا.



الفهرس

